كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالقاهرة

دكتور
مصطفى عبدالرحمن ابراهيم

فى النقد الأدبى القديم عند العرب

١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م

مكة للطباعة

كلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين بالقاهرة

دكتور
مصطفى عبدالرحمن ابراهيم

فى النقد الأدبى القديم
عند العرب

١٤١٩هـ - ١٩٩٨ م

مكة للطباعة



بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــــدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أفصح الخلق أجمعين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعـــد:

فهذه محاضرات فى النقد الأدبى أعددتها لطلاب الفرقة الثانية بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بجامعة الأزهر، تتناول النقد الأدبى القديم عند العرب منذ نشأته ونموه وتكوينه ، حتى استوى ونضج ووضحت معالمه، وأصبح فنا جميلا له حذاقه المتخصصون فيه .

وحاولت أن أتوخى فى هذه الدراسة السهولة فى العرض، والوضوح فى القصد، متجنبا الإيغال فى مساربه المعقدة ، ومسالكه المتشعبة .

وقد دفعنى إلى هذا اللون من الدراسة هدف أساسى وهو أن دراسة النقد القديم تفيد الأدب فى حاضره ، لأنها توجهه إلى السداد وتصحح مسيرته ، وتكشف مايعتوره من خلل أو يعترض جادته ، وعندها يستبين ما ينبغى لنا إزاء هذه المناهج القديمة ، من التزام بها ، أو تعديل لها أو أضافة إليها .

وقد مهدت لهذا العمل بفصل وجيز عن - النقد والناقد - بحثت فيه مفهوم النقد ووظيفته ، كما تناولت فيه : الناقد وشروطه- ذوقه

المرهف ، وثقافته الشاملة ، وتجربته الكاملة، وضميره - ثم تتبعت في بقية فصول الكتاب رحلة النقد من العصر الجاهلي حتى العصر العباسي.

والله تعالى أسأل أن ينفع بهذا الكتاب ، وأن يرزقنا السداد في القول والعمل ، وأن يجنبنا شطط الفكر والقلم وأن يهيئ لنا من أمرنا رشدا . إنه سميع الدعاء.

دكتور
مصطفى عبدالرحمن إبراهيم عبدالرحمن
مدرس الأدب والنقد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية
للبنين جامعة الأزهر بالقاهرة

الفصل الأول
النقد والناقد

تعريف النقد

مادة " نقد " لها معان شتي في معاجم اللغة وشواهدها نكتفي بذكر أربعة منها :

الأول: تمييز الدراهم ، ومعرفة جيدها من رديئها • قال الشاعر :

تنفى يداها الحصى فى كل هاجرة ∴ نفى الدنانير تنقاد الصياريف

الثانى – الإعطاء • وفى مختار الصحاح : نقده الدراهم ، ونقدله الدراهم أعطاه إياها فانتقدها أى قبضها •

الثالث – اختلاس النظر نحو الشئ • تقول : نقد الرجل الشئ بنظره ينقده نقدا ونقد إليه بمعنى اختلس النظرة نحوه ، ومازال ينقد بصره إلى الشئ إذا لم يزل ينظر إليه• والإنسان ينقد الشئ بعينه وهو مخالسة النظر لئلا يفطن إليه•

الرابع– العيب : إذ جاء فى حديث أبى الدرداء أنه قال " إن نقدت الناس نقدوك ، وإن تركتهم تركوك ' أى إن عبتهم عابوك (1)•

والمعنى الأول هو الأقرب لمفهوم النقد ، وهو التمييز بين الجيد والردئ من الدراهم ، ومعرفة ذائفها من صحيحها • وكما يكون التمييز بين الجيد والردئ فى الأمور الحسية يكون أيضا فى الأمور المعنوية ومنها النصوص الأدبية • وقد عرف النقد فى أدق معانيه بأن " فن دراسة النصوص الأدبية لمعرفة اتجاهها الأدبى وتحديد مكانتها فى مسيرة الآداب ، والتعرف على مواطن الحسن والقبح مع التفسير والتعليل " (2)•

---

[1] – لسان العرب ، جـ ٦ ، ص ٤٥١٧ ، ط دار المعارف ، والقاموس ، جـ ١ ص ٣٤١ ، ومختار الصحاح ص ٦٧٥ •

[2] – النقد الأدبى ص ٦ د/ سعد ظلام ، ط مطبعة الامانة•

فهو يعنى بدراسة الأساليب وتمييزها ، ويتناول العمل الأدبى يفسرة ويناقشه مستخلصا عناصر الجمال التى احتواها والتى كانت سببا فى سموه وارتقائه ، أو بيان السمات التى أدت إلى اتضاعه واحتقاره.

والنقد الأدبى من هذه الوجهة، يثرى الأدب وينميه ويعمل على ارتقائه، لأن الأديب الحريص على السمو بفنه الأدبى يكون جادا فى الأخذ بالنصائح التى يوجهها إليه النقد ، ويعمل على تلافى الجوانب السلبيه التى تهبط بمستوى نتاجه ، أو تؤثر تأثيرا ضارا (١) .

مهمة النقد ووظيفته وغايته:

يمكن القول بأن أهمية النقد ووظيفة وغايته تتلخص فيما يلى :

أولا: دراسة العمل الأدبى : وتمثله وتفسيره وشرحه ، واستظهار خصائصه الشعورية والتعبيرية ، وتقويمه فنيا وموضوعيا (٢).

وهذا يعنى أن وظيفة النقد ليست هينة ، وليس فى مقدور كل شخص أن يضطلع بمهامه، أو أن يتصدى لتقويم الأدب وإبداء رأى فيه ، لأن الناقد هو الشخص الوحيد الذى يمكنه أن يقوم العمل الأدبى فنيا وموضوعيا .

ثانيا : تعيين مكان العمل الأدبى فى خط سير الأدب ، وتحديد مدى ما أضافه إلى التراث الأدبى فى لغته ، وفى العالم الأدبى كله . وأن نعرف : أهو نموذج جديد أم تكرار لنماذج سابقة مع شئ من التجديد ؟ وهل ما فيه من جدة يشفع له فى الوجود ؟ أم هو فضله لاتضيف لرصيد الأدب شيئا ' (٣).

---

١ – من مظاهر النقد الأدبى عند العرب د/ رفعت زكى محمود عفيفى ، ص ٩، ١٠ ط دار الطباعة المحمدية .

٢ – دراسات فى النقد الأدبى . ص ٢١ ، د/ حسن جاد .

٣ – النقد الأدبى – أصوله ومناهجه– ص ١٢، ١٣٤ – سيد قطب ط دار الشروق .

ثالثا : تحديد مدى تأثر العمل الأدبى بالمحيط ومدى تأثيره فيه- وهذه ناحية من نواحى التقويم الكامل للعمل الأدبى من الناحية الفنية - فضلا عن الناحية التاريخية - فإنه من المهم أن تعرف ماذا أخذ هذا العمل الأدبى، ومدى الاستجابة العادية للبيئة [١].

وقد فطن لهذه الغاية كثير من نقاد العرب القدماء والمحدثين فمن القدماء على سبيل المثال ابن سلام الذى أدرك تأثير البيئة على الشاعر ، فجمع شعراء القرى (مكة والمدنية والطائف والبحرين واليمامة) فى حديث واحد [٢]، ومن المحدثين العقاد فى كتابه - شعراء ومصر وبيئائهم فى الجيل الماضى - الذى أقر فى بدايته أن " معرفة البيئة ضرورية فى نقد كل شعر ، فى كل أمة ، فى كل جيل " [٣].

رابعا : تصوير سمات صاحب العمل الأدبى - من خلال أعماله - وبيان خصائصه الشعورية والتعبيرية ، وكشف العوامل النفسية التى اشتركت فى تكوين هذه الأعمال ، ووجهتها الوجهة المعينه. وذلك بلا تمحل ولا تكلف ولاجزم كذلك حاسم [٤].

خامسا : النهوض بالأدب، وتوجيهه إلى الكمال ، برسم مناهجه ، وتصحيح أخطائه ، واستظهار مواطن حسنه .

سادسا : أنه يساعد قارئ الأدب على فهمه، ويعينه على تذوقه ،

---

[١] - المرجع السابق ، ص ١١٣ .

[٢] - يرجع طبقات فحول الشعراء ، لابن سلام ، جـ ١ ص ٢١٥ ومابعدها ، ط مطبعة المدنى .

[٣] - شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ، للعقاد ، ص ٣ ، ط مكتبة النهضة المصرية .

[٤] - النقد الأدبى / سيد قطب ، ص ١١٣ .

ويحبب الناس فى الفن ، ويغرس فيهم الإحساس بالجمال ([1])٠

أهمية التأريخ للنقد الأدبى

لتأريخ النقد الأدبى أهمية كبيرة لأنه يعرض لأهم الاتجاهات الفنية والمذاهب الأدبية وأثرها فى الذوق العام ، ويكشف عن تطور الذوق من عصر إلى عصر ، ومدار اهتمام النقاد ودارسى الأدب ومناط عنايتهم ٠ كذلك يطلعنا على كثير من الخصائص الفنية والأسلوبية المتعلقه بالنصوص الأدبية المختلفه ، ومدى اهتمام الناس بجوانبها وتفضيل النقاد لبعض هذه الجوانب وتقديمها على ماسواها ٠ وكذلك بالنسبة للأدباء وما يتعلق بمذاهبهم الأدبية ، وأمزجتهم ، وحياتهم وما إلى ذلك ([2])٠

الناقد:

الناقد بعامة هو : المميز لكل ما تقع عليه العين ويحيط به السمع وتلم به الأحاسيس وتدركه العقول ، وهو بهذه المثابة لا يعنينا هنا ٠

أما الناقد الأدبى فهو : من يتعرض للجنس الأدبى شعرا كان أو نثرا ، قصة أو رواية أو مسرحية ، دراسا ومفسرا أو موازنا ومحللا وموجها ، حتى يفرغ إلى حكم ما ([3])٠

وهذا الحكم لايؤخذ مأخذ التسليم به أو الإذعان له إلا إذا رزق صاحبه طبعا موهوبا تدعمه ثقافة وخبرة ، حتى يكون قادرا على التذوق والتمييز ، بحيث لا يقل شعورة بقيم العمل الأدبى عن شعور الأديب المبدع إن لم يتفوق عليه ، وقديما قيل : انتقاد الشعر أشد من نظمه واختيار الرجل

---

[1] - دراسات فى النقد الأدبى د/ حسن جاد ، ص ٢٢ ٠

[2] - تاريخ النقد الأدبى والبلاغة ، د / محمد زغلول سلام ، ص ٥ ، ط منشأة المعارف

[3] - النقد الأدبى فى أطوار تكوينه عند العرب ، د/ محروس منشاوى الجالى ، ص ٢٥ ، ط دار الطباعة المحمدية ٠

قطعة من عقله [١]. وهذا يعنى توافر أدوات خاصة لمن يتصدى للقيام بهذه المهمة.

ولايشترط فى ناقد الأدب أن يكون قادرا على إنشائه ، وأن كانت أقدم نماذج النقد عند العرب تتمثل فى نقد الشاعر شعره والوقوف عليه بالتهذيب والتنقيح .

يقول ابن رشيق :" وقد يميز الشعر من لايقوله كالبزار يميز من الثياب مالم ينسجه والصيرفى يخبر من الدنانير مالم يسبكه ولاضربه حتى إنه ليعرف مقدار ما فيه من الغش وغيره فينقص قيمته " [٢].

ولقد كانت هناك طائفة من النقاد الذواقين فى عصر بنى أمية- لابن أبى عتيق وسكينة بنت الحسين ، وغيرهما- تنقد الشعر وتبدى فيه رأيا دون أن تقدر على نظمه، كما كان ابن سلام لا ينظم الشعر ومع ذلك كان من أبرز نقاد عصره.

وإنما يشترط فى ناقد الأدب أن يكون قادرا على تذوقه وتمييز قيمه، والتعليل لحكمه تعليلا موضوعيا حتى يظل النقد فى خدمة الأدب ورسم الطريق الأمثل له .

---

[١] -محاضرات الأدباء للراغب الأصفهانى ٩٣/١ ط بيروت ١٩٦١ .
[٢] - العمده ١١٧/١ تحقيق محيى الدين عبدالحميد ط دار الجيل بيروت.

شروط الناقد الأدبى :

يشترط النقاد في الناقد الأدبى عدة شروط نذكرها بإيجاز ثم نفصل القول فى كل واحد منها على حده ، وهذه الشروط هى :

١- الذوق

٢- الثقافة

٣- تمرس الناقد بالنقد وخبرته ، أودربته وممارسته

٤- ضمير الناقد الأدبى ٠

أولا: الذوق :

من الشروط التى يتحتم أن تتحق فى الناتقد الذوق ، لأنه الأساس فى كل حكم ، والفيصل فى كل نقد ، والموجة فى كل تقديم ٠

والذوق هو " ملكة لاغنى عنها للناقد تمكنه من التعرف على مواطن الجمال أو القبح فيما يعرض له من النصوص " [١] وقيل :" إنه استعداد فطرى مكتسب نقدر به على تقدير الجمال والاستمتاع به ومحاكاته "[٢]٠

وإذا كان الذوق استعداد فطريا فهذا أمر بدهى ، لأن الأثر الأدبى ذاته يفيض من ينبوع فطرى قريب من الإلهام ، وفهم هذا الأثر فهما دقيقا يحتاج إلى مثل هذا النبع ، حتى تكشف أسرار الكلام ، وإلا كان شأننا شأن من يعطى الأمى كلاما مكتوبا ، ويطالبه بقراءته وفهم ما فيه [٣]٠

وللذوق مصادر يتكون منها ويتربى عليها ، وأهم هذه المصادر مخالطة الصفوة المختارة من رجال الأدب ، ومطالعة الروائع العالمية لعباقرة

---

[١] - تاريخ النقد الأدبى والبلاغة ص ١٤ د/ محمد زغلول سلام ٠

[٢] - النقد الأدبى ص ٩ د/ سعد ظلام ٠

[٣] - فى ميزان النقد الأدبى بتصرف ص ٥ د/ طه مصطفى أبوكريشه ط المليجى ٠

الفن ، وقراءة الأمثلة الرفيعة من البيان الخالد ، والاطلاع على اتجاهات النقاد وأذواقهم وممارستهم وتطبيقاتهم [١].

والمصدر الثانى- ولا يقل خطورة عن سابقة - إنما هو العقل المتزن الذى يحكم فى التناسب والقصد والترتيب والعلائق المشتركة بين السبب والنتيجة ، وبين الطريقة والغاية، ولاريب فى أن هذه الأمور من ضرورات النقد ، ومن أسباب إدراك الجمال ، على أن للعقل دورا مهما فى إيضاح الحقائق ، والإقناع بحجج الناقد استحسانا أو رفضا .

والمصدر الثالث- وهو فى درجة سابقيه خطورة -هو العاطفة ، وهى الشعور الواقع على النفس مباشرة من طريق الحواس [٢].

وإذا كان المصدر الثانى وهو العقل يجعل الناقد فى مأمن من الزيغ ، ويعصمه من الانزلاق وراء الأهواء - فإن المصدر الثالث وهو العاطفة يعصم الناقد من أن يبتعد عن مجال الأدب والنقد فى جنوحه إلى التجريد العقلى .

ومن هنا نرى أن الذوق السليم القائم على التدليل والتعليل لايرجع إلى العاطفة وحدها ، وإنما يشارك فيه الفكر ، ويؤازره المنطق ، ويساعدة العقل ويغدو الذوق عندئذ مركبا من العاطفة والفكر والحس. وتغدو أحكاما أقرب إلى الصواب وأدنى إلى الحق والعدل

وبهذا يكون الذوق عماد الناقد فى كل حكم ، وموجهه وقائدة فى تقرير، وهو الأداة التى يرتكز عليها ، به يدرك الجمال ، وتتلمس مواطنه . وأن الأدب الرفيع، والفن السامى شعاع يتوهج ، ولمحات تتألق والذوق

---

[١] - الذوق الأدبى د/ عبدالفتاح على عفيفى من ٩ ط مطبعة الأمانة .

[٢] - نفس المرجع ص ٩ ، ١٠ ، وانظر أيضا دفاع عن البلاغة للزيات ص ٧٣ ومابعدها ط الثالثة- عالم الكتب.

المرهف الذى صقلته المعرفة ، وجلته الدربة هو الحاسة الفنية التى تحس بما فى الأساليب من حسن وقبح - وما فى الأنغام من اتساق ونشاز ، وما فى العاطفة من صدق وزيف [١] .

والذوق الذى هو عدة الناقد وأداته أختلف فيه أفطرى هو أم مكتسب؟ يذهب البعض إلى انه موهبة واستعداد لدى الناقد ، وشأنه فى ذلك شأن أى موهبة أخرى كالنحت والرسم والتصوير .... ويذهب الآخرون إلى أنه ليس فطريا بل هو مكتسب يحرزه الإنسان من شتئ معارف الحياة وثقافتها وبأى لون من ألوان التلقى وأى طريق من طرق التثقيف [٢].

والحق أن الذوق مزاج من الفطرة والاكتساب ، فهو ملكة موهوبة يمنحها الله من يشاء ، بمعني أنه فطرة فى النفس فطر عليها صاحبها ، تهدية إلى التذوق والتفسير وتعينه على التقدير والتقويم ، وأن هذه الملكة التى طبع عليها الناقد فى حاجة إلى المعارف التى تغذيها والخبرة التى تصقلها والثقافه التى تنميها [٣].

والذوق نوعان : ذوق عام و ذوق خاص .

فالذوق العام : ما كان شائعا بين أبناء الجيل الواحد فى البيئة الواحدة وفى البلد الواحد ، حيث يتأثرون بظروف واحدة مشتركة ، وقد يمتد هذا الذوق إلى خارج بيئته وبلدته فيشترك مع الذوق العام فى بيئة أخرى وبلد آخر بمقدار ما بينهما من التشابه والتوافق .

---

١ - دراسات فى النقد الأدبى د/ كامل السوافيرى ص ١٣٥ ط الأولى - مكتبه الوعى العربى.

٢ - النقد الأدبى ص ٩ د/ سعد ظلام .

٣ - النقد الأدبى فى أطوار تكوينه عند العرب ص ٣١ د/ محروس منشاوى الحالى .

والذوق الخاص : هو ماكان مظهرا ومرآة صادقة لصاحبه لاتعكس سواه ، فهو يتأثر بالشخصية الفردية ويتأثر بالذوق العام (١).

والحياة الفنية مزاج من هذين الذوقين ، فيه الوفاق حينا ، وفيه الصراع حينا آخر ، وإنما كانت الحياة الفنية مزاجا منهما لأن الذوق العام هو الذى يعطى الحياة الفنية حظا من الموضوعية ، على حين يعطيها الذوق الخاص حظا من الذاتية (٢)٠

والذوق الأدبى ليس صورة واحدة لا تختلف من ناقد إلى ناقد ، بل إنه يختلف بين الناس لعوامل متعددة ن بعضها يرجع إلى أصل الاستعداد والموهبة ، والبعض الأخر يرجع إلى العوامل المحيطة من بيئة وثقافة ، وهذا الاختلاف هو الذى يجعلنا لا نضيق ذرعا بتعدد الآراء التى تقابلنا فى التفسير الأدبى ، وأن نتقبل بصدر رحب ما يستنبط من النصوص على اختلاف فى الرأى ، إذ أن كل متذوق يقترب من النص على قدر حظة من صفاء الروح وشفافية النفس ، وتوقد الذهن، وكم من آراء نظنها فصل الخطاب ، ويتبين لنا بعد حين غيرمابدا لنا فى سابق العهد وما آمن به العقل من قبل ؟

لكن هل يصل بنا الاختلاف إلى الانفصام وأن يسير كل على هواه فى فهم ما يقرأ؟ أو إلى أن ترى الشئ الواحد جميلا وغير جميل فى آن واحد ؟ لا ٠ ليس الأمر كذلك ، فإن هناك أمورا رأى النقاد ضرورة توافرها فى المتذوق المفسر وهذه الأمورعندما تراعى تضيق من دائرة الاختلاف بين

---

١ - حافظ وشوقى ص ٣١ د/ طه حسين ط وزارة التربية والتعليم ،ويرجع أيضا أصول النقد الأدبى للأستاذ أحمد الشايب ص ١٢٤ ، ١٣٥ ط مكتبه النهضة المصرية ، ويرجع أيضا النقد الأدبى فى أطوار تكوينه د/ محروس منشاوى ص ٣٢ ، ٣٣ ٠

٢ -حافظ وشوقى ص ٣٢ ٠

المتذوقين ، وماكثر الخلاف إلا لكثرة الأدعياء الدخلاء فى ميدان الذوق الأدبى ، ثم يبقى وراء هذه الأمور امتداد الفكر وانفساح مجال التأمل والاستنباط أمام المتذوق الحاذق الذى صفا ذهنه ، وزادت شفافيته ، هنا ترى الحجة المعقولة ، والبرهان المقبول ، حتى مع الاختلاف ، إذ أن كل ناظر نظر من خلال زاوية لم ينظر منها الى الأخر ، وتلقى إشعاعا قد يتسع وميضه أو يضيق على بصيرة نظيرة وانعكس عليها ([١])٠

والخلاصه أن الذوق المعتد به والجدير بالاعتبار هو ذوق العالم الذى استطاع أن يكبح جماع هواه الخاص ن الخبير بالأدب الذى راضه ومارسه، وتخصص فى فهمة ودرس أساليب الأدباء ، ومنح القدرة على فهم أسرارهم، والنفوذ إلى دخائلهم ، وإدراك مشاعرهم ، وساير عواطفهم بفهمه العميق ، وحسه المرهف ، وكثرة تجاربه الأدبية ، وتمتع إلى جانب ذلك بخظ كبير من المعرفة والثقافة والبصر الثاقب الذى يعينه على إصدار الحكم الصائب([٢]).

ثانيا : الثقافه

من الشروط الهامة للناقد قبل أن يتصدى لمزاولة النقد ، ويخوض غمراته ، ويقف نفسه موقف الحكم الذى ترضى حكومته ، والقاضى العادل الذى يصدر أحكاما فيما يعرض عليه من قضايا أن يكون مزودا بأوفر قسط من الثقافه ، وأوفى حظ من المعرفة ٠

يقول الدكتور أحمد أمين :" (من اللازم أن يكون لناقد الأدب كما لناقد الفن تثقيف خاص ، ونعنى بالتثقيف تحصيل المعرفة وتهذيب العقل

---

[١] – فى ميزان النقد الأدبى د/ طه أبو كريشه ص ٧ ٠

[٢] – دراسات فى نقد الأدب العربى ، د بدورى طبانه ص ٣٨ ط مكتبة الأنجلو المصرية

معا، فالناقد يحتاج إلى المعرفه لتعطيه سعه النظرة ولتكون أساسا صالحا لحكمه وهو يحتاج إلى تهذيب العقل ليجعل هذه المعرفه قابلة لأن ينتفع بها ، وإن مقدار صلاحيته كمفسر وحاكم ليتناسب مع معرفته وتهذيبه ، فإذا لم توجد المعرفه والتهذيب ، فإن آراءه مهما تكن لذيذة وموحيه فإنها تكون تافهة القيمة (١) .

وقد حدد الدكتور كامل السوافيرى ثقافة الناقد الأدبى فى ثلاثة مجالات من المعرفة : الأول المجال اللغوى ، الثانى المجال الأدبى ، الثالث المجال العام (٢) وإليك الحديث عن هذه المجالات بشئ من التفصيل .

المجال اللغوى المراد بثقافة الناقد اللغوية معرفتة بعلوم اللغة صرفها ونحوها وبلاغتها وعروض الشعر وقوافيه ، فيعرف الحال ومقتضاه والتقديم والتأخير ، والإظهار والإضمار والحذف والذكر ، والإيجاز والإطناب والمساواة وبلاغة التشبيه واللمحة العابرة ، والرمز والإيماء والكناية والتعريض وبتعبير موجز المقاييس البلاغية التى حددها علماء البلاغة لجودة الأسلوب ، وفصاحته .

ومن هنا نرى أن للنقد صلة وثيقة بعلوم اللغة ، فهو يستعين بهافى دلالته وتركيباته، كما أن الأدب وهو موضوع النقد مادته الكلمات بمالها من دلالة وجرس ، والجمل بما فيها من كلمات وما تستلزمه من ترتيب خاص ، أو تدل علية من معان مختلفة ، وماترسم من صور تبعا لهذا الترتيب ، كما

---

١ - النقد الأدبى لأحمد أمين ١/١٩٧ الرابعة.

٢ - دراسات فى النقد الأدبى د/ كامل السوافيرى بتصرف ص ١٢٥ ، ١٢٦ .

يستعين النقد بعلوم الأصوات والدلالة فى معناها الحديث وبعلوم التركيب والأسلوب الحديثين وبالنحو والتصريف كما هو فى القديم [١].

وبهذا لابد أن يكون ناقد الأدب على معرفة بهذه العلوم حتى يمكنه الإفادة منها فى عملة وهو تفسير النص الأدبى وتحليله وتقويمه ، ومنذ عصر الجاهلية ظهرما نسمية بالنقد اللغوى ، كما ظهر النقد النحوى بعد أن دونت أصول النحو ووضعت قواعده بمعنى أن النقد قد استمد من هذه الفروع كلها ما أعانه ويعينه على أداء الغاية الأساسية منه ٠

وأما ثقافة الناقد الأدبية فالمراد بها أن يعرف الناقد عصور الأدب معرفة كاملة ، وخصائص كل عصر ، وأدب أعلامه البارزين من الشعراء والكتاب والأجناس الأدبية التى شاعت فيه ٠ والفنون التى سادت وانتشرت والتى تقلصت وضمرت وأسباب الازدهار أو الضمور ، وأن يعرف أثر الزمان والمكان والثقافة فى كل شاعر او كاتب ، ونشأة كل فن أدبى ، وتطورة على مر العصور ٠ فالجاحظ مثلا حذق الثقافات المختلفه فى عصره ، ومزجها وخلط بين عناصرها ، وقدم لنا فى مصنفاته عصارة تلك الثقافات المتعددة العربية والفارسية واليونانية ٠

وأما ثقافة الناقد العامة فالمراد بها إلمامه ببعض العلوم والمعارف التى لاغنى عنها لباحث متعمق ودارس جاد مثل علم المنطق حتى يعرف المقدمات وما تؤدى إليه من نتائج ، والقياس وطرقه وأن يعرف شيئا عن

---

١ - النقد الأدبى الحديث د/ محمد غنيمى هلال بتصرف ، ص ١٥ ط دار العودة بيروت

الجمال ، ويعرف الكثير عن التاريخ العربى والإسلامى والعصر الحديث ويعرف مبادئ علم الاجتماع (١)٠

وقد أورد النقاد العرب لنا الكثير من جوانب معرفتهم بالنواحى الاجتماعية والنفسية حين تحدثوا عن دواعى الشعر والأوقات التى يسرع فيها أتيه ، وينقاد عصيه ، وعن أسباب لين شعر بعض الشعراء ووعورة شعر البعض الآخر ، وأثر البداوة والحضارة فى السهولة والصعوبة ، وفى اللين والتوعر ٠

يقول ابن قتيبة: " وللشعر دواع تحث البطئ وتبعث المتكلف منها الطمع ، ومنها الشوق ، ومنها الشراب ، ومنها الطرب ، ومنها الغضب " وقال عبدالملك بن مروان لأرطاة بن سهية : هل تقول الآن شعرا ؟ فقال : (كيف أقول وأنا) ما أشرب ولا أطرب ولا أغضب ن وإنما يكون الشعر بواحدة من هذه (٢)

ونجد القاضى الجرجانى حين يتحدث عن الطبائع والغرائز النفسية وأثرها فى الأدب يقول :" وقد كان القوم يختلفون فى ذلك ، وتتباين فيه أحوالهم ، فيرق شعر أحدهم ، ويصلب شعر الأخر ، ويسهل لفظ أحدهم ، ويتوعر منطق غيره ، وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع ، وتركيب الخلق ، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة وأنت تجد ذلك ظاهرا فى أهل عصرك وأبناء زمانك ، وترى الجافى الجلف منهم كز الألفاظ وعر الخطاب " (٣).

---

١ - دراسات فى النقد الأدبى د/ كامل السوافيرى ص ١٢٦

٢ - الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق أحمد محمد شاكر ١/٨٤ ، ٨٦ ط الثالثة ١٩٧٧

٣ - الوساطة للقاضى الجرجانى تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ومحمد على البجاوى ص ١٧، ١٨ ط عيسى الحلبى

والحق أن الناقد البصير لابد أن يتزود من الثقافات السابقة بقدر كبير حتى يمكنه التعرف على السمات الفنية فى العمل الأدبى وربطها بأصولها الكامنة فى ذات الأدب ، لتحقيق الصلة – على وجة ما– بين الأدب والأديب، إذا بغير هذه الصلة لايتأتى للناقد أن يتأكد من إصالة الفن وصدقه، فهى سبيلة فى الإقناع والإقتناع ، وخاصة حينما يشرع فى الشرح والتعليل [١].

ثالثا : تمرس الناقد بالنقد وخبرته ،أو دربته وممارستة :

من الشروط الهامة للناقد تمرس الناقد بالنقد ،وخبرته أودربته وممارستة ، وهذه الدربة إنما تأتى من القراءات الكثيرة للنصوص والأجناس الأدبية المختلفة من شعر ومقالة وخطبة وقصة ومسرحية وبها يميز الناقد بين أسلوب وأسلوب ، ومعجم شاعر ومعجم شاعر آخر ، ويوازن بين خيال وخيال ، وصورة وصورة ، فثقافة الناقد واتساع معارفه ، وتنوع جوانب هذه الثقافة ، ومزاولته لمهمته ، ودراستة المتواصلة هى التى تؤدى إلى صحة الحكم على النصوص والكشف عما فيها من جوانب قوة وعوامل ضعف ، وتجعلة صرفيا فى التمييز بين الحسن والقبيح ، كالصيرفى فى النقود الذى يعرف الصحيح من الزائف [٢] .

وقد فطن نقادنا القدامى إلى عملية الدربة وأثرها فى العملية النقدية ، ولهذا نجد ابن سلام يشترط فى الناقد أن يكون ذا بصر بالشعر ، خبيرا به ، وهو لايعتد بالنقد الذوقى التأثرى إلا إذا استوفى الناقد شرطة من الدربة والممارسة والخبرة الفنية . يقول ابن سلام :" وللشعر صناعة وثقافة يعرفها

---

[١] – معالم النقد الأدبى د/ عبدالرحمن عثمان ص ٤٣ ط مطبعة المدنى .

[٢] – دراسات فى النقد الأدبى د/ كامل السوافيرى ص ١٢٧ ، ١٢٨ .

أهل العلم كسائر أصناف العلم والصناعات : منها ما تثقفه العين ، ومنها ما تثقفه الأذن ، منها ما تثقفه اليد ، ومنها ما يثقفة اللسان ، ومن ذلك اللؤلؤ والياقوت ، لاتعرفه بصفة ولاوزن ، دون المعاينة ممن يبصرة ، ومن ذلك الجهبذه بالدينار والدرهم ، ولاتعرف جودتهما بلون ولا مس ولا طراز ولا وسم ولا صفة ، ويعرفه الناقد عند المعاينة ، فيعرف بهرجها وزائفها وستوقها ومفرغها ٠٠٠) وأخذ يضرب الأمثلة بالنخيل والرقيق إلى أن وصل به الحديث عن القراءة والغناء فقال : " ويقال للرجل والمرأة فى القراءة والغناء : إنه لندى الحلق ، طل الصوت ، طويل النفس ، مصيب اللحن - ويوصف الآخر بهذه الصفة ، وبينهما بون بعيد ، يعرف ذلك العلماء عند المعاينة والاستماع له ، بلاصفة ينتهى إليها ولا علم يوقف عليه٠ وإن كثرة المدارسة لتعدى على العلم به فكذلك الشعر يعلمه أهل العلم به [١].

فمضمون كلام ابن سلام أنه وضع معيارا أساسيا لنقد الشعر فقرر أن الشعر صناعة يعرفها أهل العلم بالشعر ، الذين كونوا بخبرتهم وممارستهم له ذوقا أدبيا يعطيهم القدرة على تذوقه ونقده ، والشعر فى هذا كسائر الصناعات لا يتهيأ العلم بها إلاعن خبرة وبصر وممارسة وتجريب ودربة ومرانة ٠ ولتقريب الأمر وتقريره ضرب ابن سلام عدة مثل من الخبرة بالجواهر والنقود والنخيل والمتاع وغيرها ٠٠٠٠ فإذا تقرر أن الشعر صناعة فلنتركه

---

[١] -طبقات فحول الشعراء لابن سلام تحقيق محمود محمد شاكر جـ ١ ص ٥، ٦، ٧ الجهبذه بالدينار والدرهم الخبرة بهما . والبهرج : الردئ ، والزائف : المغشوش ، والستوق : الزائف ، والمفرغ : المصمت فلايسمح لرنينه حس ندى الحلق : غير جافى الحلق ، طرى الحلق ، فهو أرفع لصوته ، وطل الصوت : حسنه عذبة ناعمة ، بهيج النغمة كأنه طل يهمى٠

للخبير المتمرس به ، ينقده ويفسره ويصنفه ويحلله ويقومه بقيمته - وهى هنا قيمة معنوية - ويميز جيده من رديئه [١] .

وأما الآمدى فيرد إلى الدربة تلك القوة الغامضة التى يتميزبها الناقد عمن سواه ، والمادة الأدبية هى مجال هذه الدربة ، ودوام النظر فى هذه المادة لا خارجها هو المحك الحقيقى فى تكوين الناقد .

يقول الآمدى :

((.... ويبقى ما لا يمكن إخراجه إلى البيان ، ولا إظهاره إلى الاحتجاج ، وهى علة مالا يعرف إلا بالدربة ودائم التجربة وطول الملابسة . وبهذا يفضل أهل الحذاقة بكل علم وصناعة من سواهم ممن نقصت قريحته ، وقلت دربته ، بعد أن يكون هناك طبع فيه تقبل لتلك الطباع وامتزاج بها ، وإلا فلا يتم ذلك [٢].

إن خصوصية الطاقة النقدية خصوصية كاملة ، واكتسابها لا يحدث بالتلقين ولا التعلم . إنما تكتسب هذه الطاقة متى توافرت شروطها الذاتية. وهى لفرض خصوصيتها تعطى لصاحبها الحق - عند الآمدى - فى نوع من " السلطة النقدية " التى توجب - فى نظره - على الآخرين الأخذ عنه دون التمسك بتقديم الحجج ، تلك الحجج التى يبدو تقديمها غير ممكن فى بعض الحالات ، لأنها تحس أكثر مما يمكن التعبير عنها .وكل ذلك يؤكد ' نقدية '

---

١ - نصوص نقدية لأستاذنا الدكتور / محمد السعدى فرهود ص ١٠ ط دار الطباعة المحمدية .

٢ - الموازنة للآمدى تحقيق الشيخ محمد محى الدين عبدالحميد ، ص ٣٧٢ ، ٣٧٣ ط دار الباز للطباعة .

النقد، كما يؤكد ' أدبية ' الأدب . ذلك لأنه يقم صرح النقد على أساس التمرس الأدبى الذى يجعل من النقد ذاتا فريدة ، ينهض تفردها على البصر بالمادة الأولية التى يتعامل معها وهى الأدب الإبداعى ([١]).

أما القاضى الجرجانى فنجدة يضع الدربة ضمن عملية الخلق الفنى فيقول عند تحليله لموهبة الشعر : " أن الشعر علم من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له ، وقوة لكل واحد من أسبابة ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبة منها تكون مرتبة من الإحسان " ([٢]).

فمضمون كلام الجرجانى أن الدربة شرط هام للموهبة الشعرية لأنها تكسب صاحبها خبرة عملية وبصرا بمضايق الشعر وطرائق الأداء وعن طريق الدربة والمران يستطيع الأديب - وبخاصة الناشئ - أن يصل إلى الغاية التى يرجوها من الجودة والإتقان [٣].

والحق أن الدربة والتمرس من أهم الشروط التى يجب على الناقد أن يأخذبهما قبل إصدار الأحكام النقدية ، حتى تأتى تلك الأحكام قوية هادفة مستنيرة فيما تصدرة من أحكام بتمرسها ودربتها ، وبهذا تصل إلى الغاية المرجوة من إصدار تلك الأحكام النقدية ، حتى تأتى تلك الأحكام قوية هادفة مستنيرة فيما تصدره من أحكام بتمرسها ودربتها ، وبهذا تصل إلى الغاية

---

[١] - نصوص من النقد العربى القديم د/ محمود الربعيى ص ١٨ ط مطابع سجل العرب

[٢] - الوساطة للقاضى الجرجانى تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم ومحمد على البجارى ص ١٥ ط عيسى الحلبى .

[٣] - القاضى الجرجانى وكتابة الوساطة د/ صلاح الدين محمد عبدالتواب ، ص ٦٨ ط دار الطباعه المحمدية .

المرجوة من إصدار تلك الأحكام وتقويم الأعمال الفنية تقويما يستند إلى الموضوعية السديدة٠

٤- ضمير الناقد الأدبي

و نعني به أن يتوخى الناقد في نقده وجه الحق . ويتجه لما يرى أنه الصواب ، ويتحرى العدل في أحكامه ، ويبتعد عن التأثر بالهوى ، ويحاول قدر الطاقة أن يبرأ من الغرض فلا يجامل الأصدقاء والأنصار ، ولا يتحامل على الأعداء والخصوم ، وإنما يقضي بالعدل ٠

وضمير الناقد ، وتوخيه العدل ، وابتعاده عن المؤثرات الشخصية أهم الأركان في النقد ، وأهم الشروط في الناقد إذ بدونه لا تجدي المعرفة ولا تنفع التجربة ، ولا يصح الحكم ، ولا يعتدل الميزان ٠

وضمير الناقد الأدبي ظهر واضحا عند نقادنا العرب فنجد منهم من آثر العدل في حكومته والحيدة في رأيه ، واحتكم إلى الذوق السليم الذي لم تفسده حمى التعصب ، وذلك كما فعل الآمدي في موازنته ، وكما فعل القاضي الجرجاني في وساطته ، التي أنصف فيها المتنبي من خصومه وقاس الشعر فيها بمقياس دقيق بعيد عن روح التعصب ، وكما فعل ابن قتيبة الذي احتكم إلى الروح العلمية السديدة التي ترفض التعصب وتحتم العدل والحيدة يقول ابن قتيبة : " ولم أسلك . فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من قلد ، أو استحسن باستحسان غيره ٠ ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين

الجلال لتقدمه ، وإلى المتـأخر (منهم) بعين الاحتقار لتأخره • بل نظرت بعين العدل على الفريقين ، وأعطيت كلا حظه • ووفرت عليه حقه([1]) "

وكثيرا ما اختلت الموازين ، وفسدت الأحكام فى النقد الذى يميل به الناقد عن الحق والعدل ، وعما يرفع الفن ويسمو به إلى إرضاء شخص ، والانحياز إلى أديب أو إغضابه والتحامل عليه •

وينحرف الناقد عن غايته إذا طفق يطرى أثار الأصدقاء ، ويضفى عليها ألوان الثناء ، وأيات الإعجاب والتقدير إرضاء لهم ، وتزلفا إليهم مع أن هذه الآثار هابطة منحدرة من الناحية الفنية •

كما ينحرف أيضا إذا أخذ يتحامل على أثار الخصوم والأعداء ، ويختلق لها المثالب والمعايب ، ويشن عليها الحملات الظالمة وهى جيدة من الناحية الفنية ولاعيب فيها إلا أن الناقد عدو لأصحابها وهدفه أن يغض من أقدارهم ، ويحط من منازلهم •

وفى تاريخ النقد العربى نجد ما يدل على أن بعض النقاد قد استسلم لنوازع نفسه ، وانقاد لهواه ، وشط فى التعصب إلى شاعربعينه أو التعصب عليه ، فجاءت أحكام غير موضوعية ، تعوزها الدقه فى كثير من الأحيان ، وذلك مثل ما فعل الصولى فى كتابه – أخبار أبى تمام([2]) ، حيث أسرف فى تعصبه لأبى تمام إسرافا بينا وكذلك الحاتمى فى – الرسالة الحاتمية فى مآخذ المتنبى المعيبة – وقد كان فيها شديد التحامل على المتنبى حقدا عليه

---

[1] – الشعر والشعراء : لابن قتيبة ٦٨/١ •

[2] – النقد المنهجى عند العرب: د• محمد مندور ص ٩٤ • ط دار نهضة مصر•

وغيرة منه (١) ومما يتصل بهذا التحامل الشديد - رسالة فى الكشف عن مساوىء المتبنى- للصاحب بن عباد (المتوفى ٣٧٥ هـ) - وفيها تبدو روح التعصب على المتبنى بينة ، حيث تناول الصاحب نقد المتنبى فى كثير من شعره ، بأسلوب تهكمى ساخر ، بلغ درجة الفحش أحيانا ، مما جعل نقده شخصيا أكثر منه نقدا موضوعيا(٢) .

وبهذا نعلم أنه كم من أدب رفيع ، وشعر جيد رصين ، وأثر فنى سام تعرض لحملات نقدية ظالمة ، وهجمات حاقدة ، للحط من شأنه ، والغض من قدره فمحا الزمن ذلك النقد الجائر ، وظل الأدب سامق البناء رفيع العماد تتغنى به الأمم ، وتردده الحقب ، وشعر المتبنى خير شاهد على ذلك .

وحقيقة لا بد من تقريرها هنا وهى أن أى نص أدبى ، وأى أثر فنى فى القديم والحديث لا يخلو من محاسن وعيوب ، ومن جوانب قوة وضعف ، والكمال لله وحده ، ومن فتش عن عيب وجده ، وضمير الناقد ومسئوليته ونزاهته كل ذلك يجعله ينأى عن التحيز للأنصار ، والتحامل على الخصوم ، ويحتم عليه أن يذكر المحاسن قبل المساوىء ويوضح جوانب القوة قبل أن يتناول جوانب الضعف ، ويبرز اللمحات المشرقة ، والومضات المشعة ، قبل أن يشير إلى ما شاب النص من عيوب(٣) .

والحق أن ضمير الناقد الأدبى هو مقياس احترامه والثقة به ، والاعتداد بآرائه والاطمئنان إلى سلامتها حيث يوليه قراؤه الثقة إذا لمسوا نزاهته وحيوية ضميره ، وإحساسه بمسئوليته ، وعدالة أحكامه . ويهملونه

---

١ - انظر تاريخ النقد الأدبى والبلاغة : د. محمد زغلول سلام ص ٢٧٣ ومابعدها .

٢ - المرجع السابق ص ٢٧٦ ومابعدها .

٣ - دراسات فى النقد الأدبى : د. كامل السوافيرى ص ١٣٨ .

ويعرضون عنه إذا انحرف عن الجادة ، وأصبح أسيرا لأهوائه ونزعاته • وتجافى عن الحق ونأى عن العدل •

شروط أخرى

أوضحنا فيما سبق أن هناك شروطا ينبغى أن تتوافر فى الناقد ، وتناولنا منها الشروط الأربعة : ذوقه المرهف ، وثقافته الشاملة ، وتجربته الكاملة ، وضميره النقدى ، ونتناول هنا بإيجاز بعض الشروط الأخرى لأهميتها فى العملية النقدية وهذه الشروط هى[١] :

١- أن لا يتأثر الناقد بالأحكام النقدية التى تسود بيئة النقاد ، فلا يقلدهم فيها ما لم يؤمن بها ويعتقد سلامتها ، ذلك لأن النظرة المتحررة هى التى يجب أن يتحلى بها الناقد ، وهى الطريق لإثراء النقد بأفكار وآراء جديدة ، تفتح الباب للمناقشة ، حتى تصوب الأحكام التى يثبت خطؤها، وبغير هذه النظرة تتوارث الأحكام ، ويأخذها الخلف عن السلف ، وكثيرا ما تغطى على إحسان محسن ، أو تدارى على إساءة مسىء ، فيحتل مكانة ليس جديرا بها •

٢- أن يكون الناقد حذرا فى أحكامه النقدية ، فلا تكون عبارته موحية بأن ما يقوله هو القول الفصل الذى لا معقب وراءه ، بل يدع الباب مفتوحا أمام غيره للإدلاء برأيه ، ويكون سبيله فى ذلك التواضع ، إذ أن ادعاء الإحاطه بالصواب وتخطئة الأخرين على الإطلاق ، أمر لا يليق بخلق الناقد ، والنقاد الكبار يتجنبون مثل هذه الانزلاق الخطر فى الأحكام •

---

[١] - انظر فى ميزان النقد الأدبى د• طه مصطفى أبوجريشة ص ١٤-١٥ •

٣- على الناقد أن يتحرى الصواب فى أحكامه والسبيل إلى ذلك أن يتجنب خداع النظرة الأولى ، فإنها لا تتجاوز السطح ولا تسبر الأعماق ، والنقد المتأنى المدروس هو النقد الخالد والأثر الباقى ، أما غيره فهو الزبد يذهب جفاء ولا يمكث فى الأرض ٠

الفصل الثانى
النقد فى العصر الجاهلى

النقد فى العصر الجاهلى

تمهيد :

ولد النقد الأدبى مع مولد الشعر ، ونشأ معه ، وهذا أمر طبيعى ، فإن الشاعر ناقد بطبعه ، يفكر ويقدر ويختار ، ولهذا كان أقدر من غيره على فهم الصنعة الشعرية ، وعلى إدراك أسرار القبح أو الجمال([1]) ٠

ومن هنا كان من الصعب أن نحكم حكما موثقا على الصورة الأولى التى نشأ عليها النقد الأدبى ذلك لأنه ارتبط بالشعر فى نشأته ، ومعلوماتنا عن النهج الأول للشعر العربى لا تتجاوز المائة والخمسين عاما التى سبقت ظهور الإسلام ([2]) ٠

لكن الذى يمكن أن نؤكده فى هذا المجال اعتمادا على ما قررة أئمة الأدب ، أن أول من وطأ متون الشعر : امرؤالقيس بن حجر ، ومهلهل بن ربيعة ، يقول الجاحظ :

" أما الشعر ، فحديث الميلاد ، صغير السن ، أول من نهج سبيله وسهل الطريق إليه : امرؤالقيس بن حجر ، ومهلهل بن ربيعة ٠٠٠٠ ،فإذا استظهرنا الشعر ، وجدنا له إلى أن جاء الله بالإسلام خمسين ومائة عام ، وإذا استظهرنا بغاية الاستظهار فمائتى عام"([3]) ٠

ويقول ابن سلام : " وكان أول من قصد القصائد وذكر الوقائع ، المهلهل بن ربيعة التغلبى فى قتل أخيه كليب وائل ، قتلته بنوشيبان ، وكان

---

[1] - دراسات فى النقد الأدبى د٠ حسن جاد ص ٣٧ ٠

[2] - النقد الأدبى فى العصر الجاهلى وصدر الإسلام د٠ محمد إبراهيم نصر ص ٢٠ ط دار الفكر العربى

[3] - الحيوان للجاحظ ٣٧/١ ط الساسى ٠

اسم المهلهل عديا ، وإنما سمى مهلهلا لهلهلته شعره كهلهلة الثوب ،وهو اضطرابه واختلافه"([1])

والشعر العربى لم يبدأ حياته على هذا النظام الكامل الذى وجدناه عليه، وذلك لأن طبيعة الحياة تأبى الطفرة ، ولا تسلم إلا بسنة التطور والارتقاء فمن الطبيعى أن هذا الشعر قطع أحقابا طويلة حتى بلغ هذه الدرجة من النضج والاستواء التى ألفناه عليها ، وكان فى كل خطوة من خطوات تطوره فى سلم الحياة يقف ليرجع بصره فيما أسلف ،ويعد عدته للخطوة المقبلة ، أو الوثبة الجديدة التى سيقوم عليها أودا، أو يصلح بها هوجا ، ثم يجدد فى البناء مفيدا من أخطائه السابقة وتجاربه المتعددة ، وتجارب غيره ممن يزاولون مثل صناعته ،وهو فى كل خطوة ينفى مارآه الناس نقصا ، ويضيف ماعساه أن يستقيم بإضافته البناء الذى بناه ([2])٠

وحين نضج هذا الشعر ،واكتملت له صورته الفنية ،فتن به العرب فتراووه وتذوقوه،وتغنوا به ، ونظروا فيه تلك النظرة التى تلتئم مع حياتهم وطبيعتهم ،وبعدهم عن أساليب الحضارة ٠ فأعلنوا استحسانهم لما استجادوا ، واستهجانهم لما استقبحوا فى عبارات موجزة وأحكام سريعة ، إن كانت صحيحة عادلة فكما تمليها الفطرة السليمة ، لا كما يمليها التعمق فى البحث والدراسة والمنطق الذى يعتمد على التحليل والتعليل ([3])٠

ومن هنا وجد النقد الأدبى فى الجاهلية ، ولكنه وجد هينا يسيرا ملائما لروح العصر، ملائما للشعر العربى نفسه ، فالشعر الجاهلى إحساس محض أو يكاد ، والنقد كذلك ، كلاهما قائم على الانفعال والتأثر ٠ فالشاعر مهتاج

---

[1] – طبقات فحول الشعراء لابن سلام، ٣٩/١ ٠

[2] – دراسات فى نقد الأدب العربى د٠بدوى طبانه ص ٥١ ٠

[3] – نفس المرجع ص ٥٣ ٠

بما حوله من الأشياء والحوادث ، والناقد مهتاج بواقع الكلام فى نفسه وكل نقد فى نشأته لابد أن يكون قائما على الانفعال بأثر الكلام المنقود . والنقد العربى لايشذ عن تلك القاعدة ، بل هو من أصدق الأمثلة لها . فالعربى حساس رقيق الحس ، تنال الكلم من نفسه،ويحتاج لها اهتياجا ، فإذا حكم على الأدب ،حكم عليه تبعا لتاثره به، وبمقدار ذلك التأثر .هو يحكم على الأدب ببلاغة الأدب ، ويحكم عليه بالنظرة العجلى ، والأثر السريع[1] .

صور النقد فى العصر الجاهلى

نستطيع القول إن صور النقد فى العصر الجاهلى كثيرة ومتشعبة ولكنها ترجع فى مجموعها إلى صورتين هما :

١- النقد الذاتى التأثرى .

٢- النقد الذى مبعثه الروية والأناة .

أولا : النقد الذاتى التأثرى:

نعنى بالنقد الذاتى التأثرى النقد الذى يكون مبعثه الإحساس القائم على الذوق الفطرى ، فهذا النقد قائم على الإحساس بأثر الشعر فى النفس ، وعلى مقدار وقع الكلام عند النقد ، " فالحكم مرتبط بهذا الإحساس قوة وضعفا ، والعربى يحس أثر الشعر إحساسا فطريا لا تعقيد فيه ، ويتذوقه جبلة وطبعا ، وعماده فى الحكم على ذوقه وعلى سليقته ، فهما اللذان يهديانه إلى فنون القول ، وإلى المبرز من الشعراء" [2].

---

[1] – تاريخ النقد الأدبى عند العرب للأستاذ طه أحمد ابراهيم ص ٢٤-٢٥ ط دار الحكمة بيروت .

[2] – نفس المرجع ١٨٠ .

وهذا النقد الذاتى التأثرى جعلهم يرجعون فى كل ما يتصل بأدبهم إلى السليقة ، ويصدرون عنها فى أحكامهم التى تدور حول ما استخدموا من أنماط أدبية ، وتذوق الجمال فى الأدب مرده عندهم إلى الطبع الذى نشأوا عليه وإلى البيئة ذات الطابع العربى الأصيل فى كل جانب من جوانبها المختلفة ، ولهذا جاء نقدهم مطابقا كفطرتهم وبيئتهم ، وصادرا عن أذواقهم وتأثرهم بالجمال حسبما ركبت فيهم من طباع ، وما درجوا عليه من تمييز بين الغث والثمين من فنون القول [١].

والناظر فى النصوص النقدية التى وردت فى العصر الجاهلى يلاحظ أن النقد الذاتى التأثرى يأخذ عدة اتجاهات وهى :

أ- النقد اللغوى .

ب- النقد المعنوى .

جـ- النقد العروضى [٢].

د- تقديم الشعراء .

وإليك الحديث عن كل واحد منها بالتفصيل .

أ- النقد اللغوى:

وهو القائم على نقد الخطأ فى الاستعمال اللغوى ، ولقد كان العربى على صلة وثيقة بأسرار لغته ، يدرك بفطرتة الدلالة الوضعية للكلمات فإذا ابتعد الشاعر عن تلك الدلالة ، واستعمل الكلمة فى غير موضعها ، دون أن

---

[١] -معالم النقد الأدبى د/ عبدالرحمن عثمان ص ٩١ .

[٢] -المرجع السابق ص ٩٤ ، وراجع أيضا دراسات فى النقد الأدبى د/ حسن جاد ص ٣٨ ومابعدها ، وراجع أيضا النقد الأدبى فى العصر الجاهلى وصدر الإسلام د/ محمد إبراهيم نصر ص ٨٦ ومابعدها .

يلمح علاقة بين المعنى الأصلى للكلمة ، والمعنى الذى نقلها إليه أحس بذلك إحساسا مباشرا وعبر عن ذلك الإحساس بما تجود به قريحته .

ومن الأمثلة الواضحه على ذلك ما روى عن أبى عبيدة قال : مر المسيب بن علس بمجلس بنى قيس بن ثعلبة فاستنشدوه . فأنشدهم :

ألا انعم صباحا أيها الربع واسلم ∴ نحييك عن شحط وإن لم تكلم

فلما بلغ قوله :

وقد أتناسى الهم عند ادكاره ∴ بناج عليه الصيعرية مكدم

فقال طرفة - وهو صبى يلعب مع الصبيان : " استنوق الجمل" (١).

والصيعرية سمة فى عنق الناقه لا البعير - كما استعملها العرب - وقد استعملها المسيب خطأ فى وصف الجمل فأنكر عليه طرفة بعبارة ساخرة هى: استنوق الجمل ، معتمدا على حسه اللغوى فى تخطئة الشاعر الذى بعد عن الصواب فى استعماله اللفظ ، ومن هنا نرى أن طرفة أدرك بفطرته أن كلمة (الصيعرية) وضعت للدلالة على تلك السمة فى عنق الناقة ، فلما ابتعد بها الشاعر عن أصل وضعها من غير سبب معقول .. فطن إلى ذلك بفطرته ، ونبه الشاعر إلى خطئه بهذه العبارة التى صارت مثلا .

ومن النقد اللغوى ما روى أن الأعشى أنشد قيس بن معديكرب أحد أشراف اليمن شعرا فى مدحه ، جاء فيه :

ونبئت قيسا ولم أبله ∴ وقد زعموا ساد أهل اليمن

فعابه قيس لما شاب معناه ولم ينفعه لإصلاحه البيت بقوله :

ونبئت قيسا ولم آته ∴ على نأيه ساد أهل اليمن (٢)

---

١ -المؤشح للمرزبانى تحقيق محمد على البجاوى ص ٩٣ ط نهضة مصر .

٢ -نفس المرجع ٦١ ، وإنما عابه قيس لقولة ولم أبلة ، فقد أضفى بهذه العبارة على النبأ ظل الشلك فيه ، ولقولة زعموا والزعم مطية الكذب.

فقيس استطاع أن يتنبه إلى خطأ الأعشى حين ذهب إلى أن سيادة قيس على أهل اليمن كانت زعما.لا حقيقة ، و " زعموا " كما يقولون مطية الكذب وذلك لأن الدقة فى فهم الألفاظ وفى استعمالها كان يتحراها كل عربى ، وفى هذا دليل على أن العربى كان شديد الحساسية فى إدراك التلاؤم بين الكلمة وما وضعت له ، فإذا ابتعدت عن معناها ، وانحرفت عن دلالتها عد ذلك عيبا .
والظاهر أن هذا اللون من النقد كان قليلا نادرا ، لأن العربى كان شديد الحساسية بلغته ، ودقيق الإصابة فيها ، يجرى فى استعمال الكلمات على طبعه وسليقته ، فإذا ظهر شىء يخالف الطبع والسليقة فطنت إليه الأذواق الناشئة وعافته وذلك نادر .. ولعل هذا هو الذى يعلل لنا قلة النصوص التى نقلها الرواه فى هذا الشأن (١).

ب – النقد المعنوى

وإذا كان العربى شديد الحساسية بلغته .. دقيق الإصابة فيها ، يجرى فى استعمالها على طبعه وسليقتة .. فإنه كذلك يدرك بفطرته أن اللغة وضعت للتعبير عن ذاته وعن إحساسة وعن قيمه ومثله ، وعن البيئة والطبيعة من حوله ، فإذا طابقت لغته المعنى الذى عبر عنه مطابقة سليمة رضى عن ذلك واطمأن إليه ، وعبر عن إعجابه ورضاه ، وإن ابتعدت عباراته عن إصابة الهدف بأن جنح إلى مبالغة لا يرضاها أو انحرف إلى معنى لا يرى صحة الإفضاء به أو التحدث فيه لبعده عن قيمه العامة ومثله

١ – النقد الأدبى فى العصر الجاهلى وصدر الإسلام د/ محمد إبراهيم نصر ص ٨٧ .

التى ارتضاها ،أو قصرت عبارته عن التجاوب مع المقام الذى يتحدث فيه ([1]).

والحقيقة الهامة التى لها وزن كبير فى النقد الجاهلى من جهه المعنى هى : أن العربى بذوقه الفطرى وثقافته التى عرفناها له كان حريصا كل الحرص على تطوير فنه الشعرى ، والصعود به إلى مستوى أليق بهذا الفن الجميل ، ومن هنا ظهرت بعض المقاييس النقدية التى تتصل بنقدهم لمعانى الشعراء وأهم هذة المقاييس هى

١- النظر فى المبالغة وملاءمتها للطبع الجاهلى .

٢- الملاءمة بين الألفاظ وما تدل عليه .

٣- النظرة فى وجود الشعر من حيث أداء وظيفته الجمالية([2]).

ولتوضيح هذه المقاييس نذكر الأمثلة والنماذج التى تدلل على هذه المقاييس معقبين عليها بما يكشف عن سماتها ويجلوطابعها .

١- من أمثلة النظر فى المبالغه وملاءمتها للطبع الجاهلى ما عيب به المهلهل بن ربيعة فى قوله :

فلولا الريح أسمع أهل حجر ∴ صليل البيض تقرع بالذكور

فقد وصف بأنه أكذب بيت قالته العرب ، لأن منزله كان على شاطىء الفرات من أرض الشام وحجر هى اليمامة وبينهما مسافة أيام([3]).

ومثله قول الطمحان القينى ([4])

---

[1] - المرجع السابق ص ٨٨ .

[2] - معالم النقد الادبى د/ عبدالرحمن عثمان ص ٩٨ .

[3] - الموشح للمرزبانى ص ٩٠ ، والعمدة لابن رشيق ٦٢/٢، والذكور أجود السيوف .

[4] - أبو الطمحان القينى : اسمه حنظلة بن الشرقى ، وقيل ربيعة بن عوف بن غنم بن كنانه بن القين بن الجسر ، شاعر مشهور .

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم ∴ دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه ([1])

والسر في عيب أمثال هذه الأبيات أن العرب كانوا يؤثرون الصدق في المعنى ويمقتون المبالغة في تصويره حتى تكون المعاني معقولة بعيدة عن الفساد يقول ابن رشيق : " ومنهم من يعيب المبالغة وينكرها ويراها عيبا وهجنة في الكلام ، قال بعض الحذاق بنقد الشعر : المبالغة ربما أحالت المعنى ولبسته على السامع ، فليست لذلك من أحسن الكلام ولا أفخره ، لأنها لا تقع موقع القبول كما يقع الاقتصاد وما قاربه " ([2])٠

٢- ومن النماذج التي يظهر فيها الربط بين الألفاظ ومعانيها في تراث الجاهليين – نقد النابغة الذبياني بيتي حسان بن ثابت – وقبل أن أسوق هذا النموذج لا بد لنا أن نعلم أن العرب اجتمعوا على الرضا بآراء النابغة وقضائه بين شعرائهم ، وهذا يدل على أمرين لهما خطرهما في هذا المقام ٠

أولهما : أن العرب في الجاهلية كانوا معنيين بالنقد على أنه وسيلة إلى تطوير الفن الشعري ، لأن النقد في تقديرهم استنهاض لهمم الشعراء وإذكاء لروح المنافسة والسبق فيما بينهم ، ولأن مجد القبيلة يتمثل في براعة شاعرها ، والقضاء له بالإحسان والجودة على مشهد من العرب جميعا ٠

وثانيهما : وهو خاص باختيار الناقد ، فهم يشترطون فيه أن يكون شاعرا فحلا ، وصاحب تجارب وبصر بالشعر على ضوء خبرته الواسعة ، والنابغة قد تمكن من الصعود على هذه القمة في العصر الجاهلي ، إذ رشحه تاريخه الطويل في قول الشعر وإبداعه لأن تضرب له قبه حمراء في سوق عكاظ ،

---

[1] – الموشح ٩٠ ، عيون الأخبار ٢٥/٤ ، والصناعتين ٣٧٢ ، والجزع نوع من الخرز تصنع منه العقود ، ونظمه سلكة في سلك٠

[2] – العمدة ٥٣/٢ ٠

وكانت الشعراء تأتيه لتعرض عليه قصائدها ، فمن نوه به وأثنى عليه وامتدح شعره طار ذكره محلقا فى الآفاق كالأعشى والخنساء([1]) .

يروى أن حسان بن ثابت أنشد النابغة الذبيانى قصيدة قال فيها مفتخرا:

لنا الجفنات الغر يلمعن بالضحى .·. وأسيافنا يقطـرن من نجدة دما

ولدنا بنى العنقاء وابنى محـرق .·. فأكـرم خـالا وأكـرم بنا ابنمـا

فقال له النابغة : أنت شاعر ، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك، وفخرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن ولدك ([2]).

ونقد النابغة لحسان فيه عدة نقاط :

١- شهد النابغة لحسان بأنه شاعر ، وجاء ذلك فى مقدمة نقدة ، ولاريب فى أن تقديم هذا الحكم الذى يشهد لحسان بالشاعرية يدل على أن النابغة ذو بصر بالشعر وبالنفوس ([3]).

٢- نقد البيت الأول يدل على وجوب التعبير عن المعنى باللفظ الذى يؤدية أداء كاملا ، بحيث ينهض اللفظ بحق المعنى ، وهذه ملاحظة بارعة لأن العرب تستحسن المبالغة فى مواطن معينة، والفخر من هذه المواطن التى تجمل فيها وتستحب.[4]

٣- نقد النابغة للبيت الثانى يدل على وعى بتقاليد العرب وعاداتهم التى تعتد بالآباء والأجداد وتقيم وزنا لحسب القبيلة ونسبها .

وعلى هذا فإن نقد النابغة يقوم على تفضيل المبالغة جريا وراء المثل الأعلى فى المعنى ، كما يقوم أيضا على تقديس ما اعتاد عليه القوم .

---

[1] - معالم النقد الأدبى د/ عبدالرحمن عثمان ص ١٠١ .

[2] - الموشح ص ٦٩ .

[3] - الذوق الأدبى د/عبدالفتاح على عفيفى ص ٢٣ .

[4] - معالم النقد الأدبى د/ عبدالرحمن عثمان ص ١٠٣ .

وتقديس المثل الأعلى ماثل فى أن (الجفنات) وهى جمع مؤنث سالم لا تدل على الكثرة مثل (الجفان) ،لأن جمع المؤنث السالم إنما يدل- فى أصل وضعة – على عدد قليل ، على عكس جمع التكسير إذا كان للكثرة فهو يدل- فى أصل وضعة – على أعداد مفرطه فى الكثره والكثره تناسب الفخر ، ولو قال الشاعر (لنا الجفان) لوصل إلى ما يريد النابغة من المبالغة ، ولحقق المثل الأعلى فى الفخر .

وتقديس المثل الأعلى أيضا ماثل فى أن كلمة (أسيافنا) – وإن كانت جمع تكسير – جمع قلة ، فجموع القلة الأربعة (أفعل- أفعلة، أفعال ، فعلة) إنما تدل – فى أصل وضعها – على أعداد لا ترفع لأكثر من عشرة ، وقد تهبط إلى ثلاثة ، والعدد القليل فى موطن الفخر غير مستحب عند العرب ، ولو قال (سيوفنا) لوصل إلى غايته فى الفخر .

ولقد حاول النابغة الذبيانى أن يصل إلى تحقيق المثل الأعلى القائم على المبالغة فى الفخر عن طريق ناقدة لفظية مستخدما ذوقة الأدبى وحسه اللغوى.

أما من ناحية العرف والعادة وماجرى عليه العرب فى الافتخار بأصولهم من آباء وأجداد- لا الافتخار بأبنائهم وفروعهم – فقد طبقها النابغة الذبيانى على قولة حسان بن ثابت :(وأكرم بنا ابنما)، ولم يقل : (فأكرم بنا أبا)، وهذه مسألة- وإن كانت معنوية – ترجع إلى الذوق الذى استهجن أن يفخر الشاعر بابنه لابأبيه . كما يفعل المفتخرون من العرب ([1]).

---

[1] – الذوق الأدبى ص ٢٣ ، ٢٤ .

٤- نقد النابغة لايستند على أسس وقواعد ، وإنما يعتمد على الذوق وحده ، وهذا الذوق إنما يقوم على العقل وعلى الحاسة اللغوية بالإضافة إلى التقاليد المتوارثة ، وبهذا كان نقد النابغة ذاتيا تأثريا .

٣- ومن النماذج التى تنظر إلى جودة الشعر من حيث أداء وظيفته الجمالية ما أورده المرزبانى بسنده قائلا : تحاكم الزبرقان بن بدر[1] ، وعمرو بن الأهتم[2] .وعبدة بن الطبيب ، والمخبل السعدى إلى ربيعة بن حذار الأسدى فى الشعر ، أيهم أشعر ؟ فقال للزبرقان : أما أنت فشعرك كلحم أسخن[3] .لا هو أنضج فأكل ولاترك نيئا فينتفع به ، وأما أنت ياعمرو ، فإن شعرك كبرود حبر[4]، يتلألأ فيها البصر ، فكلما أعيد فيها النظر نقص البصر . وأما أنت يا مخبل فإن شعرك قصر عن شعرهم، وارتفع عن شعر غيرهم ، وأما أنت ياعبدة فإن شعرك كمزادة[5]. أحكم خرزها فليس تقطر ولا تمطر[6].

---

[1] الزبرقان : اسمه حصين بن بدر بن امرئ القيس وسمى الزبرقان لجمالية والزبرقان القمر . قدم مع وفد بنى تميم على النبى ، ونادوا رسول الله من وراء الحجرات ، وأسلم وعاش إلى خلافة معاوية وكان شاعرا مفلقا .
راجع ترجمته فى الإصابة ٥٢٤/١ ،والاستيعاب ٥٦٠

[2] - عمر بن الأهتم : هو عمرو بن سنان بن سمى ، وهو جاهلى إسلامى وكان خطيبا شاعرا، راجع ترجمته وأخباره فى زهر الآداب (٥) ، والشعر والشعراء ٦٣٦/٢ والمفضليات ١٢٣ ، ٢٠٩ .

[3] - اسخن : وضع على النار مدة غير كافية فلم يتم نضجه.

[4] - البرود : الثياب المخططة ، الحبر : هى الثياب الموشاة .

[5] - المزادة هنا : مايوضع فيه الماء

[6] - الموشح ص ٩١ .

فحكم ربيعة الأسدى بين الشعراء الأربعة هو فى حقيقته حكم على شعرهم وقد بنى هذا الحكم على تشبيهات مادية تماثل تلك التى يعرفها العربى ، ويألفها فى بيئته (١)٠

وخلاصة هذه التشبيهات أن شعر الزبرقان كلام فى صورة الشعر لم يبلغ درجة النضج ، بل هو فاسد لاغناء فيه ، لأنه فقد الجزالة ، وحرارة العاطفة التى تجعل له طعما ممتازا ٠

وشعر عمرو بن الأهتم يبهر العين فتعجب به لأول نظرة، لأن ألفاظه براقة وأساليبه خلابة ، فإذا فتش الناظر فى حقيقته،واستكنه معانيه لم يجد شيئا ٠

وشعر المخبل السّعدى شعر متوسط لاينهض بصاحبة ، حتى يرقى إلى مرتبة الفحول ، ولاينحط إلى درجة كلام المتشاعرين ٠

وفى شعر عبده بن الطبيب جزالة وإحكام قوة أسر لايرى الناظر فيه ضعفا ، ولايلمح فى أساليبة أو معانيه وهنا ، فهو أشعر الأربعة ٠

وهذه الأحكام من ربيعة بعيدة عن التفصيل ، وعن الوضوح ، وعن الدقة ، وعن الاستشهاد ،وعن الدليل ، لأنها أوصاف عامة ، ولكنها تنم عن ذوق يحاول التمييز بين الجيد والردئ ، وتدل على محاولة تقويم الشعر تقويما يعتمد على الانطباع العام ، والبادرة السريعة والخاطرة الفجة التى يمليها ذوق من عاش فى هذه البيئة التى تعيش الفطرة ، وتغيب عنها الدقة ، وتفتقد إلى التعليل المريح، ولاتعرف من المعاييرالنقدية شيئا إلا الذوق الذى يحس الجمال دون أن يعرف سببه (٢)٠

---

١ -دراسات فى نقد الأدب العربى د/ بدوى طبانة ص ٧٠ ٠

٢ - الذوق الأدبى ص ٢٨ ٠

ومن النماذج التى تنظر إلى جودة الشعر أيضا نقد أم جندب لشعر زوجها ، وابن عمها علقمة الفحل ، فهو كما تقول الرواية : أن الشاعرين احتكما إليها فى أيهما أشعر ؟! فاقترحت عليهما أن ينشد كل منهما قصيدة فى موضوع واحد ومن بحر واحد ، وقافية متحدة ، فلما أنشداها القصيدتين، قالت لزوجها : علقمة أشعر منك ، قال كيف ؟. قالت : لأنك قلت :

فللسوط ألهوب ، وللساق درة ∴ وللزجر منه وقع أخرج مهذب [1].

وجهدت فرسك بسوطك فى زجرك ، ومريته فأتعبته بساقك ، وقال علقمة

فأدركهن ثانيا من عنانه ∴ يمر كمر الرائح المتحلب [2].

فأدرك فرسه ثانيا من عنانه، لم يضربه ولم يتعبه [3].

فإذا نظرنا إلى هذا النموذج نلاحظ أن كلا من الشاعرين وصف فرسه فى حال الجرى ، فعلقمة قد وصف المثل الأعلى لجرى الفرس ، فبالغ إذ جعل فرسه يدرك الصيد ، وصاحبه علقمة الراكب عليه ثنى عنانه ، ولم يضربة بسوطه ، ولم يتعقبه ولم يكلفه فوق طاقته ،فطاقته عالية لأنه أقوى الأفراس وأسرعها ، وإذا استطاع أن يدرك الصيد بقوته المعتادة دون جهد منه ، ودون إجهاد له من راكبة .

واما أمرؤ القيس فقد وصف واقع فرسه فبين أنه ألهبة بسوطه ، وأجهده بزجره ، ولولا الضرب والزجر ما أسرع الفرس .

---

[1] – ألهوب : اجتهاد من الفرس فى عدوه ، درة : إذا غمر الفرس بالساق أسرع ، الأخرج ذكر النعام : المهذب : المسرع فى حربه.

[2] – الرائح : السحاب ، المتحلب : الساقط المتتابع ، أو السائل كأنه لسرعته لايجرى ويتحرك بل يسيل سيلانا .

[3] – الموشح ٢٤ ، والشعر والشعراء ١/٢٢٤ ، و ٢٢٥ .

ولقد نظرت زوج امرؤ القيس إلى الصورة المثلى للفرس، وما ينبغي أن يكون له من قوة وسرعة فجعلته المقياس الذى تحكم به للشاعر أو عليه ، ومن هنا حكمت لعلقمة بالتفوق والشاعرية ، وخذلت زوجها امرأ القيس[1] .

وبهذا نعلم أن حكم أم جندب يدل على أنها تريد من الشاعر أن يصور الكمال الواقع فى الحياة لا الحال الواقع فعلا .. فليس المطلوب من الشاعر فى نظرها أن يكون صادقا فى تصويره واقعيا فى نظرته وإنما ينبغى أن ينظر إلى المثل الأعلى فيجب أن يكون جواد امرئ القيس ، أصلب عودا ، وأجمل منظرا ، وأكثر سرعة ، وأشد احتمالا ، وألا يلهبه فارسة بسوط ولا يسرجه بساق ، ولايزجره بصوت [2]

وحكم أم جندب اعتمد على سليقتها العربية الحساسة ، وربطها بين الشاعر وبيئته وما يكون فيها ومعايشتها الفاهمة لطبائع الفرس ، ومدى استجابته للفارس ، ومعرفتها نوعية الفرس الجيدة من الردئية ، ومايليق بكل منها وما يستجيب له [3].

والحق أن هذا النقد أخذ شكل البدايات والمطالع والنظرة الجزئية التى واكبت التيار النقدى الذى ساد هذا العصر ، ولكن هذه النظرة لم تكن دقيقة لأنها نظرت إلى جزئية واحدة وهى الصفة المثالية ، ولأنها تغاضت عن أن يكون العيب فى فرس امرئ القيس لا فى الشاعر أو فى مقدرته على الوصف الشعرى.

---

[1] - الذوق الأدبى ص ٢٥

[2] - النقد الأدبى فى العصر الجاهلى وصدر الإسلام د/ محمد إبراهيم نصر ص ٤٧، ٤٨

[3] - النقد الأدبى د/ سعد ظلام ص ٣٠ .

جـ- النقد العروضى:

الشعر العربى فى نشأته ارتبط ببعض الأنغام الموسيقية ، وقد مرت هذه الأنغام بمراحل مختلفة حتى استقرت على نظام معين أصبح جبلة وطبعا وبخاصة عند الذين رزقوا موهبة الشعر ، وبهذا اتفق الشعراء على نغمات معينة تأتلف جميعها فى الوزن والقافية ، وقد نتج عن هذا الاتفاق أن الأذواق العربية فى الجاهلية ألفت هذه الرتابة التى تحققها وحدة الإيقاع ووحدة النغم ، ونفرت من النشاز الموسيقى الناجم عن الاضطراب الذى وقع فيه بعض الشعراء.

ولهم من ذلك ملاحظات قيمة منها عيبهم على النابغة الذبيانى أنه كان يقوى فى شعر . فقد ذكر الرواة أنه لم يقو[1] أحد من الطبقة الأولى ولا أشباههم إلا النابغة فى قوله:

أمن آل مية رائح أو مغتدى ∴ عجلان ذا زاد وغير مزود

زعم البوارح أن رحلتنا غدا ∴ وبذاك خبرنا الغراب الأسود[2]

وفى قوله:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه ∴ فتناولته واتقتنا باليد

بمخضب رخص كأن بنانه ∴ عنم يكاد من اللطافة يعقد [3]

وقد قدم النابغة المدينة فعيب ذلك عليه فلم يأبه له حتى أسمعوه أياه فى غناء ، حيث قالوا للجارية إذا صرت إلى القافية فرتلى ، فلما قالت :

---

[1] - الإقواء : هو اختلاف حركة الروى فى أبيات القصيدة الواحدة ، وهو من عيوب القافية .

[2] - الزاد هنا : التوديع والسلام، والبوارح : الطيور التى كانت العرب فى الجاهلية يتطيرون بها ومنها الغراب .

[3] - النصيف كنصف الخمار ، عنم : شجرلين الأغصان تشبة به بنان الجوارى

" الغراب الأسود ، وباليد[١] علم فانتبه فلم يعد فيه ، وقال : قدمت الحجاز وفي شعري صنعة ورحلت عنها وأنا أشعر النا س" ([١])٠

وممن أقوى في شعره من الجاهليين بشربن أبي خازم يقول أبوعمرو بن العلاء : فحلان من الشعراء كان يقويان ٠ النابغة وبشر بن أبي خازم ، فأما النابغة فدخل يثرب فغني بشعره فلم يعد إلى إقواء ، وأما بشر بن أبي خازم فقال له أخوه سوادة : إنك تقوى قال وما الإقواء؟ قال : قولك:

ألم تر أن طول الدهر يسلي ∴ وينسى مثل ما نسيت جزام

ثم قلت :

وكانوا قومنا فبغوا علينا ∴ فسقناهم إلى البلد الشامي

فقال : تبينت خطئ ولست بعائد "([٢])٠

(د) تقديم الشعراء:

من صور نقد الشعر الذاتية عند الجاهلين تقديمهم شاعرا على غيره تقديما مطلقا دون ابداء علة معقولة تسوغ التقديم أو تعزز الحكم ، وتخرج به عن حيز الذاتية وأثر الهوى إلى دائرة الموضوعية السديدة ([٣])، ومنها :

ماروى من أن الحطيئة سئل عن أشعر الناس فقال : أبودؤاد حيث يقول

لا أعد الإقتار عدما ولكن ∴ فقد من قد رزئته الإعدام

من رجال من الأقارب فادوا ∴ من حذاق هم الرؤوس الكرام

---

[١] – الموشح ص ٣٧ ، والشعر والشعراء ١٠١/١ ، وطبقات فحول الشعراء ٦٧/١ ، ٦٨

[٢] – الموشح ص ٦٧ ، ٦٨ ٠

[٣] – النقد الأدبي في أطوار تكوينة عند العرب د/ محروس منشاوى الجالى ص ٨٧ ٠

فيهم للملايـنـين أنـاة ∴ وعـرام إذا يراد العـرام

فعلى إثرهم تساقط نفسى ∴ حسرات ، وذكرهم لى سقام [1]

وعلى الرغم من أن هذه الأبيات من أجود شعر أبى دؤاد كما يقول ابن قتيبة، فإن سر تقديم الحطيئة لصاحبها أن معانيها تجاوبت مع إحساسه الذاتى ، وأنها أرضت فيه نزعته الشهيرة فى تكسبه بشعره ، بيد أنه لم يعلل لحكمة حتى يكون قويما ، كما أن حكمة لا يخلو من المبالغة .

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك قول لبيد- وقد سئل من أشعر الناس ؟- فقال : الملك الضليل ، قيل : ثم من ؟ قال الشاب القتيل ، قيل ثم من ؟ قال : الشيخ أبو عقيل - يعنى نفسة " [2].

ثانيا : النقد الذى مبعثه الروية والأناة وله عدة صور:

(أ) التثقيف والتنقيح

(ب) الرواية والتلمذة

(جـ) الاختيار

التثقيف والتنقيح:

وهذه عملية فنيه بحته كانت من صنع الشعراء أنفسهم تمثل نظرتهم إلى فن الشعر وما ينبغى أن يكون عليه من نضج حتى يحظى بإعجاب سامعيه أو ينجو من مؤاخذتهم على الأقل .

وقد بدت هذه العملية النقدية فى تهذيب الشاعر شعرة وتثقيفه وتنقيحه ومراجعته وتمحيصة وبالتالى فى صنعته حتى يظهر على الناس مبرأ مما

---

1 - الشعر والشعراء ١/٢٤٤ ، ٢٤٥

2 - العمدة ١/٩٥ .

يشينه ويسمجه ، وهذا لون من النقد العملى الذى يقوم على نقد الشاعر صنعته قبل أن ينقدها غيره ([1]).

وهذه العملية بدت واضحة عند بعض الشعراء فى العصر الجاهلى فنجد بعضهم يحتفل بنظم شعره، ويتأنى فيه ويتمهل ، ويغير فيه ويبدل ، ويضيف ويحذف ، ليرضى هو عن شعره قبل أن يرضى من يستمعون إليه من العرب الفصحاء الذين يحسون بأذواقهم جمال الكلمة ووقع التعبير .

وخير من يمثل هذه العملية الشاعر الكبير زهير بن أبى سلمى الذى سمى قصائد الطويلة الحوليات ، لأنها لم تنتظم مرة واحدة ، ولم يذعها صاحبها فور إعدادها ، وإنما أعاد فيها النظر : يهذب وينقح ، ويغير ويحذف ويضيف ، ثم عرضها على الأصدقاء ممن يثق فى أذواقهم وإخلاصهم، ويقال : إنه كان يعدها فى أربعة أشهر ، وينظر فيها ويراجعها وينقح فيها ويهذب فى أربعة أشهر ثانية ،

ثم يعرضها على ذوى الرأى الصائب والذوق السليم ، والثقة المخلصة فى أربعة أشهر أخرى ، ليروا فيها رأيهم ، ويقدموا نصحهم ، وقد يستجيب لهم فيغير ويبدل ، ويزيد أو ينقص ، متى اقتنع بذاك وتذوقه واطمأن إلى أنه أجمل صياغة ، وأحسن أثرا مما قد صاغة هو ، ومايزال كذلك يبدع وينقد ويسمح للآخرين بنقده حتى تستوى له فى حول كامل مطولته أو حوليته منفحة غاية التنقيح ([2]).

وقد تحدث الجاحظ عن هذه العملية النقدية عند بعض الشعراء الجاهلين ووصف الجهد الذى كان يبذله هؤلاء لتثقيف شعرهم وصناعته

[1] - النقد الأدبى فى أطوار تكوينه عند العرب ٩٦ .
[2] - الذوق الأدبى د/ عبدالفتاح على عفيفى ص ٢٠ .

صناعة محكمة بقوله :" ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمكث عنده حولا كريتا وزمنا طويلا ،يردد فيها نظره ويجيل فيها عقله ، ويقلب فيها رأيه ، اتهاما لعقله ، وتتبعا على نفسه ، فيجعل عقله زماما على رأيه ، ورأيه عيار على شعره ، إشفاقا على أدبه ، وإحرازا لما خوله الله من نعمته ، وكانون يسمون تلك القصائد الحوليات والمنقحات والمحكمات ، ليصير قائلها فحلا خنذيذا (١) وشاعرا مفلقا " (٢).

ولقد اشتهر بهذه العمليه من الشعراء الجاهلين أوس بن حجر وزهير بن أبى سلمى،وكعب بن زهير والحطيئة وطفيل الغنوى والنمر بن تولب وغيرهم ، ممن سموا عبيد الشعر (٣)، وتمثل هذه الطريقة خطوة كبيرة من خطوات نقد الشعر فى العصر الجاهلى .

فها هو ذا كعب بن زهير يذكر الشعر وحاجته إلى التقويم والتثقيف ويذكر فضله وفضل الحطئية فيقول (٤):

ومن للقوافي شأنها من يحوكها ∴ إذا ما ثوى كعب وفوز جرول (٥)

يقومهـا حتى تلـين متـونها ∴ فيقصـر عنهـا كـل ما يتمثل (٦)

---

١ - خنذيذا: تاما . قال الجاحظ : والشعراء عندهم أربع طبقات : فأولهم الفحل الخنذيذ ، والخنذيذ هو التام ، ودونه الشاعر المفلق ، ثم الشاعر الشويعر ، راجع البيان والتبين ٤/٢

٢ - البيان والتبين للجاحظ ٤/٢ ط دار الكتب العلمية بيروت .

٣ - العمدة ١٣٣/١ .

٤ - الشعر والشعراء ١٥٩/١ .

٥ - القوافى: الأشعار . شانها من يحركها : ألحق بها العيب من يتصدى لصنعها ونسجها ثوى ، فوز : مات . جرول : اسم الحطيئة ، وهو جرول بن أوس بن مالك .

٦ - يقومها : يهذبها ويقوم معوجها . المتون جمع متن ، وهو الظهر ، أى تستقيم كما يريد . ما يتمثل : ما يشتهر كالمثل .

والحطيئة يذكر صعوبة المرتقى إلى جيد الشعر ، وحاجة الشاعر إزاءه إلى الجهد والخبرة ، إذ يقول ([1]):

الشعر صعب وطويل سلمه ∴ إذا ارتقى فيه الذى لايعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه ∴ يريد أن يعربه فيعجمه

وعملية التثقيف والتنقيح تصور إداركهم لقيمة الفن الشعرى وما ينبغى أن يكون عليه من جمال ونضج ، " ومن هنا يصح لنا أن نستنتج أن العرب فى تلك المرحلة كانوا على علم ولو غير ناضج بالجمال الشعرى ومقاييسه الفنية ، ومعطياته العامة ، يؤكد ذلك ما سبق أن ذكرناه من أن بعض كبار الشعراء كزهير مثلا كان ينقح شعره ، فلا يخرج قصائده إلا بعد حول كامل يقسمه على مراحل ، وهذه القصائد سميت ' بالحوليات ' ولا يكون التنقيح إلا إذا أدرك الشاعر بعض النواحى التى يرتكن إليها فى عمله هذا "([2]).

وعناية الشاعر الجاهلى بشعره : بالنظر فيه وتقويمه وتثقيفه منحى نقدى جاهلى ، سار على نهجه كثير من الشعراء الذين تتابعوا عبر العصور.[3]

ومن هؤلاء الشعراء الذين جروا فى طلق الشعراء الجاهليين عدى بن الرقاع ، وسويد بن كراع ، ومروا ن بن أبى حفصة ، فها هو ذا عدى بن الرقاع يتحدث عن تقويمه لشعره وتثقيفه له فيقول:

وقصيدة قد بت أجمع بينها ∴ حتى أقوم ميلها وسنادها

---

[1] – الأغانى : ١٩٦/٢ .

[2] – النقد الأدبى د/ سعد ظلام ص ٣٣ .

[3] – مجلة الجامعة الإسلامية بالمدنية المنورة العدد (٥٩) لسنه ١٤٠٣ هـ مقال للدكتور محمد عارف محمود حسين تحت عنوان " ملامح النقد الأدبى ومقاييسه فى العصر الجاهلى " ص ٢٨٥ .

نظر المثقف فى كعوب قناته ∴ حتـــى يقيم ثقـــافه مـــنآدها [1]

وهذا سويد بن كراع [2] يصف نزعة الصناعة وصفا أدبيا فى وجه البداهة والارتجال إذا يقول [3]:

أبيت بأبواب القوافى كأنما ∴ أصادى بها سربا من الوحش نزعا[4]

أكالئهـــا حتى أعرس بـعدما ∴ يكون سحـــيرا أو بعـيد فأهجعا [5]

ثم يقول

وجشمنى خوف ابن عفان ردها ∴ فثقفـــتها حولا جريدا ومربعا [6]

وقد كان فى نفسى عليهـا زيادة ∴ فلـــم أر إلا أطـــيع وأسمعا

الرواية :

كانت رواية الشعر فى العصر الجاهلى هى الأداة الطيعة لنشره وذيوعه ، وكانت هناك طبقة تحترفها احترافا هي طبقة الشعراء أنفسهم ، فقد كان من يريد نظم الشعر وصوغه يلزم شاعرا يروى عنه شعره ، ومايزال يروى له و لغيره حتى ينفتق لسانه ، ويسيل عليه ينبوع الشعر والفن [7]٠

---

[1] – الشعر والشعراء ٨٤/١ ، والسناد هنا العيب فى الشعر ، والمنآد : المعوج ٠

[2] – هو سويد بن كراع العكلى ، من بنى الحارث بن عوف : شاعر فارس مقدم ، كان فى العصر الأموى صاحب الرأى والتقدم ٠

[3] – الشعر والشعراء ٨٤/١ ٠

[4] – أصادى : أراجى وأخاتل ، النزع : جمع نازع ، وهو الغريب ٠

[5] – أكالئها : أرقبها ٠ التعربس النزول فى وجه السحر ٠

[6] – الجريد : التام الكامل

[7] – العصر الجاهلى د/ شوقى ضيف ص ١٤٢ ط دار المعارف التاسعة ٠

وبهذا كانت الرواية تمثل مدرسة فنية يتعلم فيها الناشئ أو المبتدئ من الشعراء أصول الفن،كما يتعلم الحرفيون اليوم أصول الحرفة وقواعد المهنة ([1]).

والملاحظ أن مدرسة الرواة تتسلسل فى طبقات أو حلقات ، وكل حلقة تأخذ عن سابقتها وتسلم إلى لاحقتها ، ومن ثم نشأت السلاسل الشعرية فى كثير من القبائل ، مثل :

سلسلة أوس بن حجر الذى كان زوجا لأم زهير بن أبى سلمى ، فنشأ هذا راوية لأوس ، وعن زهير أخذ ابنه كعب

وسلسلة المهلهل خال امرئ القيس

وسلسلة المرقش الأكبر عم المرقش الأصغر عم طرفة بن العبد

وسلسلة الهذليين ([2]).

وأما عن دور الرواية فى النقد فى العصر الجاهلى فدورها كبير ، وللرواة منزلة عالية هناك ، فهم كالصحف السيارة فى الذيوع والانتشار وكانوا يقومون بما تقوم به الإذاعة المسموعة والمرئية فى النشر والوصول إلى المستمع المشاهد ، وهم كالموسوعات فى تسجيل الشعر وحفظه ، ومعرفة الشعر وأخباره وقصائده ن وهم المحامون عن شعرائهم يذودون عنهم ويدافعون عن شعرهم فى إخلاص وحماس ، ومن هذا المنطلق أباحوا لأنفسهم نقد هذا الشعر ، ثم تعديل بما يتمشى مع هذا النقد فى حدود ضيقة تجعل الشاعر يتقبل هذا النقد وذلك التعديله ، لعلمه أن راوية شعره مخلص له ولشعره ، ولثقته فى ذوقه الذى أملى عليه ذلك التعديل ، وقد ساعد الرواة

---

[1] - من الظواهر الفنية فى الشعر الجاهلى د/ سعد ظلام ص ٤٣ ط مؤسسة يوم المستشفيات .

[2] - فى تاريخ الأدب الجاهلى د/ على الجندى ص ١١٩ ، ١٢٠ ط مكتبة الشباب .

على القيام بهذا الدور الذى تقوم به الصحف والإذاعات والموسوعات ، والذى يقوم به النقاد عدم التدوين فى ذلك الوقت اعتمادا على روايته حفظا من الذاكرة ([1])٠

وهذا التعديل من جانب الرواة قد يفسر ظاهرة الروايات المتعددة فى الشعر على وجه من الوجوة ، من حيث ترتيب القصيدة ، أو اختلاف بعض كلماتها، ومن حيث الزيادة أو النقصان فى أبياتها ٠

ودور الرواة – على هذا الوجة – دور ناقد ، لأن الراوية ينشد شعر من يروى له ، وعمله يقتضى أن يكرر الإنشاد ، وهذا قد تتكشف له – فى أثناء الإنشاد أو فى أثناء مناقشة ما قاله الشاعر – بعض العيوب الصغيرة ، وقد يتجرأ ويحد عمله- غير مكتف بالإنشاد أو غير مكتف برأيه فى القصيدة – فيصلح ما تراءى له ، ثم ينشد القصيدة منقحة حرصا منه على شاعره الذى يريد له المنزلة العالية ، والمكانة المرموقة ، عند من يتلقون شعرة من المتذوقين ٠

الاختيار

ونعنى به أن يفطن الناقد بذكائه ولما حيته إلى أن أدبا ما أو أديبا ما قد بلغ درجة من الحسن والجودة ، فصار بحيث ينبغى أن يشار إليه وأن يجعل فى صدر نوعه ، وأنموذجا لجنسه ([2])٠

والاختيار من العمليات النقدية التى توافر فيها الذوق والعقل جميعا ، والتى صدرت عن روية وأناة ، ولم تأت عفوا أو ارتجالا ، واختيار العرب

---

[1] – الذوق الأدبى ص ٢١ ٠

[2] – اتجاهات النقد الادبى العربى ، للأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود ص ٤٧ د دار الطباعة المحمدية ٠

للمعلقات دليل واضح على ذلك ؛ قال ابن عبدربه: " قد بلغ من كلف العرب بالشعر وتفضيلها له أن عمدت إلى سبع قصائد تخيرتها من الشعر القديم فكتبتها بماء الذهب فى القباطى المدرجة وعلقتها باستار الكعبة "([1])

وهذا الاختيار يعكس تصور المختار للمثل الأعلى الذى يروقة كما أنه يدل على تذوقة للصور الفنية الناضجة التى كانت عليها هذه القصائد مبنى ومعنى ، والتى ظل الذوق العربى يألفها وينسج على منوالها طوال عصور الأدب المتتابعة ([2])- على الرغم من تعدد الثقافات وتنوع المذاهب - ولما كان " اختيار الرجل الشعر قطعة من عقلة "([3]) كما يقول الراغب الأصبهانى فإن هذا الاختيار فى جوهره عملية نقدية بحته تمثل ذوق المختار وإحساسه بالجمال وتقديره له تقديرا يقوم على التروى والتوده دون الارتجال والاندفاع.

ولم تزل الأذواق المثقفه حتى عصرنا هذا تستجيد هذه القصائد وتعدها نموذجا حيا للشعر الجاهلى وتقدمها على سواها من مأثور الجاهلين فى هذا الفن ، وفى هذا دليل على سلامة ذوق الجاهلين وصفاء ملكاتهم .

---

[1] - العقد الفريد لابن عبدربة ٨٩/٣

[2] - النقد الأدبى فى أطوار تكوينه عند العرب د/ محروس منشاوى الجالى ص ١٠٢

[3] - محاضرات الأدباء ٩٣/١ . والبيان والتبيين ٥٤/١ بيروت .

طبيعه الأحكام النقدية وسماتها فى العصر الجاهلى :-

لعلنا نستطيع - من خلال ماتقدم من حديث عن صور النقد الجاهلى - أن نستنتج طبيعة الأحكام النقدية فى هذا العصر ، وأن نقف على سماتها وهى تتمثل فى الأمور الأتية :

١- الذوق الفطرى:

إن طبيعه الأحكام النقدية فى العصر الجاهلى اتسمت بالذوق الفطرى ، فلم تكن للنقد أصول معروفة ، ولا مقاييس مقررة ، " بل كانت مجرد لمحات ذوقية ، ونظرات شخصية ، وتقوم على ما تلهمهم به طبائعهم الأدبية ، وسليقتهم العربية ، وأذواقهم الشاعرة ، وحسهم اللغوى الدقيق بلغتهم ، وإحاطتهم بأسرارها ، ووقوفهم على ما للألفاظ من دلالات وإيحاءات فى شتئ صورها "(١)

وحينما نحاول تطبيق هذه السمة الذوقية الفطرية التى على أساسها كان الناقد الجاهلى يستلهم أحكامه ، ويبنى نقده .... حينما نحاول تطبيق ذلك على ما تقدم من لمحات نقدية ، نجد ذلك واضحا تمام الوضوح ٠

فنقد النابغة لشعر حسان بن ثابت - والذى أوردناه من قبل- كان مستمدا من فهم النابغة لطبيعة اللغة العربية ، ومعرفته التامة بدلالات الألفاظ ، وماتوحى به أبنية الكلمات من معان وإيحاءات ٠

ونقد أهل المدينة لشعر النابغة ، لما فيه من إقواء ، كان نابعا من فهم العربى لطبيعة الشعر العربى ، ولما ينبغى أن يكون عليه من انسجام فى الوزن ، واتساق فى النغم ، والأمر الذى يتطلب - ضمن ما تتطلبه قواعد

---

١ - يرجع مقال الدكتور محمد عارف محمود حسين السابق بمجلة الجامعة الإسلامية ص ٢٩١

الشعر العربى - وحدة حركة الروى التى تكسب الشعر اتساقا وانسجاما ، ولذا كان اختلاف حركة الروى- الإقواء- فى شعر النابغة مذهبا لروعة الوزن ، واتساقه ، بل محدثا لنوع من التنافر فى النغم ، مما جعلة غير متسق ولا منسجم .

ونقد طرفة لشعر المتلمس لوصفة الجمل بصفة الناقة ، كان مبنيا على فهم واع بطبيعة البيئة العربية ومعرفة تامة بالسمات والصفات ، والتى تتميز بها الحيوانات العربية ، لاسيما الحيوانات التى كانت مرتبطة بحياة العربى ، وكان العربى مرتبطا بها .

٣- الارتجال فى الأحكام:

وهذه السمه تتصل اتصالا مباشرا بالذوق الفطرى الذى يعد أساسا هاما فى صدور الأحكام النقدية .. غير أن هذه الظاهرة تعد أثرا من آثار التذوق .. فبعد أن يتذوق الناقد الشعر يصدر حكمه إما ارتجالا وإما بعد إناة وروية ، ودراسة موضوعية لنواحى الجودة أو الرداءة . ولكن السمة الغالبة فى النقد الجاهلى هى سمة الارتجال ، والبعد عن الدراسة التفصيلية للقصيدة وتحليلها ([1]).

والذى ينظر فى تلك الأقوال المأثورة فى النقد الجاهلى يرى لأول وهلة أنها متسمة بالارتجال . وأنه ليس فى أكثر تلك الأحكام ما ينبئ عن النظرة الفاحصة ، أوالدراسة الممعنة التى ينشأ عنها الرأى الذى يدعمه البرهان ، وتؤيده الحجة ، ويستعان عليه بالخبرة الواسعة ، والعقلية المستنيرة ، والتفكير المثقف ([2]).

---

[1] - النقد الأدبى د/ محمد إبراهيم نصر ص ٨٣ .

[2] - دراسات فى نقد الأدب العربى د/ بدوى طبانة ص ٦١ .

٣- الجزئية :

ونقصد بها تناول الناقد لجزئيات من الجوانب الفنية للقصيدة ، كجانب الألفاظ أو جانب المعانى ، أو جانب الوزن ، مثلا ، دون تناوله للقصيدة كلها تناولا متكاملا يتجه إلى ذلك النقد الحديث [1]٠

فيتناول الناقد الجاهلى لفظة ، أو ألفاظا ، فيصفها - مثلا - بالسلاسة أو الجزالة ،أو يتناول معنى أو معانى وردت فى القصيدة ، فيسمها بالصحة أو الخطأ ، أو بالوضوح أو الغموض ٠وخير ما يمثل ذلك مما قدمنا من أمثلة : نقد طرفه لشعر المتلمس ، فقد استهدف فيه طرفة جانب المعنى ، ونظر فيه فوجده خطأ ٠

ومنه - أيضا -نقد أهل المدينة لشعر النابغة ، فهو نقد استهدف جانب الوزن - أو الشكل الموسيقى - ورأى فيه نشازا فى الوزن ، حيث اختلفت حركة الروى فى الأبيات ، فأحدثت هذا النشاز فى الوزن ، والتنافر فى النغم ، مما آذى السمع ، وأذهب بشئ غير يسير من روعة الوزن ٠ وكذلك نقد النابغة لبيت حسان السابق الذكر ، كله منصرف إلى ألفاظ وكلمات دون تناول النقد للنص كعمل فنى متكامل ٠

والملاحظ أن الناقد الجاهلى أما أن يتعرض للشعر أو للشاعر ، هذان هما الميدانان اللذان جال فيهما النقد جولات خفيفة فى العصر الجاهلى : الحكم على الشعر والتنويه بمكانة الشعراء ، فأما غير ذلك من البحث فى طريقة الشاعر ، أو مذهبه الأدبى ، أو صلة الشعر بالحياة الاجتماعية ، فذلك مالم يعرفه العصر الجاهلى ٠

---

[1] - مقال الدكتور محمد عارف محمود حسين السابق بمجلة الجامعة الإسلامية ص ٢٩٥ ، ويرجع أيضا النقد الأدبى د/ سعد ظلام ص ٣١ ٠

٤- العموم:

ونعني به أن يطلق الناقد – في أحيان كثيرة – أحكامه ، ويرسل آراءه ، دون أن يذكر سببا ، أو يردف علة، وخير مثل لذلك قول الحطيئة – وقد سئل عن أشعر العرب –: أشعر العرب الذي يقول :

ومن يجعل المعروف من دون عرضه ∴ يفره ومن لايتق الشتم يشتم

يقصد زهيرا ، ثم سئل : ثم من ؟ قال : الذي يقول:

من يسأل الناس يحرموه ∴ وسائل الله لايخيب

يعني عبيد الأبرص (١)٠

ومن ذلك حكمهم على بعض القصائد بأنها بالغة منزلة عليا في الجودة بالموازنة بغيرها ، كقولهم في قصيدة سويد بن أبي كاهل اليشكري التي مطلعها :

بسطت رابعة الحبل لنا ∴ فوصلنا الحبل منها ما اتسع

قولهم عنها أنها من خير القصائد ودعوها اليتيمة (٢)٠

٥- الإيجاز:

ونعني به أن الناقد كثيرا ما يغلف حكمة النقدي بعبارة موجزه ، يفهم منها ما يراد ولكن دون شرح أو تفصيل ، وذلك يتضح من نقد طرفة لشعر المتلمس السابق ، حينما قال :" استنوق الجمل " فهذه عبارة موجزة تحمل حكما نقديا عيب به على شعر المتلمس الذي وصف الجمل بسمة الناقة ٠

١ - الشعر والشعراء ١ / ٢٢٠ / ٢٢١ ٠
٢ - المفضليات هامش ١٩٠ ٠

الفصل الثالث

النقد فى عصر صدر الإسلام

النقد في عصر صدر الإسلام

تمهيد :

لا يستطيع ناقد من النقاد الذين يكتبون عن النقد في عصر صدر الإسلام ، أن يخوض لجة هذا البحر العميق إلا إذا لفت الأنظار إلى الينبوع الأول في تكوين هذا العصر الأدبى وهو القرآن الكريم ، الذى بهر العرب - وفى مقدمتهم الشعراء - بروعة أسلوبة وسحر بيانه ، وهم فرسان القول ، وأساطين البلاغة والفصاحة ، واستيقن الشعراء أنه ليس فى استطاعتهم أن يجاروا أسلوبة فتراجعوا وتقهقروا.

وقد أحدث القرآن تأثيرا كبيرا فى حياة العرب فقد نقلهم من البداوة إلى الحضارة ، فتحضر بذلك أدبهم . وهو الذى وصلهم بالأمم والثقافات الأخرى، فتحضر بذلك شعرهم ونثرهم . وهو الذى كون بهم إمبراطورية إسلامية كبرى، فذاعت آثارهم واتسع أفقها وتعددت بيئاتها وهو الذى جعل العرب - أو المسلمين - يطبعون الحضارة العامة بطابع إسلامى خالد[1].

ومما هو معروف لدى نقاد الأدب ودارسيه ، أن القرآن قد جمع العرب على لهجة قريش التى نزل بها ، وأنه حول العربية إلى لغة قويمة وحفظ لها أصولها ومعالمها ، كما أحل فيها معانى جديدة وألفاظا جديدة عبرت عن هذه المعانى،وأنه كذلك هذب اللغة من الحوشية والألفاظ الغريبة واختط أسلوبا جزلا له طلاوته ورونقه مع وضوح قصده والوصول إلى غرضه من أقرب طريق [2].

---

[1] - فى الأدب الإسلامى د- سليمان حسن ربيع ، ص ٢٦ ط مطبعة السعادة .

[2] - راجع : أثر القرآن فى اللغة العربية للشيخ أحمد حسن الباقورى ، وتاريخ الأدب العربى فى العصر الإسلامى د/ شوقى ضيف جـ ٢ ص ٣٠ وما بعدها بتصرف ط دار المعارف الثامنة

ولما كان العرب مفطورين على تذوق جيد الكلام ، فلقد وقفوا أمام بلاغة القرآن مبهورين مشدوهين ، وذلك لقوة تأثيره في النفوس وجمال وقوعه في الآذان ، وبما له من خصائص أسلوبية تميز بما عن كلامهم وبذ فيها آدابهم ، حتى وجدنا من صد عن الدعوة ، ولم يذعن لصاحبها - صلى الله عليه وسلم - لم يقو على أن يكتم إعجابه أو يخفي دهشته عن روعة القرآن وأخذه بناصية القلوب ([1])

وذلك كما كان من الوليد بن المغيرة الذى وصف القرآن وصفا دقيقا في قولة الذائع :

" إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة ، وإن أعلاه لمثمر إن أسفله لمغدق ، وإنه يعلو ولا يعلى عليه "([2]) ومع أن القوم كانوا أرباب فصاحة ولسن وأنهم جدوا في العناد ولجوا في المكابرة ، فلقد تحداهم القرآن بأن يأتوا بمثل أقصر سورة فعجزوا ، وهيهات لهم أو لغيرهم أن يأتوا بمثل ما تحداهم به " قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا "([3]) ومن ثم كان القرآن ينبوعا قويا من الينابيع " التى اكسبت اللغة عذوبة في اللفظ ، ورقة في التركيب ، ودقة في الأداء ، وقوة في المنطق ، وثروة في المعاني " ([4]).

وهناك ينبوع أخر هو كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذى كان في فصاحتة لسانه وبلاغة قوله بالمحل الأفضل ، والموضع الذى لايجهل،

---

[1] - النقد الأدبى د/ محروس منشاوى الجالى ص ١١٧

[2] - السيرة النبوية لابن هشام ١/٢٧١ ، ط دار الفكر بالقاهرة .

[3] - سورة الإسراء الآية (٨٨) .

[4] - تاريخ الأدب العربى للأستاذ أحمد حسن الزيات ص ٩٠ ط نهضة مصر .

سلاسة طبع ، وبراعة منزع ، وإيجاز مقطع ، وفصاحة لفظ وجزالة قول، وصحة معنى ، وقلة تكلف (١)٠

ومن المتفق عليه بين نقاد الأدب ودارسيه أن الحديث النبوى ساعد على تهذيب الألسنة ن وتثقيف الطباع ، والقضاء على عهد الحوشية والغرابة والمعاظلة والتعقيد فى البيان ، وأحل محل ذلك السلاسة والسهولة والرونق والوضوح وسلامة الأسلوب والبيان ، وقضى على سجع الكهان ، ورفع منزلة النثر ، وهذب أغراض الأدب وفنونه ، وأصبح موردا عذبا من الثقافة الأدبية على توالى العصور (٢)٠

وهذان الينبوعان القويان كان لهما عميق الأثر فى تكوين الأدب فى هذا العصر وما تلاه من عصور ، حيث عكف الناس على القرآن يتدبرون معانية ويتدارسون آيه، ويتخذون منه مثلا فريدا فى التعبير والتصوير ويتزودون من أساليبة الراقية وصوره المثلى ومعانيه السامية ، ومثل ذلك كان موقفهم من البيان النبوى الرائع البليغ المؤثر ٠

ومعنى هذا أن الإسلام قد انتقل بالأذواق من طور إلى طور ، وأنه أحدث تغييرا هائلا فى الحياة الأدبية مما دفع الشيخ عبدالمتعال الصعيدى لتأليف سفر كبير فى هذا العصر أطلق عليه اسم - الإصلاح الإسلامى فى أدب صدر الإسلام - وكان هدفة من هذا الكتاب بيان النهضة الدينية والأدبية معا ، ولكن النهضة الدينية كانت هى المقصودة أولا، وقد تبع هذه المحاولة النهوض بالأدب ثانيا ، ليسير فى سبيل الإصلاح الدينى، وليؤدى رسالته فى هذه النهضة

---

١ - راجع: النتاج الأدبى للشيخ عبدالمتعال الصعيدى موضوعاته وخصائصة (رسالة دكتوراة للمؤلف) ص ٥٤٣ ٠

٢ -الحياة الأدبية فى عصرى الجاهلية وصدر الإسلام للدكتورين - خفاجى وصلاح عبدالتواب ص ٢٨٠ ط مكتبة الكليات الأزهرية ٠

الدينية السياسية الجديدة ، لأنها ترمى إلى جمع كلمة العرب على دين يرفع رأسها بين الأمم ، ويجعلها أمه مثالية وهذا لن يكون إلا إذا سار الأدب مع الدين جنبا لجنب فى التمهيد لهذه النهضة ليكون لسانها الناطق بدعوتها ، المؤيد لأهدافها وأغراضها ([١])٠

[١] - راجع : النتاج الأدبى للشيخ عبدالمتعال الصعيدى (رسالة دكتوراه للمؤلف) بكلية اللغة العربية بالقاهرة ، ص ١١٠ ٠

موقف الإسلام من الشعر والشعراء

هناك هدف أساسى من الحديث عن موقف الإسلام من الشعر والشعراء ، وهذا الهدف هو الرد على الوهم الشائع بين بعض النقاد ، وفحواه أن الشعر ضعف فى عصر النبوة عن مستواه الفنى ، وذلك لأن الإسلام يكره الشعر بل ويحرمه ، واستدل هؤلاء بالأدلة الآتية :

١- قال تعالى (والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون) [١].

٢- وقال تعالى (وما علمناه الشعر وما ينبغى له) [٢] استخلصوا من هذا أن القرآن يحط من قدر الشعر بدليل أن الله كرم نبيه ولم يعلمه الشعر ، وما ذلك إلا لأن الشعر ينقص من قدرة ويحط من منزلته .

٣- وقوله- صلى الله عليه وسلم - فيما رواه أبوهريرة " لأن يمتلى جوف أحدكم قيحا يريه ، خير من أن يمتلى شعرا "[٣].

٤- متابعة هؤلاء النقاد الأصمعى الذى يرى : أن" الشعر نكد بابه الشر ، فإذا دخل فى الخير ضعف ،ألا ترى أن حسان بن ثابت كان قد علا فى الجاهلية والإسلام ، فلما دخل شعره فى الخير- من مراثى النبى صلى الله عليه وسلم وحمزة وجعفر - رضوان الله عليهم- لان شعره وطريق الشعر هو طريق شعر الفحول مثل امرئ القيس وزهير والنابغة من صفات الديار والرحيل والهجاء والمديح ، والتشبيب بالنساء ، وصفة

---

[١] - الشعراء : ٢٢٣ .

[٢] - يس: ٦٩ .

[٣] - صحيح مسلم ١٧٦٩/٤ تحقيق الأستاذ محمد فؤاد عبدالباقى ط دار الكتب العربية فيصل الحلبى .

الخمر والخيل والحروب والافتخار ، فإذا أدخلته من باب الخير لان "([1]).

والحق أننا إذا نظرنا إلى الأدلة السابقة نظرة تأمل وتدقيق نستطيع أن ندفع تلك الشبهة من خلال النظرة الصائبة لهذه الأدلة .

فالآية الأولى لا تقصد إلى تهجين الشعر بعامة ، وذم الشعراء أجمعين، فالاستدلال بها على ما ذكروه تعميم خاطئ ، وتأويل للآية على غير وجهها الصحيح ، ذلك أن أولى الأقوال بالصواب فى تأويلها ما ذهب إليه أهل التاويل من المفسرين ، من أن المراد بالشعراء المذمومين فى الآية الكريمة شعراء المشركين ، الذين يتبعهم غواة الناس أوسفهاؤهم ([2]).

وتعلل الآية لهذا الحكم بأن هؤلاء الشعراء (فى كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالايفعلون) ، أى أنهم يذهبون فى شعرهم على غير قصد ، بل يجورون عن الحق ، وطريق الرشاد ، وقصد السبيل ، وهذا " مثلٌ ضربه الله لهم فى افتتانهم فى الوجوه ، التى يفتنون فيها بغير حق ، فيمدحون بالباطل قوما ، ويهجون آخرين كذلك بالكذب والزور "([3]).

ومما يدل على أن المعنى بالشعراء فى الآية شعراء المشركين خاصه قولة تعالى بعد هذا التعليل :(إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ، وهو استثناء للمؤمنين من الشعراء بعامة ، قصد به شعراء رسول الله بخاصه ، الذين نافحوا عنه وعن دعوته وأصحابه ضد شعراء المشركين ، بدليل قوله تعالى بعد ذلك : (وانتصروا من بعد ما ظلموا) ، أى انتصروا ممن هجاهم من

---

[1] - الشعر والشعراء ٣١١/١ ، والموشح ص ٧١ .

[2] - الأدب فى عصر النبوة والخلفاء الراشدين د/ صلاح الدين الهادى ، ص ٢٢١ ط الثانية ١٩٧٩ .

[3] - تفسير الطبرى ٧٨/١٩ ط دار الريان للتراث .

شعراء المشركين ظلما ، بشعرهم وهجائهم أياهم ، وإجابتهم عما هجوهم به[١].

وإذا دققنا النظر فى آية الاستثناء نجد أن القرآن الكريم - كما لاحظ الفخر الرازى - استثنى الموصوفين بأربعة أمور: الإيمان ، والعمل الصالح ، وأن شعرهم فى التوحيد والنبوة ودعوة الخلق إلى الخير ، وهو قوله تعالى : (وذكروا الله كثيرا) وألا يذكروا هجوأحد إلاعلى سبيل الانتصار ممن يهجوهم ، وهو قوله تعالى:(وانتصروا من بعد ما ظلموا)[٢]

ونؤيد كلامنا بما قاله ابن رشيق يقول : " فأما احتجاج من لايفهم وجه الكلام بقوله تعالى :(والشعراء يتبعهم الغاوون ، ألم ترأنهم فى كل واد يهيمون وأنهم يقولون مالايفعلون) فهوغلط ، وسوء تأول ، لأن المقصود بهذا النص شعراء المشركين الذين تناولوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجاء ، ومسوه بالأذى ، فأما من سواهم من المؤمنين فغير داخل فى شئ من ذلك : ألا تسمع كيف استثناهم الله عز وجل ونبه عليهم :(إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا) يريد شعراء النبى صلى الله عليه وسلم الذين ينتصرون له، ويجيبون المشركين عنه ، كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبدالله بن رواحة . وقد قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم :"هؤلاء أشد على قريش من نضح النبل "[٣]... فلو أن الشعر حرام أو مكروه ما اتخذ النبى صلى الله عليه وسلم شعراء يثيبهم على الشعر ، ويأمرهم بعمله ويسمعه منهم [٤].

---

١ - نفس المرجع ١٩/٨٠ .

٢ - مفاتيح الغيب ١٢/١٨٠ ط دار الغد العربى.

٣ - نضح النبل : الرمى بها .

٤ - العمدة ١/٣١ .

وخلاصه القول إن الآية لايصح الاستدلال بها على كراهية القرآن للشعر ، لأن القرآن لم يكره الشعر من حيث هو شعر ، وإنما يكرة شعرا معينا ويكره شعراء بعينهم وهم الذين يؤذون الرسول والمؤمنين وأما الشعراء الذين دافعوا عن الإسلام ، وذادواعن حوضه وترسموا الأخلاق الفاضلة والقيم العالية فهذه الطائفة التى يجلها القرآن .

وأما الآية الثانية التى تنفى الشعر عن النبى صلى الله عليه وسلم ، فليس فى نفيه عنه غض لقيمة الشعر ، أوتقليل من شأنه ، بل فى نفيه عنه دلالة إعجاب أشد ، فقد نفى الله عن نبيه الشعر الذى عرف بين العرب بقوة التأثير ، وبلاغة الدلالة ، والقدرة على الفصاحة ، فلئن كان نثر العرب أقل تأثيرا فقد علمه الله سبحانة وتعالى نبيه كلاما من جنس سائر النثر ([1]).ولكنه أقوى تأثيرا، وأعظم بيانا من الشعر وأما قوله تعالى (وما ينبغى له) فالمقصود ، وما ينبغى له أن يبلغ عنا مالم نعلمه ،لأمانته ومشهور صدقه ([2])

ولابن رشيق كلام طيب فى معرض الرد على من لم يفهم الآية على وجهها ، حيث يقول :" ولو كان كون النبى صلى الله عليه وسلم غير شاعر غض من الشعر ، لكانت أميته غضا من الكتابة ، وهذا أظهر من أن يخفى على أحد " ([3])

ونرى أن الله سبحانه ينزه رسوله عن كونه شاعرا ، حين نسبت قريش فضيلة الرسول ، وحجته البالغة إلى تأثير الشعر ، لا إلى فضل الرسالة، وزعمت أن مايتلوه ليس وحيا من عند الله ، بل إلهاما من شيطان الشعر .

---

[1] - النقد الأدبى د/ محمد إبراهيم نصر ص ١٢٧ .
[2] - العمدة ٢١/١ .
[3] - نفس المرجع والصفحة.

وأما قول الرسول صلى الله عليه وسلم :" لأن يمتلى جوف أحدكم قيحا يريه خير من أن يمتلى شعرا " ٠٠ فيرد على الذين استدلوا به بأمرين :

الأول: إن مفهوم الحديث أن من غلب الشعر على قلبه ، وملك نفسه حتى شغله عن دينه وإقامة فروضه ، ومنعه من ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن، والشعر وغيره - مما جرى هذا المجرى من شطرنج وغيره - سواء ٠ وأما غير ذلك ممن يتخذ الشعر أدبا وفكاهة وإقامة مروءة فلا جناح عليه وقد قال الشعر كثير من الخلفاء الراشدين ، والجلة من الصحابة والتابعين والفقهاء المشهورين (١)٠

الثاني : يتعلق برواية الحديث وهى منقوصة بدليل قول عائشة - رضى الله عنها- يرحم الله أبا هريرة حفظ أول الحديث ولم يحفظ آخرة ، إن المشركين كانوا يهاجمون رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :" لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحا خير له من أن يمتلى شعرا من مهاجاة رسول الله صلى الله عليه وسلم "(٢)٠

فحديث النبى صلى الله عليه وسلم ليس مقصودا به الشعر عامة ، وإنما قصد به الشعر الذى لا يتفق مع آداب الإسلام،والدليل القاطع على ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم استمع إلى الشعر واستنشده ، بل ورواه وكافأ عليه٠

ومن ذلك أنه لما أنشدة النابغة الجعدى :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ∴ ويتلو كتابا كالمجرة نيرا

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ∴ وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

---

١ - العمدة ٣٢/١ ، ويرجع أيضا العبارة وتأليفها فى كتابى نقد النثر والبرهان بشرح د/محمد السعدى فرهود ص ١٣٢ ٠

٢ - روح المعانى ٢٢٥/١١ ط دار الفكر٠

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" إلى أين أبا ليلى ؟" فقال :
إلى الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن شاء الله ([1]).
وأنشده حسان بن ثابت حين جاوب عنه أبا سفيان بن الحارث بقوله:

هجوت محمدا فأجبت عنه ∴ وعند الله فى ذاك الجزاء

فقال جزاؤك عند الله الجنة ياحسان ([2]).

وأما ما قاله الأصمعي فهذا رأى لانقره عليه ، لأن الغرض الشعرى لا ينبغى أن يكون أساسا للحكم على ضعف الشاعر أو قوته ، وإلا ترتب على ذلك أن تكون كل الأشعار فى مجال الشر قوية ، وكل الأشعار فى مجال الخير ضعيفة ، وهذا مالم يقل به أحد ، وما يخالف واقع الشعر فى القديم والحديث .

كذلك فإن يترتب على هذا الحكم أيضا أن يسقط الناقد من حسبانه عاطفة الشاعر وانفعاله النفسى ، ومدى ارتباطه بالموضوع الذى يعبر عنه إحساسه به ، حين يصدر حكمه على شعر الشاعر ..
علما بأن قوة العاطفة وصدق الانفعال هما اللذان يكسبان الشعر القوة والجودة بصرف النظر عن الموضوع ذاته فى المديح كان أو فى الهجاء ، وفى التهنئة كان أو فى الرثاء .([3])

فإذا كان الأصمعى قد اتخذ من هبوط المستوى الفنى فى مراثى حسان سببا للحكم على الشعر الإسلامى بالضعف ، فليس هذا بصحيح ، لأنه ليس شرطا أن يجيد الشاعر فى كل فنون الشعر ،وما زلنا نتذكر أن الفحول أنفسهم من شعراء الجاهلية لم يبرعوا جميعا فى كل فنون الشعر وأغراضه ، وما زال القول المشهور يتردد فى كتب الأدب عن أشهر شعراء الجاهلية وهم :

---

[1] -الشعر ولشعراء ٢٩٥/١ ، والعمدة ٥٣/١ .
[2] - العمدة ٥٣/١ .
[3] موقف الإسلام من الشعر . د/ صلاح الدين محمد عبدالتواب ص ٥٨ ط مطبعة السعادة

امرؤالقيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والأعشى إذا طرب والنابغة إذا رهب"[1]

كذلك فإن حسان بن ثابت لم يكثر من النظم فى الرثاء فى جاهليته ، وأكثر من الفخر فى جاهليته وإسلامه ، فأبدع فى العصرين ، وإذا كان الشعر صناعة يجيد صاحبها ويجود فيها إذا رغب أو رهب ، كما يرى النقاد من معاصرى الأصمعى ، فإن " أصعب الشعر الرثاء ، لأنه لا يعمل لرغبة ولا لرهبة " [2]

ثم ماذا يريد الأصمعى بضعف الشعر فى الإسلام وهو يستشهد بشعر حسان ، وذلك فيما نقله ابن قتيبة عنه من أن الشعر نكد بابه الشر ، فإذا دخل فى الخير ضعف .. هذا حسان بن ثابت فحل من فحول الجاهلية ، فلما جاء الإسلام سقط شعره ؟ [3]

هل يريد الأصمعى بذلك الضعف أو تلك الليونة ما يظهر على الشعر الإسلامى من سهولة الألفاظ ووضوح العبارات ، وبعده عن غرابة الألفاظ ووعورة الأساليب ، بشكل أكثر مما عليه الشعر الجاهلى ؟

إذا كان الأمر كذلك ، فليس هذا بالعيب الذى يمكن أن يؤخذ على شعر حسان ، بل إن الأمر على العكس ، لأنه يدل على مدى تأثر حسان بالظروف الجديدة التى ظهرت آثارها واضحة على الحياة العربية ، كما ظهر أثرها أيضا فى أسلوب التعبير عن هذه الحياة ، ولا يمكن أن تعد إستجابة الشاعر لبيئته فكرا وأسلوبا من مظاهر الضعف أو اللين . [4]

---

[1] العمدة ١/٩٥ .
[2] - الشعر فى الإسلام د. أحمد فؤاد الغول ص ٥٨ .ط لوران للطباعة والنشر الإسكندرية
[3] - الشعر والشعراء ١/٣١١ ، والموشح ص ٧١ .
[4] - موقف الإسلام من الشعر ، د . صلاح الدين محمد عبدالتواب ص ٥٩ .

ثم إذا كان الأصمعي يعد مراثي حسان حين وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ضعيفة لخلوها من صور التفجع و الجزع الشديد بألفاظ طنانة رنانة على غرار المراثي الجاهلية ، فإن الأصمعي يدرك جيدا أن الإسلام لا يرضى ذلك النوع من الرثاء القديم في صخبه وجزعه وعويله وتفجعه ، وأحاله إلى تأبين وإشادة بالمناقب الإسلامية الرفيعة ، مع تقبل ورضا بقضاء الله وقدره واستبشار بما وعد الله به عباده الصابرين ، ومن ثم غدا الرثاء يصدر عن نفس مؤمنه متعقلة ، لا عن عاطفة متطيرة مسرفة في حزنها ٠٠ فإذا كان الأصمعي يرمى هذه الروح بالسهولة واللين والضعف فتلك روح الإسلام التي ترفض في الرثاء ، بل وفي غير الرثاء ذلك الصخب وهذا العويل ، لأنه ينافي ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من الثبات ومن الوقار ٠ ([1])

بعد هذا العرض يتضح لنا موقف الإسلام من الشعر ، فنرى أن الإسلام لم يضعفه كما زعم بعض النقاد ، وإنما وقف منه موقف الموجه إلى الطريق الأقوم الذي يتفق مع مبادىء هذا الدين ، ليكون الشعر وسيلة بناء للمجتمع الإسلامي ، ودعوة للأخلاق الفاضلة لا وسيلة تقويض وهدم ، ولم يقف الإسلام من الشعر موقف الجمود الذي يؤدي إلى خمود جذوته ، وإنما طور وجدد في معاني الشعر وموضوعاته وأسلوبه وصياغته ، ولم يعد فيه مجال للمعاني الساقطة التي تشيع عواطف البعض ، وإنما هي معاني تتكأ على الالتزام بالعقيدة والدين والدعوة إلى الفضائل ، وبهذا أشاعت الحب والتآخي بين الناس ، ومن هنا نعلم أن الإسلام لم يضعف بعض الأغراض الشعرية ، وإنما انتقل بها إلى طور جديد يتلتئم مع طبيعته السمحة وآدابه العالية ٠

---

[1] نفس المرجع ص ٦٠ ٠

ولم يتوقف الأثر الإسلامى فى تطوير فن الشعر عند المعانى والأغراض، وإنما طور أيضا فى الأسلوب والصياغة فقد تأثرت بروح الإسلام، وبعدت عن الغريب والوحشى حتى يستطيع الناس فهمها وتذوقها واتجه الشعر فى صوره وتشبيهاته وأساليبه إلى بعض ما أشتمل عليه القرآن من صوربديعة وأساليب جديدة ٠

النظرة النبوية فى النقد الأدبى

إن الحديث عن النظرة النبوية فى النقد الأدبى يتمثل فى ثلاثه أمورهى:

١- نقد المضمون •

٢- نقد الشكل •

٣- الحكم على الشعراء •

أولا : نقد المضمون :

إذا نظرنا إلى ما أثر عن النبى صلى الله عليه وسلم من أحاديث وتعليقات على الشعر والشعراء ، باستحسان أو استهجان نجدها قد ركزت على مضمون الشعر ومادته ، وتوقفت بإصرار عند ما فيهمن قيم وأفكار ، وقد كان هذا الاهتمام بمادة الشعر طبيعيا لأمور :

أحدها : أن محمدا صلى الله عليه وسلم نبى رسول ، بعث مصلحا ومعلما وهاديا ودالا للناس على طريق الخير ، أرسل ليتمم مكارم الأخلاق ، ويرسخ القيم الفاضلة الخيرة ، وليحارب مفاهيم الجاهلية ومثلها المنحرفة الفاسدة •

ثانيها : أن للشعر العربى أثرا كبيرا فى صياغة فكر القوم ، وتكوين فلسفتهم ، إنه مستودع علمهم ، وسجل حكمتهم ، ومصدر المعرفة الثرالرحيب عندهم ، عنه يصدرون وإليه يرجعون ، ولحكمة يصدعون • ومن ثم كان طبيعيا بل ضروريا تأصيل القيم الرفيعة لهذا الفن المهم فى حياة العرب ، أو تسديد ما اعتور هذه القيم من زيغ وانحراف

وثالث هذه الأمور : أن الأداة الفنية - عند الحديث عن نظرية إسلامية فى الفن الشعرى مثلا - لاتشكل عقبة ما ، ولاتحدث إشكالية معينة ، فالإسلام

لايلزم الشعراء بأسلوب فنى محدد ، ولايقيدهم بطريقة خاصه من طرائق القول وأفانين التعبير ، وإنما يترك ذلك للشعراء - فى كل زمان ومكان- إبراز مواهبهم وتفردهم وتمكنهم من نواحى الفن أن الأداة الفنية قيمة متغيرة متجددة متطوره ، كما أن هذه الأداة كانت لدى الشعراء العرب- حين جاء الإسلام- فى قمة نضجها وتألقها . لم تكن فجة ولابدائية . كان العرب أساتذة فى فن القول، أساطين فى البلاغة والبيان .وعندما تعانق هذه الأداه المتألقة قيما رفيعه -راح الإسلام يرسخها ويدعوها إليها - يصل الشعر إلى القمة السامقه النبيلة التى يرضى الإسلام عنها ([1]).

والملاحظ على نقد المضمون فى كلامه صلى الله عليه وسلم أنه يتفرع إلى فرعين أحدهما يدخل تحت نمط الاستحسان وثانيهما يدخل تحت نمط الرفض والاستهجان .

أما عن الفرع الأول فقد استحسن الرسول - عليه السلام - نماذج معينة من الشعر ، وكان استحسانه لها يمثل موقفا نقديا ، كما يمثل- فى الوقت نفسه - توجيها إلى نمط من القول تصلح به الحياة ، ويرضى عنه الإسلام وكان له- عليه السلام- تعليقات وتعقيبات على هذه النماذج ترسم بعض الملامح والمعالم التى نتحدث عنها فى سبيل بناء شعر إسلامى صحيح التصور سليم الرؤية .

قال - عليه السلام:- :" أصدق كلمة قالها شاعر قول لبيد :

ألا كل شئ ماخلا الله باطل" ([2]).

وإنما جاء هذا الصدق من ترجمة هذا القول عن وحى الروح الإسلامية

---

[1] - النظرة النبوية فى نقد الشعر ، د/ وليد قصاب ص ٥٩ ، ٦٠ ط المكتبة الحديثة العين

[2] - فتح البارى ٤٤٧/١٠ ، وسنن ابن ماجه ١٢٣٦/٢ ط الريان .

وكان يعجب بقول طرفة :

ستبدى لك الأيام ماكنت جاهلا ∴ ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ويقول :" إنها كلمة نبى "[1]٠

وبقول عدى بن زيد:

عن المرء لاتسل وسل عن قرينه ∴ فكل قرين بالمقارن يقتدى

ويقول :" كلمة نبى ألقيت على لسان شاعر ٠٠٠"[2]

وسمع عائشة تنشد قول الشاعر

ارفع ضعيفك لايحر بك ضعفه ∴ يوما فتدركه عواقب ماجنى

يجزيك أو يثنى عليك وإن من ∴ أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

فقال :" صدق ياعائشة ، لايشكر الله من لايشكر الناس "[3]٠

وأنشد قول سويد بن عامر المصطلقى :

لا تأمنن وإن أمسيت فى حرم ∴ إن المنايا بجنبى كل إنسان

فاسلك طريقك تمشى غير مختشع ∴ حتى تلاقى الذى منى لك المانى

فكل ذى صاحب يوما مفارقه ∴ وكل زاد وإن أبقيته فان

والخير والشر مقرونان فى قرن ∴ بكل ذلك يأتيك الجديدان

فقال النبى صلى الله عليه وسلم :" لو أدرك هذا الإسلام لأسلم ""[4]٠

وقال لكعب بن مالك : أترى الله نسى لك قولك

---

[1] – الأدب المفرد : ٣٤٨ / والترمذى ٢/٨/٤ ، والعقد الفريد لابن عبدرية ١٠٥/٦

[2] – الإيجاز والإعجاز للثالعبى : ٣٨

[3] – العقد الفريد لابت عبدربة ٠٩/٦/ ط مكتبة الرياض الحديثة ٠

[4] – نفس المرجع والصفحة

زعمت سخينة أن ستغلب ربها ∴ وليغلبن مغالب الغلاب[1]٠

وينشد ابن رواحه فى مدحه

فثبت الله ما آتاك من حسن ∴ تثبيت موسى ونصرا كالذى نصروا

فيقبل عليه بوجهه، ويقول داعيا له :" وإياك فثبت الله يا ابن رواحة "[2]٠

وينشده النابغة الجعدى :

ولاخير فى حلم إذا لم يكن له ∴ بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

ولاخير فى جهل إذا لم يكن له ∴ حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا

فيزداد ارتياح الرسول إلى ما يسمع من وحى الروح الدينية ، ومن التوجيه الخلقى الرشيد ، ويقول له٠ أجدت٠ لايفضض الله فاك "

قال : فبقى عمره لم ينقص له سن [3]٠

أما عن الفرع الثانى الذى استهجنه النبى صلى الله عليه وسلم ورفضه وأبدى عليه ملاحظات تشعر بالتحفظ وعدم الرضى ،" لأن الرؤية الإسلامية لم تكن شديدة الوضوح لدى أصحابها ، فما تزال تشوب هذه الرؤية نزعات جاهلية تفسد صفاءها وتعكر سلامتها ، فكانت تعليقات رسول الله عليها تسديدا وتوجيها "[4]٠ ولفت نظر للشاعر إلى أن يلتزم الحق ، وألايجمح به القول فى تلك الوديان التى حذر منها القرآن الكريم فى آية الشعراء

سمع- صلى الله عليه وسلم - رجلا ينشد :

إنى امرؤ حميرى حين تنسبنى ∴ لامن ربيعة آبائى ولا مضر

---

[1] - طبقات فحول الشعراء ٢٢٢/١ ٠

[2] - العمدة ٢١٠/١

[3] - الشعر والشعراء ٢٩٥/١ ، والعقد الفريد ١١٠/٦ ٠

[4] - النظرة النبوية فى نقد الشعر ٠ د/ وليد قصاب ص ٤٢ ٠

فقال له : ذلك ألأم لك وأبعد من الله ورسولة "([1])"

فمن الواضح أن الرجل يفخر فخرا جاهليا ، ومبعثه عصبية قبلية نهى عنها الإسلام ، يفخر بحمير ، ويسفه ماعداها ، وهو مزهو بأنه منها وليس من ربيعة أو مضر ، وفى ذلك ما فيه من التباعد من الله ورسوله ، فنبهه النبى – صلى الله عليه وسلم – إلى أن الفخر الحقيقى ينبغى أن يكون بكل ما يقرب من الله ورسوله ، ويدنى من الإسلام. فهى نفى لقيمة وإرساء قيمة أخرى محلها .

وأنشد النابغة الجعدى بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله:([2])

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا ∴ وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

فقال له صلى الله عليه وسلم:" إلى أين المظهر يا أبا ليلى ؟" وكأنه ينبه بهذا التساؤل الكيس إلى ما فى ظاهر الكلام من استعلاء جاهلى، وإلى هذا أراد النبى صلى الله عليه وسلم أن ينبه إليه ، فأحسن التخلص ، وأجاب بألمعية : " إلى الجنة". وقبل الرسول الجواب مادام صاحبه قدفهم المراد وعده تخريجا ذكيا ، فأمن على قول النابغة :" إن شاء الله ".

وعندما أنشده كعب بن زهير مادحا وتائبا قصيدته المشهورة ، وفيها :

إن النبى لنور يستضاء به ∴ مهند من سيوف الهند مسلول

فقال له مصححا :" بل من سيوف الله "([3]) فشتان – فى القيمة – ما بين سيف الله وسيف الهند .

---

[1] – المحاسن والمساوئ للبيهقى ص ٧٦ ط دار صادر بيروت.

[2] – الشعر والشعراء ١/٢٩٥ ، والعمدة ١/٥٣ .

[3] – معجم الشعراء : للمرزبانى ص ٢٣١ تحقيق عبدالستار فراج ، ط البابى الحلبى .

والخلاصه أن نقد المضمون عند النبى صلى الله عليه وسلم كان نقدا توجيهيا دفع الشعر للاغتراف من بحر العقيدة ، والنهل من ينبوعها الثر ، وكل ما اتفق معها فهو الحق ، وكل ماجافاها ، أو اعتد بقيم تتنكب لها مرفوض مستهجن ، يحتاج إلى توجيه وتصويب •

ثانيا نقد الشكل •

أثرت عن النبى صلى الله عليه وسلم أقوال حددت بعض الملامح لفن القول ، وهى ملامح لاتخص الشعر وحدة ، بل يشترك فيها الشعر والنثر ، بل ربما كانت أقرب إلى تصوير طبيعة النثر كالخطبة والموعظة وما شاكل ذلك• ومن هذه الملامح التى تتصل بالشكل •

١- الطبع والتكلف :

هذا مقياس نقدى دقيق يعد وليد هذا العصر وأثر من آثار ثقافته الجديدة – القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف– ، فلقد ذم القرآن التكلف ونهى عنه، وحسبك فى ذمه أن الله عز وجل أمر رسولة الكريم بالتبرأ منه فى قولة :' قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين([١]):

وقد أثرت عن النبى صلى الله عليه وسلم أقوال كثيرة نهى عن التكلف والمبالغة و حذر من التشادق والتنطع ، فقال :" هلك المتنطعون " أو ' هلك المكثرون '([٢])• وقال فى حديث آخر :" إن أبغضكم إلى وأبعدكم منى مجلسا يوم القيامة الثرثارون ، والمتشدقون ، والمتفيهقون "([٣])•

---

[١] – سورة ص آية ٨٦ •

[٢] – رياض الصالحين : ٦٥٧ •

[٣] – الترغيب والترهيب ٣/٥٦٢

فالبلاغة تنفر من التقعر والتكلف فى القول ، فإن ذلك مما ينافى الطبع ، ويحول بين الكلام وبين وصوله إلى النفس ، لأنه لم يصدر عن طبع سليم وسليقة صافية ، وإنما هو نتاج الكد والاستكراه([1]).

ومن منطق ذم التكلف وتهجين صاحبه وعيب كلامه ، أنكر صلى الله عليه وسلم على من سأله قائلا :" أرأيت من لاشرب ولاأكل وصاح فاستهل([2])، أليس مثل ذلك يطل "([3]) بقوله :" أسجع كسجع الجاهلية "([4]). لأن هذا اللون من السجع الممقوت يتوارى من خلفه المعنى وتفتقد قيمته بين بهرج الصنعة ، وهو ما يشين الكلام ويبعد الأسلوب عن الطبع السمح السهل ، وهذا إلى أنه كان يعمد فيه أصحابه إلى التضليل والتموية وخدعه الناس.

٢- جمال اللفظة واختيارها :

الناظر فى كلامه صلى الله عليه وسلم يلاحظ أنه كان يتخير فى خطابه ويختار لأمته أحسن الألفاظ وأجملها وألطفها وأبعدها عن ألفاظ أهل الجفاء والغلظة والفحش ، فلم يكن فاحشا ولا متفحشا ولا ضخابا ولافظا ، وكان يكره أن يستعمل اللفظ الشريف المصون فى حق من ليس كذلك ، وأن يستعمل اللفظ المهين المكروه فى حق من ليس من أهله.

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك نهيه صلى الله عليه وسلم أن يقول الرجل خبثت نفسى ولكن ليقل لقست نفسى ، ومعناها واحد أى غثت نفسى

---

[1] - النظرة النبوية فى نقد الشعر ، د/ وليد قصاب ص ٦١ .

[2] - استهل الصبى رفع صوته عند الولادة .

[3] -يطل :أى لاتدفع ديته ، ويعرف هذا الحديث بحديث الجنين .

[4] - نقد النثر ص ١٠٧ ط دار الكتب العلمية بيروت .

وساء خلقها فكره لهم لفظ الخبث لما فيه من القبح والشناعة وأرشدهم إلى استعمال الحسن وهجران القبيح وإبدال اللفظ المكروه بأحسن منه ٠

٣- ومن الأمثلة أيضا عيبه صلى الله عليه وسلم على خطيب قوله :' من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصيهما فقد غوى ، وقال له " بئس الخطيب أنت" وإنما كرهه من ذلك الجمع بين الاسمين لما فيه من التسوية ٠ ومن ذلك قوله :" لاتقولوا : ماشاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم ماشاء فلان " وقال له رجل : ما شاء الله وشئت ، فقال :" جعلتني لله ندا ؟ قل : ما شاء الله وحدة "[1]٠

٤- فالملاحظ أن البنى صلى الله عليه وسلم قد أرسى قاعدة نقدية مهمة وهى حسن انتقاء الألفاظ التى تشاكل المعانى وتليق بها : وهذا ما أسماه البلاغيون " مشاكلة اللفظ للمعنى " أى اختيار الألفاظ التى تعبر عن المعنى بلفظ جميل ٠

٣- الإيجاز

الواضح فى نظرته صلى الله عليه وسلم إلى الفن القولى ميله إلى الإيجاز ، وعدم التزيد والتطويل، وهذا شئ طبيعى لأن الله منحه كمال العقل، وغلبة فكره على لسانه ، فقل كلامة وتنزة عن الحشو، وبرئت نظراته النقدية من شوائب الإطالة

فالنبى صلى الله عليه وسلام أعجب بقول ' لبيد ' :

" ألا كل شئ ما خلا الله باطل "

لأنه بالإضافة إلى ما يحمله من معنى يتفق مع العقيدة الإسلامية فقد دل على هذا المعنى فى عبارة وجيزة من شأنها ان تذاع وتنتشر وكذلك

---

[1] - زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم ٩/٢ط المطبعة المصرية ٠

استحسن قول طرفة :

ستبدى لك الأيام ماكنت جاهلا ∴ ويأتيك بالأخبار من لم تزود

ثالثا الحكم على الشعراء :

كان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو سيد الفصحاء والبلغاء ، ذا حاسة نقدية ومتميزة ، وقد كان عارفا بمكانة الشعراء وأقدارهم ، ومدى ما يمكن أن يبلغه شعر كل منهم ([1]) . وقد أثرت عنه أحكام نقدية دقيقة على شعراء الدعوة الإسلامية الثلاثة وعلى غيرهم . لقد كان عليه السلام يدرك شاعرية حسان ، ويحس بتفوقه على صاحبيه ، وأنه استطاع أن يبلغ من الكفار ما لم يبلغه صاحباه ، وقد تجلى ذلك فى قوله : " أمرت عبدا لله بن رواحه فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى([2]).

وبسبب تقدير النبى صلى الله عليه وسلم لشاعرية حسان ، وإدراكه لها كان يستدعيه فى الملمات ، ويطلب منه أن يقول ... قدم عليه وفد تميم وفيهم شعراؤهم وخطباؤهم اللسن المفوهون ، ونادوا بصوت عال جاف : اخرج إلينا يامحمد ، فخرج إليهم ، فقالوا جئنا لنفاخرك ، فأئذن لشاعرنا وخطيبنا ، فقال نعم : قد أذنت لخطيبكم فليقم، فتحدث خطيبهم عطارد بن الحاجب ، ثم قام خطيب النبى ، ثابت بن قيس ، فأفحمه ، ثم قام الزبرقان بن بدر شاعرهم ، فأنشد مفاخرا فى استعلاء :

نحن الكرام فلاحى يعادلنا ∴ منا الملوك وفينا تنصب البيع

---

[1] - النظرة النبوية فى نقد الشعر د . وليد قصاب ص ٨١ .

[2] - مصابيح السنة للإمام البغوى ١٠٨/٢ ط دار القلم بيروت

فأرسل النبى صلى الله عليه وسلم يستدعى من بين شعرائه حسان بالذات ، فجاء حسان ، وأجاب الزبرقان على البديهة بقصيدته المشهورة :

إن الذوائب من فهر وأخوتهم ∴ قد بينـــوا سنة للناس تتبـــع

فقام عطارد بن الحاجب فقال :

اتيناك كيما يعلم الناس فضلنا ∴ إذا اجتمعوا وقت احتضار المواسم

بأنا فروع الناس فى كل موطن ∴ وأن ليس فى أرض الحجاز كـدارم

فقال حسان بن ثابت :

منعنا رســـول الله من غضـــب له ∴ على أنف راض من معد وراغم

هل المجد إلا السؤدد الفرد والندى ∴ وجاه الملوك واحتمال العظائم

فما كان من القوم – وقد أدت الكلمة دورها على أمثل وجه – إلا أن وقف منهم الأقرع بن حابس فقال ""إن هذا الرجل لمؤتى له[1]، والله لشاعره أشعر من شاعرنا ، ولخطيبه أخطب من خطيبنا"" [2] . ثم أسلمو جميعا . فمن الواضح صدق فراسة النبى فى حسان ، وصواب حسه النقدى فيه ، فقد أقرله الأعداء أنفسهم ، وحملهم شعره الذى لا قبل لهم به .

كما أثرت عن النبى صلى الله عليه وسلم أحكام نقدية على عدد أخر من الشعراء ، ولعل أبرزها حكمة المشهور على امرئ القيس ، فقد أقر بشاعريته –على شركه وعهره – وسماه قائد الشعراء، أوصاحب لواء الشعراء . ومن الواضح أن هذا حكم فنى خالص ، أشارفيه النبى إلى الملكة الفنية العالية التى يتمتع بها هذا الشاعر والتى تجعله على رأس الشعراء ، ولكن

---

[1] – مؤتى ميسر له مسهل

[2] الأغانى ٥١٢/٢ ط كتاب التحرير .

الإقرار بالشاعرية - وهو العدل والإنصاف - شئ ، وقبول هذا الشعرأو رفضه شئ آخر ، فامرؤ القيس عند النبى شاعر ، ولكنه شاعر ضلال وعهر ، ولم يسخر شعر فى خيرأوحق، فمصيره إلى النار .

قال صلى الله عليه وسلم وقد ذكر عند امرؤ القيس : "" امرؤ القيس صاحب لواء الشعراء إلى النار""[١] وفى رواية ""هو قائد الشعراء وصاحب لوائهم"" [٢] وفى رواية أن حسان سئل : من أشعر الناس ؟ فقال امرؤ القيس . فأيده النبى وقال ""صدقت "" ولكنه بين رأى الإسلام فى هذا الشاعر وأمثاله فقال : "" رفيع فى الدنيا ، خامل فى الآخره ، شريف فى الدنيا ، وضيع فى الآخرة هو قائد الشعراء إلى النا ر "" [٣]

وهكذا بدا النبى صلى الله عليه وسلم من خلال هذه الأقوال التى أثرت عنه ذا حس نقدى مرهف ، وموهبة عالية فى تذوق الشعر ، وتمييز أقدار الشعراء ، معرفة مكانتهم وموقعهم فى الشعر العربى، وقد نبهنا ، فى حكمه على امرئ القيس ، إلى قاعدة نقدية مهمة ، وهى أن الإقرار بشاعرية شاعر ، وتقدير هذه الشاعرية ، والتنويه بها ، لايعنى على الإطلاق وقبول ما يصدر عنها ، فالحكم الفنى على الشعر والشعراء شئ ، والموقف الفكرى أو العقدى من هذا الشعر شئ آخر .

---

[١] طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحى ١/ ٢٢٦ ط عيسى البابى الحلبى .

[٢] العقد الفريد ٦/ ١٠٤ .

[٣] شرح شواهد المغنى للسيوطى ٢٣/١ ط دار الحياة بيروت .

النظرة العمرية فى النقد الأدبى

النظرة العمرية فى النقد الأدبى تتمثل فى أمرين هما :

(ا) النظرة الموضوعية .

(ب) النظرة الدينية الخلقية

(ا) النظرة الموضوعية :-

وجد فى صدر الإسلام من استطاع أن يضع بنقده الأسس الجمالية للشعر ، على ضوء المبادئ الخلقية الإسلامية ، وكان أبرز هؤلاء عمر بن الخطاب الذى أثرت عنه أخبار عديدة تدل على فطنتـه وثقافتـه وطبعـه ، وحبه الشديد للشعر وتعلقه بمدارسته وتذوقه وإبداء رأى فيه ، حتى كان موضع إشادة وتنويه من السابقين واللاحقين على السواء .

ومن الأمثلة الواضحة على ذلك ماروى عن عبد الله بن عباس أنه قال: قال لى عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنشدنى لأشعر شعراءكم ، قلت من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : زهير ، قلت ولم كان كذلك ؟ قال : كان لا يعاظل([1]) بين الكلام ، ولايتتبع حوشيه ، ولا يمدح الرجل إلابما فيه([2]) .

وموطن الأهمية فى هذا الخبر هو ما يشير إليه من تفضيل عمر لوجوه نقده، وما بدا فيه من اعتماده على الموضوعية ، التى تقوم على أسباب جوهرية فى الكلام ، تصلح أساسا للأحكام ، وقاعدة ومعيارا يقوم الشعر والأدب به ، فقد نظر فى الألفاظ والأساليب والمعانى والمنهج ، فوصف ألفاظ زهير بالسماحة والألفة، وأسلوبه بالوضوح والجمال والسلاسه والخلو من التعقيد

---

[1] - المعاظله فى الكلام : أن يركب بعضه بعضا ويتداخل حتى يثقل نطقه وسماعه .

[2] - العمدة لابن رشيق ٩٨/١ .

والتركيب والتوعر ، ومعانيه بالصحة والصدق ، ومنهجة بالتزام الحق والصدق والاعتدال والقصد والتباعد من الإفراط والغلو ([1]) .

ويرى الدكتور بدوى طبانة ([2]) أن كلمة عمر هذه هى أقدم النصوص التى وصلت إلينا من حيث اعتمادها على تفصيل أسباب اختيار الشعر ، وتفضيل الشاعر ، وعلى الرغم من قدمها فإنها تضع مقاييس صالحة يقاس بها الأدب ، فقد تناولت أهم أركان الشعر ، وهى أساليبه ومعانيه ، وظلت تلك المقاييس نواة النقد الأدبى فى عصور الأدب العربى حتى عصرنا الحاضر .

وليس فى نقاد الأدب العربى من لم يحذر من التوعر والتعقيد ، فبشر ابن المعتمر "" توفى سنة (٢٠١هـ) فى صحيفته المشهورة ([3]) فى البلاغة يرى أن التوعر يسلم إلى التعقيد ، والتعقيد هو الذى يستهلك المعانى ويشين الألفاظ .

أما المبالغة فى الصفات فكثير من نقاد الأدب العربى يعيبونها مع اختلاف بيئاتهم وثقافتهم .

وعلى هذا فإن كلمة عمر يمكن أن تعد أول بارقة فى النقد الأدبى ، وأول أساس للنظر فى الأدب نظرة موضوعية .

ويرى الأستاذ طه أحمد ابراهيم أن نقد عمر ظاهرة جديدة لاعهد لنا بها من قبل ، فهو حين قدم زهيرا لم يحكم بذلك فحسب بل شرح هذا التفضيل . لماذا يفضل عمر زهيرا ، ويعده أشعر العرب ؟ لأنه سهل العبارات ، لا تعقيد

---

[1] – فى النقد الأدبى عند العرب د/ محمد طاهر درويش ، ص ٨٣ ط دار المعارف

[2] – دراسات فى نقد الأدب العربى ، د/ بدوى طبانه ص ٩٦ و ما بعدها .

[3] – الصناعتين لأبى العسكرى تحقيق على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، ص١٤٠ ط دار الفكر العربى ، والعمدة لإبن رشيق ٢١٢/١ .

فى تراكيبه ، ولاحوشى فى ألفاظه ، ثم هو فى معانيه بعيد عن الغلو، بعيد عن الإفراط فى الثناء، لايمدح الرجل إلابمافيه . فضل زهيرا لأمور ترجع إلى الصياغة والمعانى ، وأورد مايراه من خصائص زهير فيهما فى شئ من التحديد[1] .

والحق أن عمر أول ناقد موضوعى تعرض نصا للصياغة و المعانى، وحدد خصائص لهذه وتلك ، وهو أول من أقام حكما فى النقد على أصول متميزة ، كان عمر قوى التمحيص فى كل ما يخوض فيه ، صحيح الاستنباط ، موفقا فى استخراج الأحكام الشرعية ، وهذه الروح سرت إلى الأدب كذلك ، فأسند رأيه فى زهير إلى أمور محسة وأسباب قائمة .

ومن هناك نستطيع القول بأنه قد واءم بين الشكل والمضمون ، لأنه قرر مبدأين هامين فى صناعة الشعر :

١- الحذق فى الصناعة الشعرية ، وذلك يتناول الشكل أو التصوير .

٢- الصدق فى الوصف ، بحيث لايجانب المنطق ، وهذا يتعلق بالمضمون .

وبهذا وضع الأساس الذى قام عليه النقد العربى فى أغلب صوره حتى عصر عبد القاهر الجرجانى حين تحدث فى "" دلائل الإعجاز "" عن النظرة الجمالية فى الشعر [2]

وبذلك عدوا نقد عمر هذا فلتة سابقة لأوانها فى النقد العربى ، أنها فيما يظهر كانت أول تعليل يتوسع فى أسباب الحكم الأدبى [3] ، ويلم بالناحية الشعورية كالصدق فى الإحساس والصدق فى التعبير .

---

[1] - تاريخ النقد الأدبى عند العرب ، للأستاذ طه أحمد ابراهيم ص ٣١ ط دار الحكمه بيروت.

[2] - معالم النقد الأدبى د/ عبد الرحمن عثمان ص ١٢٠ ، ١٢١ ط المدنى .

وهذه المميزات امتاز بها شعر زهير فى نظر عمر كانت سببا فى ذيوع شعره وبقائه إلى اليوم ، فقدروى أن عمر قال لابنة زهير حين سألها : ما فعلت حلل هرم ابن سنان التى كساها أباك ؟

قالت : أبلاها الدهر.

قال : لكن ماكساه أبوك هرما ما لم يبله الدهر .

وقال عمر رضى الله عنه لبعض ولد هرم بن سنان : أنشدنى ما قاله فيكم زهير ، فأنشده ، فقال لقد كان يقول فيكم فيحسن ، قال يا أمير المؤمنين إنا كنا نعطيه فنجزل ، قال عمر : ذهب ما أعطيتموه وبقى ما أعطاكم ([١]).

ولم يتوقف نقد عمر لشعر زهير عند النظرة السابقة ، بل نجده يكثر من ترديد قول زهير :

فإن الحق مقطعه ثلاث ∴ يمين أو نفار أو جلاء ([٢])

متعجبا من علمه بالحقوق ، وتفصيله بينها ، واستيفائه أقسامها ، وصواب القسمة فى بيته ، ويقول : " لو أدركت زهيرا لوليته القضاء لمعرفته ([٣])"وأية معرفة فى دائرة الحق و اقتضاء الحقوق أدق من التقاء فكر زهير فى جاهليته مع ما ارتضاه الإسلام فى إثبات الحق فهو يثبت أما بالقسم ، أو المنافرة إلى حاكم يحكم بالعدل ، أو الجلاء ببرهان واضح يجلو الحق ويوضح الدعوى ،

---

[٣] – النقد الأدبى لسيد قطب ص ١١٧ ، ١١٨ ، ط دار الشروق .

[١] – العمدة ١/٨١ .

[٢] – الصناعتنين ٣٥١ ، العمدة ١/٥٥ .

[٣] – المرجع السابق نفس الصفحة .

وهذا أيضا يتفق مع القاعدة الإسلامية التى تقول "" البينة على من ادعى واليمين على من أنكر ([1]) ""

والملاحظ أن إعجاب عمر بهذا البيت يسير على هديه للنظرة السابقه لشعر زهير ، فهو لم يقف عند مضمونه ومعرفة زهير بمقاطع الحق وحده ، وإنما أعجب – فوق ذلك – بما فى البيت من جمال تقسيم ورقه صنعة وهذا يتصل بالشكل وبهذا يكون قد واءم بين الشكل والمضمون .

ولم تقتصر نظرات عمر فى نقده على شعر زهير وإعجابه به نجده يؤثر شعر النابغة الذبيانى أيضا لوضوحه وصدق نزعته ، ولمعانيه الخلقية فى بعض أغراضه، وقدمه على شعراء غطفان كلها فى هذا الخبر الذى أورد ابن قتيبه :

– خرج عمر وببابه وفدغطفان فقال : أى شعرائكم الذى يقول :

أتيتك عارياخلقا ثيابى ∴ على خوف تظن بى الظنون

فألفيت الأمانة لم تخنها ∴ كذلك كان نوح لا يخـــون

قالوا : النابغة قال فأى شعرائكم الذى يقول :

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة ∴ وليس وراء الله للمرء مذهب

قالوا : النابغة ، قال : فأى شعرائكم الذى يقول :

فإنك كالليل الذى هو مدركى ∴ وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

قالوا : النابغة ، قال هذا أشعر شعرائكم ([2])

فإذا وقفنا عند البيت الأول من هذا النموذج لبيان نظرة عمر النقدية نلاحظ أن النابغة قد برع فى تصوير حال المادح الخائف المعتذر ، فقد صوره

---

[1] – فى النقد الأدبى عند العرب د/ محمد طاهر درويش ص ٨٤ .

[2] – الشعر والشعراء ١/١٦٤، ١٦٥ .

آتيا عاريا خلق الثياب بما فى العرى من الفضيحة التى تتطلب الستر ، وبما فى الثياب الخلقة من منظر يبعث على الإشفاق والتأثر لدى الملك وصوره خائفا يركب الخوف ويعلوه ، ويمتطيه ويسير به ، وكأن الظنون هى الأخرى تطارده وتفتش عليه وتبحث عنه ·

وهو تصوير يحرك فى نفس الممدوح كل أنواع السماح والعطاء · ومن هنا نفطن إلى حكم عمر له بأنه أشعر العرب ، وأشعر شعراء غطفان ، لصدقه فى التصوير والعاطفة ([1])·

والنعت الذى أطلقه عمر رضى الله عنه لزهير (شاعر الشعراء) والذى أطلقه عن النابغة (أشعر الشعراء) يضعنا أمام روايتين متعارضتين ، ولكن الحقيقة النقدية أنه ليس هناك تعارض ، نتيجة إلقاء الحكم على أساس من التأثر الوقتى والانفعال السريع ، فقد أعجب عمر رضى الله عنه بأبيات زهير فى وقت معين وأحوال خاصة ، ثم تغير الزمن واختلفت الأحوال ، فجاء تغير الحكم ([2])·

---

[1] – النقد الأدبى د/سعد ظلام صـ٣٦ ·

[2] من مظاهر النقد الادبى عند العرب د/ رفعت ذكى محمود عفيفى ، صـ٦٧ ·

النظرة الدينية الخلقية

كانت نظرات عمر النقدية لمضمون الأدب مستمدة من روح الإسلام وقيمة ومصلحة المسلمين ، وهو المنهج الذى أرسى قواعده سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبهذا كان عمر يمثل بنقدة التلميذ النابه لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أرساه لنا من أسس النقد الأدبى الإسلامى ([1]) ، وقاس المضمون الأدبى بمقاييس دينية خلقية بحته يحمد منها ما وافق جوهر الإسلام ومبادئه ويذم منها ما خرج على هذه المبادىء ٠

ويتضح هذا المقياس الدينى الخلقى فى تقدير عمر بن الخطاب لشعر سحيم عبد بنى الحسحاس ، فقد أنشد عمر قوله :

عميرة ودع إن تجهزت غاديا ∴ كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فقال عمر : لو كنت قدمت الإسلام على الشيب لأجزتك ([2]) ٠٠

فلما أنشده :

فبات وسادانا إلى علجانة ∴ وحقف تهاداه الرياح تهاديا

وهبت شمال آخر الليل قرة ∴ ولا ثوب إلا درعها وردائيا

فمازال بردى طيبا من ثيابها ∴ إلى الحول حتى ألهج الثوب باليا ([3])

---

[1] – المرجع السابق ٧٦ ، ٧٧ ٠

[2] – الكامل للمبرد ٣٧٢/١ ط مؤسسة المعارف بيروت

[3] – الوساد والوسادة : ما تتوسده وتجعله تحت رأسك ٠ والعلجانة : شجرة خضراء مظلمة الخضرة ، ليس لها ورق وإنما هى قضبان كالإنسان القاعد ، ومنبته فى السهول ٠ والحقف ما استطال واعوج وأشرف من الرمل ٠ تهاداه : أصلها تتهاداه ، وحذف أحدى التاءين ٠ يصف الرمل بالنعومة والسهولة ، حتى تنقله هذه الريح ، كأنما هى تتهاداه بينها ، الشمال : ريح الشمال الباردة ٠ والقرة : الشديدة البرد ٠ ودرع المرأة :

فقال له عمر : ويلك إنك مقتول (١)

وعمر فى تعليقه على مطلع القصيدة راضى كل الرضا على المنهج الشعرى حتى إنه تمنى منه تقديم الإسلام على الشيب ليعطيه العطاء الجزيل ، وفى تعليقه على الأبيات راض كل الرضا على السهولة والجمال الذى يلوح فى رقة الشعر وعذوبته ، ولهذا كان تعليقه على السحر الحلال "ويلك " وهى كلمة على ما تتضمن من إشفاق وزجر تتضمن أيضا قبولا لهذا المنهج السمح الذى وجده فى شاعر مسلم تعلق فى صدر قصيدته بالإسلام ، ثم مضى فيها خاليا إلى نفسه وذكرياته الحلوة فى غير فحش .

وبمقياس الدين والخلق كذلك كان موقف عمر بن الخطاب- رضى الله عنه – من الشعراء الذين أقذعوا فى هجاء الناس ونهش أعراضهم ، كما كان من النجاشى ، الذى هجا بنى العجلان ، فاستعدوا عليه عمر ، وقالوا له :- يا أمير المؤمنين هجانا – فقال : وما قال ؟ فأنشدوه قوله :

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة ∴ ولا يظلمون الناس حبة خردل

فقال عمر ليت آل الخطاب هكذا : قالوا وقد قال أيضا :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم ∴ وتأكل من كعب وعوف ونهشل

فقال عمر : كفى ضياعا من تأكل الكلاب لحمه : قالوا فإنه قال :

وما سمى العجلان إلا لقيلهم ∴ خذ القعب وأحلب أيها العبد واعجل

ثوب ذو يدين تلبسه العواتق . يقول : إن شدة البرد ألجات كل واحد إلى حضن صاحبه ، إذ لا غطاء معهما ، ثم ذكر فى البيت التالى : أن طيبها وطيب ثوبها عبق بثوبه عاملا .

(١) طبقات فحول الشعراء ١/١٨٧ ، ١٨٨ .

فقال عمر : خير القوم خادمهم (وكلنا عبيد لله) ثم بعث إلى حسان والحطيئة ، وكان عمر محبوسا عنده ، فسألهما ، فقال حسان مثل قوله فى شعر الحطيئة ، فهدد عمر النجاشى وقال له : إن عدت قطعت لسانك [1] ٠

وهذه الرواية توضح سعة أفق عمر رضى الله عنه ، وحسن إدراكه للمعانى ،مما جعله يفسر كل بيت تفسيرا غيرما فهمه المهجوون ، لعله يستل ما فى نفوسهم من ألم ٠

وإذا كانت غاية النقد إصدار الحكم على العمل الأدبى ، فإن كلمات عمر تعد من النقد فى الصميم ، فقد جاءوا إليه يلتمسون تأييده فى هجاء الشاعر اياهم وإنزال العقوبة به ، فبدا فى أول الأمرأن رأى عمر يخالف ما ذهبوا إليه فزعم لهم ما رأوه هجوا فى هذا الشعر يمكن أن يعد مديحا ، وتمنى لو كانت بعض تلك الصفات التى رماهم بها الشاعر فى خاصة آله ٠ ولا شك أنه يحسب فى النقد الموضوعى ذلك البحث عن معانى الأشعار والحكم عليها [2]

ومثل هذا موقفه من الحطيئة الذى جيىء به إليه متهما بهجاء الزبرقان بن بدر حيث يقول فيه :

دع المكارم لاترحل لبغيتها ∴ واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسى

وفيه نسى عمر أنه الأديب الذواقة الراوية ، ولم يذكر إلا أنه القاضى الذى يدرأ الحدود بالشبهات ولا يحكم بما يعلم دون ما يعلمه أهل الصناعة ، وقال للزبرقان : ما أسمع هجاء ولكنها معاتبة،ثم سأل حسان فقضى أنه هجاه وأوحش فى هجا ئه، بعد وفاته ٠

---

[1] – الشعر والشعراء ٣٣٧/١، ٣٣٨ ، العمدة ٥٢/١ ٠

[2] –دراسات فى نقد الأدب العربى د/ بدرى طبانة صـ٩٤،٩٥ ٠

ولعلك تدرك ما هدف إليه عمر - رضى الله عنة -فى توجيه الشعراء وربط شعرهم بالدين ومبادئة،بحيث يتحرونَ فيه عنصر الصدق فى المضمون والغرض،ويبعدون عن خبث اللسان ووساوس النفس مما انتهى إليهم من أدران الجاهلية.

النظريات النقدية لبقية الخلفاء الراشدين:

أبو بكر

أثرعن أبى بكر الصديق بعض النظرات النقدية منها ما يتصل بنقد المعنى وتوجيهه إلى النظرة الإسلامية. من ذلك ما يروى أن لبيد الشاعر المخضرم قام على أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقال:

ألا كل شئ ما خلا الله باطل .

فقال أبو بكر : صدقت

فلما قال: وكل نعيم لا محالة زائل

قال: كذبت، عند الله نعيم لا يزول[1].

ومنها ما يتصل بالحكم على الشعراء فقد روى أنه كان يحكم للنابغة بين شعراء عصره بقوله " هو أحسنهم شعرا،وأعذبهم بحرا، وأبعدهم قعرا"[2].

وهنا نجد أن نظرة أبى بكر النقدية إلى الشعر يبدو فيها الإجمال والعموم كعادة نقاد الشعرفى عصره واستمرارا للفطرة العربية القديمة فى النقد والنظرة إلى الشعر، إلا أن فى هذه العبارة النقدية الموجزة سمة مركزة، فهويعد العمق سببا فى المقارنة والمفاضلة فليست أحكام الصديق مبنية على المعانى

---

[1] - الموشح ص ٨٤ .

[2] - العمدة ١/٩٥ .

السطحية والعموميات مثل حسن الشعر وعذوبته، بل إنه يسبر الغور وينفذ إلى العمق، فيلمس أثرا للفكر والعقل فى المعنى والصورة، ولعل ذلك قد نفخ على الصديق من مصدر ثقافته الجديدة من إعجابه بنظم القران الكريم وما جاء به من معان بعيدة عن التقرير، وما أصلته وأصله من جميل الإيقاع الصوتى الذى يحدث أوقع الأثر فى النفوس[1].

ومنها ما يتصل بالنقد اللغوى ومن ذلك ما روى أن أبا بكررضى الله عنه سأل رجلا يبيع الثياب فقال:أتبيعنى هذا الثوب يا رجل ؟

قال الرجل لا عفاك الله.

ففطن أبو بكر رضى الله عنه إلى هذا الاستعمال اللغوى الذى قرره البالغون فيما بعد فى موضوع الفصل والوصل.. حيث أوجبوا الفصل بالواو فى هذه المسألة لان "لا" تتضمن جملة خبرية مضمونها (لا أبيعك هذا الثوب).

والجملة الثانية:دعائية وهى (عافاك الله) .

وهذا التعقيد اللغوى يرتبط بالمعنى،إ ذ يحتمل أن يكون النفى منصبا على الجملة الدعائية، فيكون دعاء علية لا له.

وقد أدرك ذلك أبو بكر قبل أن يضع البلاغيون قواعدهم لأن الحس اللغوى كان قويا لديه[2].

عثمان

كان عثمان بن عفان رضى الله عنه- على زهده ونسكه- يتذوق الشعر وينظر فيه وينقده مسببا ومعللا لحكمه، أنشد قول زهير:

---

[1] - موقف الإسلام من الشعر د/ صلاح الدين محمد عبدالتواب ص ١١٢ ، وراجع أيضا الشعر فى الإسلام د/ أحمد فؤاد الغول ص ٢٩ .

[2] - النقد الأدبى د/ محمد إبراهيم نصر ص ١٦٥ .

ومهما تكن عند امرئ من خليقة ∴ وإن خالها تخفى على الناس تعلم

فأعجبه صواب معناه فقال: أحسن زهير وصدق، فلو أن رجلا دخل بيتا في جوف البيت لتحدث به الناس[١]٠

على بن أبى طالب:

منح الله عليا بن أبى طالب موهبة تهديه إلى التذوق والتفسير وتعينه على التقدير والتقويم ، وكان صاحب ذوق مصفى هداه لإدراك الجمال الفنى ومعرفة أسبابة [٢]،مما أدى إلى ظهور بعض النظرات النقدية فى تراثة الأدبى، وكانت محل إعجاب وتقدير من النقاد العرب٠

فقد روى ابن رشيق أن عليا كان يقول:" الشعر ميزان القول "[٣] مما يضعنا أمام نظرة نقدية للإمام على رضى الله عنه ، الذى كان يزن الشاعر بما يتميز به من فكر ورأى ، وما يصدر عنه من عبارة وكان يقول : قيمة كل امرئ ما يحسنه ٠ وعد حسن القول بما يحمل من معنى راق وفكر دقيق، وأسلوب فصيح [٤]٠

يقول العقاد ": إن نقد على للشعراء كان نقد عليم بصير، يعرف اختلاف مذاهب القول ، واختلاف وجوه المقابله ، والتفضيل على حسب المذاهب [٥]٠

---

١ – العمدة ٤١/١ ٠

٢ – النثر الفنى عند الإمام على بن أبى طالب (رسالة ماجستير للمؤلف) بكلية اللغة العربية بالقاهرة ص ٣٤٨ ٠

٣ – العمدة ٢٨/١ ٠

٤ – من مظاهر النقد الأدبى عند العرب د/ رفعت زكى محمود ص ٨٣ ٠

٥ – عبقرية الإمام للعقاد ص ١٣٩ ط دار المعارف ٠

والذى يؤكد كلام العقاد ما ورد عن الإمام على أن ميزان المفاضلة بين شاعر وشاعر لاتجوز إلا بين المتعاصرين يقول : لو أن الشعراء المتقدمين ضمهم زمان واحد ونصبت لهم راية فجروا معا علمنا من السابق منهم ، وإذ لم يكن فالذى لم يقل لرغبة ولا لرهبة ، فقيل :ومن هو ؟ فقال : الكندى قيل : ولم ؟ قال : لأنى رأيته أحسنهم نادرة ، وأسبقهم بادرة (١)٠

وهنا يبدو الجديد فى نظرة على رضى الله عنه إلى أن الشعر ٠٠ فالتفاضل لايجرى إلا بين الشعراء المتعارضين ، ولا يتم ذلك على وجه الدقة إلا إذا نصبنا لهم راية واحدة ليجروا نحوها ، وكأنه هنا يشترط وحدة الموضوع الشعرى للمتسابقين من الشعراء ، وبذلك يضع للمفاضلة شرطين : المعاصرة ووحدة الموضوع ، وإذا كان لابد من المفاضلة بين الشعراء القدامى – وقد تعذرت شروطها – فأفضلهم من لم يقل لرغبة ولا لرهبة ، أى أن أفضلهم من فاض الشعر من روحه وفيض نفسه ، كالنبع الفياض الذى يتفجر الماء من أعماقه فيسير رقراقا، يعطى ويسقى عطاء تلقائيا ، ولعمرى أنها نظرة مبتكرة فى تقديم التلقائية والطبع على الصنعة والتعمل (٢)٠

المقاييس النقدية فى عصر صدر الإسلام

١- الالتزام بمبادئ الدين والخلق :

وجه الدين الجديد الشعراء والأدباء إلى ضرورة الالتزام بالأفكار والاتجاهات التى تلائم روح الإسلام الدينية والأخلاقية والدين والأخلاق

---

١ – العمدة ١/٤١، ٤٢ ٠

٢ – موقف الإسلام من الشعر د/ صلاح الدين محمد عبدالتواب ص ١٢١ ، والشعر فى الإسلام د/ أحمد فؤاد الغول ص ٥٣ ٠

يسيران دائما فى سبيل واحد ، ويهدفان إلى غاية واحدة ، هى صلاح العقيدة وصلاح المجتمع ، وتحصيل أسباب السعادة فى الدنيا والآخرة. وهذا المقياس فوق كونه مقياسا دينيا خلقيا ، فإنه مقياس فنى دقيق لأن الصدق الفنى هو سبيل الجمال فى الفنون جميعا ، وعلى ذلك نقول إن نظرية الفن للفن افتراض مرفوض فى الفكر الإسلامى وبالتالى فى الأدب العربى الذى هو ثمرة هذا الفكر ووليدة الأصيل وهو ما يسمى فى القرآن وأنهم يقولون مالايفعلون ، ويأتى الالتزام الأخلاقى فى الفن فى عبارة القرآن إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات .

وقد ظهر هذا المقياس واضحا فى تعليقات النبى صلى الله عليه وسلم على لبيد وطرفة والنابغة الجعدى ، وتعليق أبى بكر على لبيد ، وتعليق عمر على زهير بن أبى سلمى وفى تقديره لشعر سحيم عبد بنى الحسحاس.

وعلى ذلك نقول إن النقد قد طبع بطابع دينى يتمثل فى تصدية للعقيدة، ورعاية الأخلاق الإسلامية وكان هذا الطابع مقياس للأدب العربى ونقده.

٢- الموضوعية :

هذا مقياس نقدى واضح عند بعض نقاد هذا العصر ، وهو يعتمد على نقد اللفظ والمعنى والأسلوب والمنهج والغرض وتحقيق السماحة فى اللفظ ، والسلاسة والوضوح والخلو من التعقيد والمعاظلة والتوعر فى التعبير ، والتزام الطبيعة فى الأسلوب ، والصدق والصحة والصواب فى معناه ، والحق والقصد والاعتدال والتباعد من الإفراط والغلو فى منهجه وتفضيل الإبداع والاختراع فى صوره ومعانيه ، حتى أصبحت هذه النظرات والمبادىء رائدة لتطور النقد الأدبى ، وفى قيامه على أسباب موضوعية مفصلة وأصول منهجية واضحة.

وقد ظهرت الموضوعية بوضوح تام فى نقد عمر بن الخطاب لزهير، وقد كشفنا عن موضوعية هذا النقد وسقنا من خلال التحليل البراهين التى تؤيد ما قلناه

٣- وضع الأسس النقدية للموازنات الأدبية

وضع على بن أبى طالب أساسا هاما للموازنة الشعرية : أساس أنه لاتفاضل بين الشعراء إلا إذا جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ، ومذهب واحد فى القول ٠

فإن تساووا فى ذلك كله فأجودهم الذى لم يقل عن رغبة ولارهبة ، وكان أصحهم بادرة وأجودهم نادرة ٠



الفصل الرابع
النقد فى العصر الأموى

النقد الأموى

عوامل ازدهار النقد فى العصر الأموى

١- تشجيع الخلفاء والأمراء ٠

فتح الخلفاء والأمراء والقواد أبوابهم للشعراء فوفدوا من كل فج ، وكانت الجوائز التى يرصدونها للشعراء موقوفة على قدر شعرهم ومقدار براعتهم فيه ، فاشتد التنافس بين الشعراء ، وحرص كل منهم على أن يتخير معانيه وألفاظه بحيث تصغى لها القلوب والأسماع ويحظى صاحبها بالجوائز القيمة ([1]) ٠

وهذا لون من النقد العملى الذى يقوم به الشعراء أنفسهم ، وقد ساعد عليه سلامة أذواق الخلفاء والأمراء ، الذين هشوا للشعر وطابت له أنفسهم ورغبوا فى مديح جيد يرفعهم إلى مصاف الأتقياء ([2])٠

وقد اشتهر من خلفاء بنى أمية جماعه نقدت الشعر وشجعته وأصدرت فيه حكما على الشعراء أمثال عبدالملك بن مروان ، سليمان بن عبدالملك ، والحجاج بن يوسف الثقفى ، وكان عبدالملك على رأس خلفاء بنى أمية فى مجال النقد والمناقشة ، ومن أمثلة ذلك :

١- تعليقه على بيت عبدالله بن قيس الرقيات من قصيدة يمدحه فيها - بقوله :

يأتلق التاج فوق مفرقه ∴ على جبين كأنه الذهب

فقال له عبدالملك : " يا ابن قيس تمدحنى بالتاج كأنى من ملوك العجم ٠ وتقول فى مصعب :

---

[1] -راجع : التطور والتجديد فى الشعر الأموى د/ شوقى ضيف ط دار المعارف الخامسة

[2] - النقد الأدبى د/ محروس منشاوى الجالى صـ١٦٢ ٠

إنما مصعب شهاب من الله ∴ تجلت عن وجهه الظلماء

ملكه ملك عـــزة ليس فيه ∴ جبروت ولا لـــــه كبرياء ([1])

يقول أبو عبدالله المرزباني بصدد تعقيبه على نقد عبدالملك هذا :

"فوجه عيب عبدالملك إنما هو من أجل أن المادح عدل به عن الفضائل النفسية التى هى العقل والعفة والعدل والشجاعة وما جانس ذلك ، ودخل فى جملته – ما يليق بأوصاف الجسم فى البهاء والزينة وذلك غلط وعيب "([2])٠

٢– دخل جرير على عبدالملك بن مروان ، فأنشده قوله :

أتصحو أم فؤادك غير صاح ∴ عشية هم صحبك بالرواح

فقال عبدالملك : بل فؤادك فلما انتهى جرير إلى قوله :

ألستم خير من ركب المطايا ٠٠٠ وأندى العالمين بطون راح

جعل عبدالملك يقول : نحن كذلك ، ردها على ، فأخذ جرير يرددها ، والخليفة يطرب لذلك ويقول : من مدحنا منكم فليمدحنا بمثل هذا أو ليسكت ، وأمرله بمائة من الأبل ([3]) ٠

والشاهد هو البيت الذى استجاده الخليفة ،واستعاده، وجعله أنموذجا للمديح، ولقد طرب الخليفة لمعنى البيت لا للفظه ولا لنظمه ، لأن القصيدة كلها على نمط واحد من اللفظ والنظم ٠ وهذا البيت طرق كوامن الفخار والعزة فيه فأخذته الأريحية له واستخفت به السرور، إذ يسمع مديحا بالجود والندى يفوق

---

[1] – طبقات فحول الشعراء ٢/ ٦٤٩ ، والصناعتين صـ ١٠٤ ٠

[2] – الموشح صـ٣٤٦ ،٣٤٧ ٠

[3] –ذيل الأمالى صـ٤٤ ط دار الكتب العلمية بيروت ٠

جود العالمين ونداهم ، ومديحا بالقدرة التى ليس فوقها قدرة بشر على ركوب المطايا ([1]) ٠

٣- قال الأصمعى : اجتمع جرير والفرزدق عند الحجاج ٠ فقال من مدحنى منكما بشعر يوجز فيه ويحسن صفتى فهذا الخلعة له ، فقال الفرزدق :

فمن يأمن الحجاج والطيرتتقى ∴ عقوبته إلا ضعيف العزائم

فقال جرير

فمن يأمن الحجاج أما عقابه ∴ فمر وأما عقده فوثيق

يسر لك البغضاء كل منافق ∴ كما كل ذى دين عليك شفيق

فقال الحجاج للفرزدق : ما علمت شيئا إن الطير تنفر من الصبى والخشبة ، ودفع الخلعة إلى جرير ([2]) ٠

وإذا كان شرط الحجاج لإعطاء الخلعة ذا شقين هما : الإيجار والدقة فى الوصف ، فإن الفرزدق قد حقق الشرط الأول فأوجز بالقياس على جرير ، ولقد حقق الشرط الثانى أيضا إذ وصف الحجاج بالعقاب الصارم الذى لا ينجو منه من يستحقه ، وهذه الصفة أبرز صفات الحجاج ، وعلى هذا كان من العدل أن يمنح الفرزدق الخلعة ، ولكن الحجاج كان متعصبا لجرير لأنه شاعره ، ولأنه هو الذى قدمه لعبدالملك بن مروان ليكون من مادحيه ٠

والخلاصه أن ما فعله هؤلاء الخلفاء وأولئك الأمراء فى العصر الأموى ، إنما يمثل حركة أدبية نشطة شجع عليها أن الخلفاء من بنى أمية

---

[1] -اتجاهات النقد الأدبى العربى للأستاذ الدكتور محمد السعدى فرهود٠

[2] - الصناعتين صـ١٠٧ ٠

وولاتهم وقوادهم كانوا عربا خلصا ، بل كانوا من ذوى الحس اللغوى الصافى والذوق الأدبى النقى .

ولاريب فى أن النقد ، أو هذه الملحوظات قد دفعت الشعراء إلى تصفية شعرهم مما يشوبه، وربما دفعتهم أيضا إلى شىء من المبالغة فى المدح [1] .

٣- الصراع السياسى وما خلفه من أحزاب :

نشأ عن الصراع السياسى فى العصر الأموى عدة أحزاب هى الحزب الأموى الحاكم ، والحزب الزبيرى المناهض للحكم، وحزب الشيعة المترقب عودة الحكم إليه ، ثم حزب الخوارج الثائر على دعوى الوراثة القرشية للخلافة والحكم كل هذه الأحزاب على اختلاف مذاهبها وأهدافها .. كانت باعثا قويا من بواعث الأدب وقوة الشعر ، وعاملا حيويا من عوامل خصوبته وتعدد ألوانه ، وتعبيره الصادق عن تلك الحياة السياسية ، وتصويره الدقيق لجوانب الحياة العربية وعناصرها النفسية والاجتماعية ولاسيما ميدان الحديث عن العوامل وتصوير خلجات القلوب .

وقيام الأحزاب السياسية فى هذا العصر أصل كبير، تفرعت عنه أثار أدبية كثيرة ، من قيام الشعر السياسى ، والخطابة السياسية ، ومن تعدد مذاهب الأدباء السياسية والفكرية ، وقيام الهجاء بينهم ، وازدهار فن المدح والحماسة ، ووصف المعارك ورثاء القتلى، مما أثمر نهضة الأدب والشعر فى هذا العصر [2] .

وقد ساير النقد هذه النهضة الأدبية ، ولمع فى سمائها ، وأخذ ألوانا

- الذوق الأدبى د/ عبدالفتاح على عفيفى صـ٣٨ .

- تاريخ الأدب فى العصر الأموى د/ محمد عبدالمنعم خفاجى صـ١٣ ط مكتبة الكليات الأزهرية .

تختلف فى اتجاهاتها مع اختلاف الحياة فى أرجاء الدولة ، فاتجه فى الحجاز إلى المعانى معملا فيها ذوقه الحضرى ، وأكب على الغزل الذى شاع فى ربوعه ، يقيسه بمقاييس الطبائع السليمة والمشاعر الصادقة ، وما يلائم العفة ويتصل بها من خلق وعذوبة ، واتجه فى الشام ، حيث تزدحم الأقدام فى رحاب الخلفاء وفى ساحات الملك ، وفى العراق حيث يصطرع الأقوام حول المبادىء والأفكار وفى تيارات السياسية والحكم إلى إذكاء نار الخلاف بالمفاضلة بين الشعراء ، والموازنة بين أشعارهم ونقدها ، فبرزت آراء واتجاهات نقدية جديدة متأثرة باختلاف بيئات الشعراء ومنازعهم ، وما ساد الشعر من تلون فنونه وتعدد أغراضه تبعا لذلك [1]

٣- مجالس النقد :

أهتم خلفاء بنى أمية بالشعر والشعراء إهتماما كبيرا ، لاعتمادهم عليهم فى الدعوى لهم وإقامة دعائم دولتهم • ومن ثم ظهرت صور هذا الاهتمام فى قصورهم ومجالسهم • وكان للشعراء جانب مذكور فى تلك المجالس ، يستنشدهم الخلفاء ويحكمون بينهم ، وينقدون شعرهم ويجيزون المجيد منهم بالجوائز السنية [2] •

وهكذا نهض النقد فى هذه الفترة تبعا لاهتمام الخلفاء ومن فى مجالسهم به وكانت هذه المجالس خير مظهر من مظاهر احتفاظهم بخصائص عروبتهم ، وأهم تلك الخصائص حبهم للشعر ، وولوعهم بسحر البيان ، ودرايتهم بتذوقه ، وقدرتهم على نقده ، وتحسس جوانب الجمال فيه ، وتعرفهم إلى أسباب ضعفه

---

[1] -فى النقد الأدبى عند العرب د/ محمد طاهر درويش صـ٩٤ •

[2] - تاريخ النقد الأدبى والبلاغة د/محمد زغلول سلام صـ٨١ •

أو رداءته ، بفطرتهم السليمة وحسهم المرهف [١] .

فمما ترويه كتب الأدب أن الأقيشر - الشاعر الأموى المشهور - دخل على عبدالملك بن مروان وعنده قوم ، وجاء ذكر الشعر ،فذكروا قول نصيب :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت ∴ فياويح دعد من يهيم بها بعدى

فقال الأقيشر : والله لقد أساء قائل هذا الشعر ، قال عبدالملك : فكيف كنت تقول لو كنت قائله ؟ قال : كنت أقول :

تحبكم نفسى حياتى فإن أمت ∴ أوكل بدعد من يهيم بها بعدى

قال عبد الملك : والله لأنت أسوأ قولا منه حين توكل بها فقال الأقيشر : فكيف كنت تقول يا أمير المؤمنين ؟ قال كنت أقول :

تحبكم نفسى حياتى فإن أمت ∴ فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

فقال القوم جميعا : أنت والله يا أمير المؤمنين أشعر القوم [٢]

فنقد عبدالملك لشعر نصيب وكذا شعر الأقيشر وإجماع الحاضرين على إصابته يقوم على تحديد المعنى الذى يرمى إليه الشاعر واختيار الألفاظ المناسبة التى تؤدى هذا المعنى ، وقد أجاد عبدالملك - أيما أجاده - فى إبراز المعنى الذى أراده الشاعر فيما يناسبه من ألفاظ [٣]

ولم تقتصر مجالس الأدب والنقد على الخلفاء وحدهم ، ولكنها كانت صورة لمجالس أخرى ذكر فيها الأدب ، ونقد فيها الشعر ، وتلك مجالس

---

[١] - دراسات فى نقد الأدب العربى د/ بدوى طبابة صـ١٠٣ .

[٢] - الشعر والشعراء ٤١٩/١

[٣] - المقاييس البلاغية عند الجاحظ فى البيان والتبين د/فوزى السيد عبدربه صـ٨٧ ط دار الثقافة والنشر والتوزيع

الوجوه والكبراء، التى يبدو منها أن العناية بالشعر والكلف بنقده أصبح ظاهرة عامة فى هذه الأوساط ، وفى تلك النفوس المشبعة بحب لغتها ، الهائمة بشعرها وفنها .

فمن ذلك أن سكينة بنت الحسين كانت أديبة ظريفة، تقعد للرجال، ويغشى ناديها الشعراء ، فقالت يوما لكثير عزة : أأنت القائل :

فماروضة بالحزن طيبة الثرى ∴ يمج الندى جثجاثها [١] وعرارها

بأطيب من أردان عزة موهنا ∴ وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

ويحك وهل على الأرض زنجية منتنة الإبطين توقد بالمندل الرطب نارها إلا طاب ريحها ؟ ألا قلت كما قال عمك امرؤالقيس :

ألم ترياني كلما جئت طارقا ∴ وجدت بها طيبا وإن لم تطيب [٢]

فالشاعران من مذهب شعرى واحد،والمعنى الذى ذهبا إليه واحد، وإن اختلف العصر ، ولكنها تقول لكثير : ويحك ، ما زدت على أن جعلت محبوبتك زنجية منتنة ، وتفضل عليه قول امرىء القيس الجاهلى العصر، الذى جعل محبوبته طيبة الرائحة فى أى وقت دون أن توقد المندل . فريحها طيب فطرة وطبيعة [٣] .

ولم تكن تلك المجالس التى تبرز فيها محاسن الشعر وعيوبه وقفا على قصور الخلفاء ودور الكبراء ، بل إنها اتخذت مظهرا عاما فى سائر الجماعات

---

[١] - الجثجاث : شجر أخضر ينبت بالقيظ له زهرة صفراء طيبة الريح ، والعرار : نبت طيب الريح واحدته عرارة ، والحزن : ما غلظ من الأرض ، والأردان : واحده ردن وهو أصل الكم يقال قميص واسع الردن .

[٢] - العقد الفريد ٥/٣٧٢ ، والشعر والشعراء ١/

[٣] - من مظاهر النقد الأدبى عند العرب ، د/ رفعت زكى محمود صـ١٠٦ .

التى تفعل فى مجتمعاتها ما يفعل الخلفاء والكبراء فى قصورهم ودورهم ٠ وكان بين بعض الشعراء تواد وتعاطف ، فقد جمعتهم صلة الشعر ، وألف بينهم ما كان فيهم من اختلاف المنزع والاتجاه ، ولم تعصف بهم ريح التنافس والتحاسد ، فكانت لهم مجالس لهوهم وسمرهم ، ومن الطبيعى أن مادة السمر كانت فنهم الشعرى ومطارحته ، والنظر فى محاسنه ، ودراسة عيوبه (١)٠

وهذه المجالس - على اختلافها - تناولت الأدب ونقده ، مما يدل على شيوع الذوق الأدبى الرفيع ، وعلى نضج العقل العربى واتساعه ، وبصره بالقواعد والأصول التى يقوم عليها فن الأدب ، وعلى تمكن ملكة النقد من نفوس القوم ، وتجاوزها الرجال إلى النساء (٢) .

والخلاصة أن مجالس النقد كانت عاملا قويا من العوامل التى دفعت النقد إلى الأمام ، وخلفت تراثا نقديا ضخما استحق التسجيل والدراسة واحتل منزلة فى تاريخ حياة النقد الأدبى عند العرب .

٤- تعدد مراكز الشعر وأسواقه

تعدد مركز الشعر وأسواقه فى عصر بنى أمية عمل على تجويد الشعراء أصول فنهم وحذقهم له ، كما عمل على نمو روح النقد عندهم كذلك ، حيث كان النقاد و الشعراء يوازنون بين غرض شعرى وآخر فى شئ من الفهم والعمق و الوعى ، للمفاضلة بين شاعرين أو أكثر ، وقد كانت تلك الأسواق بمثابة منتدياتهم الأدبية التى يعلنون فيها عن براعتهم ورقى أذواقهم (٣) .

---

١ -دراسات فى نقد الأدب العربى د/ بدوى طبابة صـ١٠٩ ٠

٢ - المقاييس البلاغيه عند الجاحظ د/فوزى السيد عبدربه صـ٨٨ ٠

٣ - النقد الأدبى د/ محروس منشاوى الجالى ص ١٦١ .

ومن هذه المراكز سوق المربد فى البصرة وسوق الكناسة فى الكوفة ، وكانت تقومان مقام سوق عكاظ فى الجاهلية ، " بل لقد تحولا إلى ما يشبه مسرحين كبيرين يغدو عليهما شعراء البلدتين ومن يفد عليهما من البادية لينشد والناس خيرما صاغوه من أشعار...... "(١) .

وبهذا ظهر من شأن البصرة والكوفة ما ظهر ، وصارتا موئل الشعراء المتنافسين ، واشتجر التقاول والتطاول والجدل والخلاف بين الخصوم منهم . وفى صفوف الأحزاب السياسية المختلفة ، وكثر شعر الحماسة والفخروالهجاء والمديح ، وصارت البصرة ومربدها وكناسة الكوفة ومسجدها من أقوى العوامل التى حدت بالشعراء إلى تنقيح وتهذيب أشعارهم حتى ينجوا من نقدات النقاد ونظرات الشعراء ، وبهذا كانت هذه الأسواق مجالا خصبا للنقد والنقاد وجدوا فيه بغيتهم التى يتطلعون إليها

٥-النقائض:

فن جديد من الشعر فى العصر الأموى، استلزمه الجدل السياسى والقبلى والاجتماعى والأدبى، ونبغ فيه كثير من الشعراء كجرير والفرزدق والأخطل.. يقول أحدهم قصيدة فى موضوع وغالبا ما يكون الفخر أو الهجاء، فيهب الآخر للرد على الشاعر والأخذ بالثار، فينظم قصيدة فى موضوع وعلى نمط القصيدة الأولى وزنا وقافية غالبا، يبطل فيها معانى الشاعر الأول وكل أفكاره.

وقد ظهر أثر النقائض فى ازدهار الحركة النقدية واضحا فى أن كل شاعر منهم التف حوله فريق من أنصاره المعجبين بشعره، يحاولون أن

---

١ - البلاغة تطور وتاريخ د/ شوقى ضيف ص ١٦ ط دار المعارف .

يظهروا للناس محاسنة وأسباب تفوقة، كذلك يبخسون شعر معارضيه. ومن مجموع هذه المحاسن والمساوئ للشعر والشعراء حصل ذلك التراث المروى من النقد، قبل أن يؤلف فيه العلماء أمثال ابن سلام([1]) .

وكانت النقائض أشبه بمدرسة شعرية نقدية معا، فكانت نظرة الشعراء إليها على أنها ميدان إصالة شعرية لا يثبت فية إلا الأصلاء فى هذا الفن([2]) وبهذا أسهمت النقائض فى فهم الأساليب الشعرية التى استعملها كل شاعر، وأشاعت جوا من الوعى الأدبى والنقدى بين الشعب العربى.

وقد حققت النقائض ثورة نقدية قامت علي مظاهر مختلفة بعضها لغوى والآخر نحوى والثالث أدبى، وأعادت للشعر فخامته ورقيه الفنى، وكست فنونه وأغراضه ديباجة من القوة والازدهار([3])

٦- نشأة علوم العربيه :

وضعت فى هذا العصر نواة علوم العربية ،كعلمى اللغة والنحو ... وهيأ الله لهذه اللغة العلماء المخلصين ، الذين ضبطوا شاردها ، ووضعوا لها الضوابط التى تضمن لها العصمة من الخطأ والزلل والضياع من أمثال : يحيىبن يعمر، وعيسى بن عمر الثقفى ، وعبدالله بن إسحاق الحضرمى وأبوعمروبن العلاء وغيرهم .

ومن الطبيعى أن يؤثر هذا النشاط العلمى فى مجالي اللغة والنحو على الأدب والشعر والنقد ، ومن ثم على بروز الكثير من الملاحظات البيانية

---

[1] - تاريخ النقد والبلاغة ، د/ محمد زغلول سلام صـ ٨١ .

[2] - النقد الأدبى ، د/ سعد ظلام ٤٦ .

[3] -من مظاهر النقد الأدبى عند العرب ، د/ رفعت ذكى محمود عفيفى صـ٩٦ .

والبلاغية وعمقها . فقد وجد الشعراء أنفسهم - لأول مرة- أمام عقول متخصصة فى اللغة وقواعدها ، تعرف أصولها وضوابطها ، وتميز الكلام - جيده من رديئه - تميزا دقيقا .

وقد كان هؤلاء العلماء ينظرون فى أعمال الأدباء والشعراء ، ويتعقبونهم ، ويبرزون ما فيها من أسباب الحسن والجودة أو القبح والرداءة ، وما عسى أن يقع فيه الشعراء من المخالفات لضوابطهم التى وصلوا إليها([1]) .

ومن هنا نرى أن نشأة هذه العلوم فى اللسان العربى كانت عاملا قويا فى اتساع مجال النقد الأدبى ، "وذلك لأنها أضافت مقاييس جديدة إلى مقاييسه فى الشكل والوزن والأسلوب ، وتلك المقاييس كانت تهدف إلى احتذاء العرب فى سنن كلامها "([2]) .

أو بعبارة أخرى كان نقدهم للشعراء الذين عاصروهم أو سبقوهم تطبيقا على ما عرفوا من نهج العرب فى تعبيرهم .

---

[1] -المقاييس البلاغية عند الجاحظ ، أ د فوزى السيد عبدربه صـ٩٤،٩٥ .

[2] -دراسات فى نقد الأدب العربى د/بدوى طبانه صـ١٢٥ .

المدارس النقدية فى العصر الأموى واتجاهاتها

تمهيد

كان للنقد الأدبى دوره الرائد فى النهضة الفكرية واللغوية والأدبية فى هذا العصر ، وقد اتخذ أشكالا تتواءم مع كل بيئة من بيئاته وطائفة من طوائفه، وكانت هذه الأشكال وتلك الاتجاهات النقدية نتيجة حتمية لأسباب صنعتها كل بيئة من البيئات العربية المختلفة، وقد استطاعت هذه الأسباب أن تلون النظرات النقدية بطريقة واضحة وأن تؤثر فى الآراء اللغوية تأثيرا واضحا ([1])٠

وقد ظهرت المدارس الأدبية فى أنحاء متفرقة من الجزيرة العربية وأطرافها ، وتنوع معها النقد الأدبى تنوعا ملحوظا ، فمثلا كان للمدرسة الأدبية التى قامت فى المدينة المنورة وأطرافها نمط خاص بها فى التعبير والتذوق الجمالى للأدب وصار لشعراء البادية عشاق ومريدون يؤثرون أسلوبهم ويحبون طريقة تعبيرهم ، وأصبح كذلك لأدباء البصرة والكوفة مذهب يختلفون به عن مذهب شعراء الشام حيث الخلافة التى تملك الإشقاء والإسعاد ([2])٠

وما من شك أن اختلاف تلك البيئات الأدبية وغيرها فى العصر الأموى كان له أكبر الأثر فى توجيه الأدب والنقد ورسم اتجاهاته فى نطاق التذوق الجمالى أو التحليل العلمى الذى استند إلى القواعد والأسس الفنية أو إلى العصبية والنزعات القبلية التى حاول حكام بنى أمية أن يثيروها ونجحوا فى ذلك بعد أن كان الإسلام قد أسدل عليها ستار من المحبة والإخاء والتسامح ٠

---

[1] - مجله كلية اللغة العربية بالقاهرة ، مقال للدكتور إبراهيم محمد قاسم بعنوان " النقد الأدبى فى ظلال بنى أمية صـ٤٢٠ ، العدد الثالث _____ ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ٠

[2] - معالم النقد الأدبى د/ عبدالرحمن عثمان صـ١٢٨ ٠

لقد برزت فى المجتمع عصبية أخرى كان لها دور واضح فى الأدب والنقد تلك هى العصبية العربية والعصبية الشعوبية ([1]).

بعد هذا التمهيد الذى ألمحنا فيه لدور النقد فى هذا العصر ، وظهور المدارس الأدبية حسب اختلاف البيئات ، نقول إن المدارس النقدية فى هذا العصر ثلاث مدارس وهى : مدرسة الحجاز ، ومدرسة الشام ، ومدرسة العراق ، وإليك الحديث عن كل مدرسة واتجاهها وأعلامها .

أولا – مدرسة الحجاز :

وهى مدرسة الغزل وكان النقد فيها مطبوعا بطابع الذوق الفنى والرقة، والروح الإنسانية ([2]) ، تبعا لأدب هذه البيئة الذى شاع فيه ما شاع فيها من رقة وخفة وظرف ، وتذوق رفيع للجمال وأساليب القول ([3]).

يقول الأستاذ أحمد أمين وهو بصدد حديثه عن الحجاز فى العصر الأموى : أنه نشأ فيه أدب رقيق يتفق وروح العصر ، فيه دعابة وفيه وصف للنساء صريح ، وفيه قصص لأحداث الشعراء مع النساء .... هذا الأدب الجديد فى هذه البيئة اللاهية استتبع كذلك رقيا فى النقد يدل على رقى فى الذوق ([4]). والنقد فى هذه المدرسة غالبا ما اتجه إلى المعانى التى وعاها النص، والتى كان الناقد يعرضها على ذوقه الحضرى ، فيقبل منها مايراه موائما لهذا الذوق ، وماهو أليق لعاطفة الحب وأنسب لفن الغزل .

---

[1] – مجلة كلية اللغة العربية بالقاهرة العدد الثالث المقال السابق صـ٤٢٠ .

[2] – تاريخ النقد الأدبى والبلاغه د/ محمد زغلول سلام ص ٨٥ .

[3] – دراسات فى النقد الأدبى د/حسن جاد ص ٤٤.

[4] – النقد الأدبى ٢ / ٤٢١ للأستاذ أحمد أمين .

وقد اشتهر نقد أصحاب هذه المدرسة بنقد الذواقين تارةوبنقد الشعراء تارة أخرى ، والمراد بالذواقين جماعة النقاد الذين اشتهروا بتذوق الشعر وتدارسه وتقويمه وإبداء رأى فيه وإن لم ينظموه ويتفرغوا له ، والمراد بنقد الشعراء جماعة النقاد الذين نقدوا الشعر وهم شعراء وصدرنقدهم عن تجربة شعورية ، وجمع نقدهم بين النظرية والتطبيق .

ومن أشهر النقاد الذواقين فى هذه المدرسة ابن أبى عتيق ، وسكينة بيت الحسين .

أما عن ابن أبى عتيق فقد كان له تميزظاهر بين نقاد العصر الأموى ، فإذا ما كانت الكثرة الغالبة منهم تنقد الشعر حين تتاح لهم فرصة نقده فقد كان ابن أبى عتيق يخلق هذه الفرصة ويعطى الشعر ونقده نفسه ووقته ما قد يتيح لقائل أن يقول : إنه جعل ذلك شغله ، وتكلم فيه بما يصلح أن يكون أسسا وأصولا ومقاييس فى نقد الأدب ([1]) .

فمثلا نراه يقدم عمروبن أبى ربيعة ، ويؤثر شعره ، ويفضله على غيره من شعراء مذهبه الغزلى ، ويقول "" لشعر ابن أبى ربيعة نوطة بالقلب ، وعلوق بالنفس ودرك للحاجة ، ليست لشعر غيره . وما عصى الله جل ذكره بشعر أكثر مما عصى بشعر عمرو بن أبى ربيعة . فخذعنى ما أصف لك : أشعر الناس من دق معناه ، ولطف مدخله، وسهل مخرجه ، ومتن حشوه ، وتعطفت حواشيه ، وأنارت معانيه ، وأعرب عن حاجته ([2]) .

فهذا لون من الملاحظات النقدية والمقاييس الأدبية التى رآها وعرضها ابن أبى عتيق للشعر الجيد والشاعر البارع ، وهى مقاييس هامة ، تكشف عن

---

[1] - فى النقد الأدبى عند العرب د/ محمد طاهر درويش ص ١١٠ .

[2] - الأغانى ١ / ٥١ ، ٥٢ ط كتاب التحرير .

تطور الوعى النقدى وتقدمه ، وقد صار لها شأنها فى مجال النقد ، وكانت درجة ارتقى عليها النقد الأدبى فى طريق الموضوعية ، والأسس العلمية .

وأهم الأصول النقدية التى ينبغى مراعاتها فى صناعة الشعر ونقده فى كلام ابن عتيق السابق هى :

- أثر الشعر فى النفوس وتأثيره فى القلوب وعلوقه بها وإدراك الحاجة به .
- الشعر الجيد ما أثر فى نفس سامعيه حتى يحسوا بما أحس به صاحبه .
- الشاعر المجيد هو من ينقل مشاعره إلى غيره نقلا أمينا عن طريق افتنانه فى تصوير عواطفه وتفننه فى إبداع تجربته .
- مخالفة شعر ابن أبى ربيعة لمبادئ الدين والخلق لم تقلل من جماله الفنى باعتباره شعرا تجمعت فيه خصائص الشعر الجيد - فيما رآه
- أبان الناقد فى الجزء الأخير من النص عن المقاييس الفنية التى يحتكم إليها عند المفاضلة بين الشعراء وهى فيما رأى :

دقة المعنى ، ورقة اللفظ ، ولطفه ، وسهولة المخرج بمعنى : حسن التخلص فى الانتقال من غرض إلى غرض ومتانة الحشو أى : ترابط النص وتماسك أجزائه . وهذه المقاييس النقدية لا يستهان بها فى مثل ذلك العصر (١) .

فالرؤية النقدية للشعر عند أبى عتيق فن مبعثه ومنبته الذوق غايته التكيف مع العمل الفنى وإدراك معطياته الحضارية والجمالية ، وهى فن المتعه والتذوق والتأثير . وهذا أسمى ما وصل إليه النقد الحديث .

وبهذا يكون قول ابن أبى عتيق قد شمل العمل الفنى من جوانبه حيث ألمح إلى الجانب النفسى فى شقه الأول ، وأدرك الجانب الحيوى للعمل فى شقه

---

١ - النقد الأدبى د/ محروس منشاوى الجالى ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

روى أنه اجتمع بالمدينة راوية جرير وراوية نصيب وراوية كثير وراوية جميل وراوية الأحوص ، فادعى كل منهم أن صاحبه أشعر ثم تراضو بسكينة فأتوها فأخبروها فقالت لصاحب جرير : أليس صاحبك الذى يقول :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا ∴ حين الزيارة فارجعى بسلام

وأى ساعة أحلى للزيارة من الطروق ، قبح الله صاحبك وقبح شعره

ثم قالت لصاحب كثير : أليس صاحبك الذى يقول :

يقر بعينى ما يقر بعينها ∴ وأحسن شئ مابه العين قرت

كأنى أنادى صخرة حين أعرضت ∴من الصم لو تمشى بها العصم زلت [1]

فليس شئ أحب إليهن ولا أقرب لأعينهن من النكاح ، أفيحب صاحبك أن ينكح ، قبحه الله وقبح شعره .

ثم قالت لصاحب جميل : أليس صاحبك الذى يقول :

فلو تركت عقلى معى ما طلبتها ∴ ولكن طلا بيها لما فات من عقلى . الخ

ما أرى لصاحبك هوى ، إنما يطلب عقله ، قبح الله صاحبك وقبح شعره ثم قالت لصاحب نصيب : أليس صاحبك الذى يقول :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت ∴ فوا حزانى من ذا يهيم بها بعدى

كأنه يتمنى لها من يتعشقها بعده ، قبح الله صاحبك وقبح شعره ، ألا قال :

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت ∴ فلا صلحت دعد لذى خلة بعدى

ثم قالت لصا حب الأحوص : أليس صاحبك الذى يقول :

من عاشقين تواصلا وتواعدا ∴ ليلا إذا نجم الثريا حلقا

---

[1] - العصم من الظباء والوعول : مافى ذراعه أو فى إحدهما بياض وسائر أسود أو أحمر زلت : زلقت .

باتا بأنعم عيشة وألــــذها ∴ حتى إذا وضـــح النهار تفــرقا

قبح الله صاحبك وقبح شعره ، ألا قال : تعانقا ([1]).

ونقد سكينه هذا – نقد ذوقي تأثرى – انصب على معانى الأبيات التى صورت عواطف المحبين فى تلك البيئة المترفة ، التى كثرت فيها شعر الغزل كما كـثرت مدارسته ونقده ، وموقفها من الأبيـات السابقة يتلخص فى عدم تجاوب أحاسيسها مع ما تضمنته الأبيات من معان بعدت عن المشاعر الصادقة والعواطف الحارة من وجهة نظرها ([2]) – وهذا لون من النقد التأثرى الذى يعوزه التعليل المفصل لما أصـدره من حكم ، والذى يرفض شعر الشاعرأو يقبلـه من خـلال بيت أو مجموعـة من الأبيـات دون أن يستقصى شعره فــى مجموعه .

ولعل طبيعتها – كأنثى عفيفة – أثرا فى مثل هذا النقد الذى رفض شعر هؤلاء الغزليين ، لأن معانيه لم تتجاوب مع كبريائها ومـع مـا تحملـه من عواطف تنشدها فى كل ما يعرض عليها من شعر الغزل العفيف ، الذى يصور عاطفة الشوق الصادقة و الصبابة البريئة .

على أنها جانبت الصواب فى نقدها – بيتى الأحوص الأخيرين – من منطق احتكامها إلى طبيعة المرأة هذه ، حيث أنكرت عليه قوله :– تفرقـا– مع أن التفرق نتيجة موائمة لسياق الأحداث ، ومتفقة تماما مع مقدماتها ، وقد آثرت عليها كلمة – تعانقا– حتى ترضى نزعة الكبرياء فى المرأة الحـرة الكريمـة – ممن كانت على شاكلتها .

---

[1] – المرشح ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .

[2] – الموازنة بين الشعراء د/ زكى مبارك ص ٩ وما بعدها ط ٢

وإلا فما فائدة التعانق فى وضح النهار وبعد انصرام ليل طويل نال فيه العاشقان مرادهما وظفر ببغيتهما ؟

اللهم إلا إذا كانت تقصد دوام الحب بين العاشقين واستمرار الوصل بينهما استمرارا يستحيل معه الفراق [1] .

ومن النقاد الشعراء الذين جمعوا بين قول الشعر وتذوقه كثير وهو من أصحاب الغزل العفيف فى بدو الحجاز اجتمع بعمر بن أبى ربيعة شاعر مكة الحضرى، من أصحاب الغزل المادى الصريح ، ووجه إليه النقد على قوله :

قالت لها أختها تعاتبها ∴ لا تفسدن الطواف فى عمر

قومى تصدى له لأبصره ∴ ثم اغمزيه يا أخت فى خفر

قالت لها : قد غمزته فأبى ∴ ثم اسبطرت[2] تشتدفى أثرى

يوجه كثير النقد لعمر بن أبى ربيعة على هذه الأبيات قائلا :
(أهكذا يقال للمرأة ؟ إنما توصف بأنها مطلوبه ممتنعة) [3] .

وذوق كثير الذى تربى على الشعر العربى ، وعلى الغزل العربى ، وعرف ما تستحسنه العرب فى المرأة وما تستقبحه ، وما ينبغى أن توصف به الحرة هو الذى حمله على هذا النقد ، ما يزال ذوق العربى حتى عصرنا الحاضر تستحسن أن توصف المرأة بالحياء والإباء والخجل و الامتناع ، ولا يستسيغ أن تكون المرأة طالبة تغاذل الرجل وتنشط فى التصدى له ، أما هو فيأبى ويجرى أمامها [4] .

---

[1] - النقد الأدبى د/ محروس منشاوى الجالى ص ١٧١ ، ١٧٢ .

[2] - اسبطرت : نشطت .

[3] - العمدة ٢ / ١٢٤ .

[4] - الذوق الأدبى / د عبد الفتاح على عفيفى ص ٣٢ .

وكثير فيما عابه على عمر بن أبى ربيعة يعتمد على ذوق العربى الذى يأبى أن تصور المرأة إلامتسمة بالحياة والتمتع وما إلى ذلك من صفات المثالية .

ثانيا مدرسة الشام :

وهى مدرسة المدح ، وحوله قامت حركة نقدية فى قصور الخلفاء وأنديتهم ، كتلك التى قامت فى الحجاز حول الغزل .

والنقد هنا كما فى الحجاز يعتمد على الذوق الفطرى المصقول بطول النظرفى الشعر ، واستيعاب نماذجه ، وتمثل طرائق العرب فى التعبير والتصوير [1] .

والنقد فى هذه المدرسة غالبا ما اتجه إلى تقييم الحركة الشعرية على ضوء اقترابها وابتعادها عن القيم الفنية الموروثة وبخاصة فى شعر المدح [2]

وبهذا كان النقد ينحو منحى اتباعيا تأثريا ، حيث جنح النقاد فى كثير من نظراتهم النقدية أو لمحاتهم الذوقية التى أبدوها ، إلى مدى ماظفر به البيت أو الأبيات من اتباع للنماذج القديمة من حيث إصابة المعنى ودقة الوصف والتعبير عن الغرض [3] .

وكان الخلفاء أنفسهم هم عمد هذه المدرسة،وكان عبدالملك بن مروان على رأس خلفاء بنى أمية فى مجال النقد والمناقشة ، وكان صاحب ذوق أدبى راق يقصده الشعراء بمدحهم فيدقق فى معانى شعرهم بذوقه اللطيف وحسه الرهيف، الذى كان ينفذ إلى أعماق النص يكشف عن جماله أو يبين رداءته .

---

[1] – دراسات فى النقد الأدبى د/ حسن جاد ص ٤٤ .

[2] – عن اللغة و الأدب والنقد د/ محمد أحمد العزب ص ٢٨٢ ط دار المعارف .

[3] – النقد الأدبى د / محروس منشاوى الجالى ص ١٥٧ .

ومن صور نقده مارواه صاحب الموشح من أن الراعى النميرى أنشدة قصيدتـه التى منها قوله :

أخليفة الرحمان إنا معشر ∴ حنفاء نسجد بكرة وأصيلا

عرب نرى لله فى أموالنا ∴ حق الزكاة مـنزلا تنزيلا

فقال عبد الملك "" ليس هذا شرح إسلام وقراءة آية "" ([1]).

ويفيد هذا التعليق أن عبد الملك لم يقبل من الشعر ما كان تقريرا لمسائل دينية أو خلقية فليس هذا وظيفة الشعر ، وإنما هو : شعور و إحساس يعبر عنهما فى بيان جميل ونغم بديع وتصوير مفتن ، أما ما قاله الراعى فليس شعرا ، لأنه لاعاطفة فيه ولاشعور وإنما هو تقرير لحقائق يعرفها العامة .

- ومنها أن كثير أنشده مادحا قوله :

على ابن أبى العاصى دلاص حصينة ∴ أجاد السدى سردها وأذالها

يئود ضعيف القوم حمل قتيرها ∴ ويستنضلع القرم الأشم احتمالها([2]).

فقال عبد الملك : قول الأعشى لقيس بن معد يكرب أحب إلى من قولك ، إذ يقول :

وإذا تجيئ كتيبة ملمومة ∴ شهباء يخشى الزائدون نهالها

كنت المقدم غير لابس جنة ∴ بالسيف تضرب معلما أبطالها ([3])

---

[1] - المرشح ص ٢٠٧ .

[2] - دلاص : دروع لينة براقة ملساء ، السدى : صانع السداه قرينة اللحمة فى نسج الثوب ، سردها : نسجها، أذالها: أطال ذيلها و هومما يستحسن فى الدروع ، يئود : يثقل ويصعب ، قتيرها : مسامير الدرع أو الرع نفسها ، القرم : السيد العظيم ، الأشم : المرتفع .

[3] - شهباء : صافية الحديد، نهال : الرماح المتعطشة للدماء ، الجنة : الدرع الواقية، معلما : متحديا أعداءه إذ يعلمهم بمكانه فى الحرب

فقال : يا أمير المؤمنين : وصف الأعشى صاحبه بالطيش والخرق والتغرير ، ووصفتك بالحزم والعزم ، فأرضاه . ([1])

ومن الواضح أن كثيرا وصف عبدالملك بن مروان بأنه يحتاط لنفسه فى الحرب بدليل أنه يلبس درعا حصينة محكمة الصنع يثقل حملها على الضعيف ، والاحتياط من صفات ذوى الحزم والعزم والعقل وبعد النظر .

غير أن عبدالملك بن مروان – ولابد أنه لحزمه وعزمه وبعد نظره كان يدخل المعركة محتاطا لها – لا يرضى بهذا الوصف الذى يطابق واقعه ، وإنما يريد من الشاعر أن يبالغ فى شجاعته فيصوره محاربا باسلا يتقدم جنوده، ويتحدى أعداءه ، غير حذر ولا محتاط إذ لا يرتدى درع الوقاية ، ولا يتخفى عن القوم بل يعلمهم بمكانه ويمض يجندل الأبطال من أعدائه ([2]) .

– ومنها ما أورده صاحب الأمالى من أن كثير عزة دخل على عبدالملك بن مروان فقال له . أأنت كثير عزة ؟ فال : نعم ، قال أن تسمع بالمعيدى خير من أن تراه ، فقال : ياأمير المؤمنين ، كل عند محله رحب الفناء، شامخ البناء ، عالى السناء ، ثم أنشأ يقول :

ترى الرجل النحيف فتزدريه ∴ وفى أثوابه أسـد هصـور

ويعجبك الطرير إذا تـراه ∴ فيخلف ظنك الرجل الطرير

بغاث الطير أطولها رقابا ∴ ولم تطل البزاة ولا الصقور

خشاش الطير أكثرها فراخا ∴ وأم الصقر مقـلات نـزور

ضعاف الأسد أكثرها زئيرا ∴ وأصرمها اللواتى لا تزير .. الخ

---

[1] – الموشح ص ١٩٢ .

[2] –الذوق الأدبى د/ عبد الفتاح على عفيفى صـ٣٦ .

فقال عبدالملك : " لله دره ، ما أفصح لسانه ، وأضبط جنانه ، وأطول عنانه ، والله إنى لأظنه كما وصف نفسه "([1]) ٠

وإعجاب عبدالملك بأبيات كثير مردة إلى فصاحة الشاعر فى تصوير معانيه وصدقه فى وصف هذه المعانى وصفا قوامه ترتيب الفكر وإجادة التعبير عنه ٠

- ومنها ما روى أنه كان ذات ليلة فى سمره مع أهل بيته وخاصته ، فقال لهم : ليقل كل واحد منكم أحسن ما قيل فى الشعر ، وليفضل من رأى تفضيله فأنشدوا وفضلوا ، فقال بعضهم : امرؤالقيس ، وقال بعضهم : النابغة ، وقال بعضهم : الأعشى ، فلما فرغوا قال : أشعر هؤلاء والله عندى الذى يقول : ثم أنشد شعرا لمعن بن أوس من قصيدة التى مطلعها :

وذى رحم قلمت أظفار ضغنه ∴ بحلمى عنه وهو ليس له حلم

يحاول رغمى لا يحاول غيره ∴ وكالموت عندى أن يحل به الرغم

فإن أعف عنه أغض عينا على قذى ∴ وليس له بالصفح عن ذنبه علم

صبرت على ما كان بينى وبينه ∴ وما تستوى حرب الأقارب والسلم ٠٠ ([2]) الخ

فهذه النماذج التى سقناها لعبدالملك بن مروان تدل على أنه كان أديبا ناقدا عالما بما قاله الشعراء فى المعانى المتنوعة قديما وحديثا ،ذا بصر بمسالك الشعراء وطرائفهم فى المدح ، يعتمد على الذوق فى إدراك أسرار الجمال ومعرفة مواطنه ، وبهذا كان نقده نقد عليم بالأدب ، خبير بأحوال النفوس ، قادر على التعمق فى فهم الشعر وتذوقه ٠

---

[1] - الأمالى لأبى على القالى ٤٧،٤٦/١ ٠

[2] - نفس المرجع ١٠٢/٢ ٠

ثالثا : مدرسة العراق

الشعر فى هذه المدرسة يشابه الشعر الجاهلى فى موضوعه وفحولته وأسلوبه ، فالفخر بالأصول والعصبيات والصراع بين الشعراء خلف لنا شعر النقائض والأراجيز ، واحتذاء النمط الجاهلى خلف لنا نوعا من النقد يفاضل بين الشعراء ويوازن بين الأعمال الشعرية ، ويميز بين طرائق التعبير على أساس من فحولة الأسلوب ••• ونموالحركات السياسية ، خلف لنا نوعا من الشعر الذى يرفض التوجه للأمراء والتمسح بالملوك واستجداء المال بالمدح - كما فى الشعر الخارجى - نمت إلى جواره حركة نقدية مالت إلى تقييم الشعر على ضوء التزامه بالقيم الدينية والخلقية (1)•

ولا ننسى أن بيئة العراق بيئة علمية ثقافية امتزجت فيها الأصول العربية والأصول الأجنبية ولذلك تأثرت هذه المدرسة بالمنهج العلمى الذى اعتمد فيه نقادها غالبا على قواعد النحو وأصول اللغة ، يقيسون الأدب بمقاييسها ، ويحاولون أن يخضعوا الشعراء لها •

تلك هى مدرسة اللغويين فى العراق التى غلب عليها الطابع اللغوى والنحوى ، وإن لم تهمل الجوانب المعنوية والتعبيرية الأخرى •

ولم يكن هؤلاء العلماء النقاد من اللغويين والنحويين ، على درجة واحدة فى التزام المقياس العلمى ، فالحق أن منهم من كان نقده يقوم أساس على الأصول المقررة فى اللغة والنحو والعروض • ومنهم من يميل إلى الأصول

---

1 - عن اللغة والأدب والنقد د/ محمد أحمد العزب صـ٢٨٢ ، وراجع النقد الأدبى لأحمد أمين ٤٢٤ وما بعدها •

الأدبية الفنية فى التعبير والتصوير ([1])

وهؤلاء العلماء قد أفادوا النقد الأدبى من جهات ثلاث :

الأولى : أنه كانت لهم آراؤهم القيمة فى نقد الشعر والحكم على الشعراء حكما يستند على بعض الأصول والأسس الموضوعية

والثانية : أنهم جمعوا كل ما قاله الأدباء والنقاد قبلهم فى الشعر والشعراء ([2])٠

والثالثة: إنه يعزى إلى هؤلاء الفضل فى رواية الخصومات التى قامت حول كبار الشعراء - فيما بعد - وذكر الحجج التى كان يوردها أنصار كل شاعر فى تفضيله([3])٠

والنقد فى هذه المدرسة قد اتجه اتجاها لغويا ، فاتجه إلى اللفظ من وجهته الإعرابية ٠ ومن جهة الأوزان والقوافى ٠ وتعمقوا كذلك فنقدوه من ناحية الصياغة والصناعه والثقافة ٠ ثم زاد التعمق والفهم للشعر والشعراء فكان التذوق والمتعه ولذة الموسيقى والإحساس بألوان من الصياغة منها ما هو رقيق سهل ، ومنها ما هو صعب متلو ، وعرفوا أنواع المعانى الصائبة الفاسدة ٠

ومن أشهر نقاد هذه المدرسة : أبوعمرو بن العلاء والحضرمى وعنبسة الفيل ، وحماد الراوية ، وخلف الأحمر ، والأصمعى ، وأبوعبيدة والمفضل الضبى وغيرهم مما سنذكرهم أثناء النماذج التالية ٠

---

[1] - دراسات فى النقد الأدبى د/ حسن جاد صـ٤٥ ، وراجع تاريخ النقد الأدبى عند العرب للأستاذ طه أحمد ابراهيم صـ٥٠ ٠

[2] - النقد الأدبى د/ محروس منشاوى الجالى ص ١٩٤ ٠

[3] - الموازنة بين أبى تمام والبحترى للآمدى فى مواضع متفرقه ٠

- روى صاحب الموشح : أن عيسى بن عمر أخذ على النابغة الذبيانى تورطه فى قوله :

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة ∴ من الرقش فى أنيابها السم ناقع

حيث قال : صحته (ناقعا) بالنصب على الحال ([1]).

ومثله تخطئه أبى عمرو بن العلاء ابن قيس الرقيات فى بيته:

تبكيكم أسماء معولة ∴ وتقول ليلى وارزيئتيه

بقوله : كان ينبغى أن يقول : وارزيئتاه ، كما تقول : واعماه وأخياه ([2]).

وكان أبوعبدالله الحضرمى النحوى شديد التعقب لشعر الفرزدق فنقده فى بيته:

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع ∴ من الناس إلا مسحتا أو مجلف

بأنه عطف الموفوع وهو " مجلف " على المنصوب (مسحتا)

وهذه النماذج ومثلها كثير فى تراث النقاد والعلماء فى ذلك العصر ، قد انصبت علىقواعد الإعراب فى الأبيات ، حيث عاتب فيها ماخرج على أصول تلك القواعد ، التى وضعها العلماء بعد استقرائهم كلام العرب الخلص ، وهو نقد نحوى ، ويتمثل فى تخطئة الشعراء فى قواعد الإعراب .

ومما يتصل بنقد العلماء فى ذلك العصر تناولهم الشعر من ناحية موسيقاه " الوزن والقافية " فأحصوا على الشعراء هفواتهم فى هذا العنصر من عناصر الشعر ومن ذلك : مالاحظة يونس بن يونس بن حبيب من كثرة الإقواء فى شعر جرير كقوله :

عرين من عرينة ليس منا ∴ برئت إلى عرينة من عرين

---

[1] - الموشح ص ٤٢ .

[2] -نفس المرجع ص ٢٤٢ .

عرفنا جعفرا وبنـى عبيد ∴ وأنكرنا زعـــانف آخرين [1]

فالنون " في عربن " مكسورة ، وقد كسر من أجلها نون (آخرين) لمناسبة حركة الروى وصحتها الفتح [2]٠

ولم يتوقف نقد أصحاب هذه المدرسة عند الأصول الفنية التى تتصل بالنحو واللغة والعروض ، بل تعداه إلى الأصول الفنية التى تتصل بالأدب ، ونورد نماذج من نقدهم يتبين من خلالها نظرتهم إلى الأصول الفنية

- ذكر صاحب الموشح بسنده أن الأصمعى قال : قرأت على خلف شعر جرير - فلما بلغت قوله :

ويوم كأبهام القــطاة محبب ∴ إلى هواه غالب لى باطله

رزقنا به الصيد الغرير ولم نكن ∴ كمن نبله محرومة وحبائله

فيالك يوما خـــيره قبل شره ∴ تغيب واشـــيه وأقصر عاذله

فقال : ويله : وما ينفعه خير يؤول إلى شر ؟ قلت له ٠ هكذا قرأته على أبى عمرو ، فقال لى : صدقت وكذا قال جرير ، وكان قليل التنقيح مشرد الألفاظ وما كان أبوعمرو ليقرئك إلا كما سمع ، فقلت ، فكيف يجب أن تقول ؟ قال : الأجود له لو قال : فيالك يوما خيره دون شره ، فاروه هكذا ، فقد كانت الرواة قديما تصلح من أشعار القدماء ، فقلت : والله لا أرويه بعد هذا إلا هكذا" [3]٠

فنقد خلف بيت جرير تناول عنصرين من عناصر الشعر هما ، المعنى الذى تورط فيه جرير وجانب الصواب فيه ، واللفظ الذى لم يحكم جرير

---

[1] - الموشح ص ١٧٥ ٠

[2] - راجع: تاريخ النقد العربى ص ٩٥ د/ محمد زغلول سلام

[3] - الموشح ص ١٦٥ ، ١٦٦ ٠

صنعته وسبكه وهو نقد فني دقيق [١]٠

وكان أبوعمرو بن العلاء يقول في شعر ذي الرمة :" إنما شعره نقط عروس : يضمحل عن قليل [٢]، وأبعار ظباء : لها مشم في أول شمها [٣] ثم تعود إلى أرواح البعر [٤]٠

فقد شبه شعر ذي الرمة بنقط العروس الذي يذهب بالغسل ، وبأبعار الظباء التي لها رائحة مقبولة من أثر النبت الطيب الذي تأكلة ، ثم لا تلبث أن تزول أي أن شعره حلو أول ما تسمعه ، فإذا كررت إنشاده ضعف ، بمعنى أنه غير عميق الأثر في النفس وإنما هو كالشيء البراق يعطي دفعة واحدة كل ماله من رواء ٠ وقد رأى الأصمعي في شعر ذي الرمة مثل هذا الرأي في قوله " إن شعر ذي الرمه حلو أول ما نسمعه فإذا كثر إنشاده ضعف ، ولم يكن له حسن ٠٠٠ إلخ [٥]٠

ومن هنا نرى أن أبا العلاء يهتدي من خلال حديثه عن ذي الرمة إلى أن حلاوة اللفظ وخلابة الصورة لاتكفيان وحدها في الحكم بالجمال للشعر ، بل لابد من أن تكمن فيه عناصر ذاتية يبقى بها جديدا على طول الإنشاد ، وبهذا يجمع بين الشكل والمضمون في الصورة الشعرية٠

---

[١] - النقد الأدبي د/ محروس منشاوي الجالي ص ٢٠٠ ٠

[٢] - نقط عروس: ما تنقط به المرأة خدها من السواد تجعله كالخال على خدها ، تتحسن بذلك ، وهو سريع الزوال ، وربما أراد ما تطلى به من الزعفران عند العرس٠

[٣] - مشم : يعني رائحة طيبه تشم ، وبعر الظباء طيب الرائحة مادام رطبا لما تأكل من الشيح والقيصوم والنبت الطيب الريح ، فإذا جف كان كسائر البعر ٠

[٤] - طبقات فحول الشعراء ٢/٥٥١ ، والموشح ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ٠

[٥] - الموشح ص ٢٢٤ ٠

وذكر أبو عبيدة عن أبى عمرو بن العلاء قال : كان عدى بن زيد فى الشعراء بمنزلة سهيل فى النجوم ، يعارضها ولايجرى مجاريها ، والعرب لاتزوى شعره ، لأن ألفاظه ليست بنجدية ، وكان نصرانيا من عباد الحيرة قد قرأ الكتب ([1])٠

وقال الأصمعى :" كان عدى لايحسن أن ينعت الخيل ، وأخذ عليه قوله فى صفة الفرس " فارها متتابعا " وقال لايقال للفرس " فاره " إنما يقال له " جواد " وعتيق " ([2]) الخ٠

فعدى فى نظر الأصمعى مقصر فى وصف الخيل وحاول الأصمعى أن يدلل على نقده بالمثال الذى ذكره من كلام عدى ٠

وهناك نظرات نقدية كثيرة تتسم بالدقة والعمق أثرت عن الاصمعى ، ومن أهمها الصلة بين الشعر وبيئته الاجتماعية وذلك حينما نظر فى شعر حسان بن ثابت ([3])، وأنه فى الإسلام أضعف منه فى الجاهلية، لأن الشعر قائم على الأهواء والشر ، فإذا دخل فى الخير ضعف ٠ وكأن الشعر فى رأى الأصمعى صدى للحياة الاجتماعية ، فالأصمعى حرص على تدعيم الصلة بين شعر حسان والحياة الاجتماعية فى عهديه٠

سمات وخصائص النقد فى العصر الأموى:

١- إتسع نطاق النقد فى هذه الفترة وكثر الخائضون فيه حتى شمل الشعراء والأدباء والسوقة والملوك والرجال والنساء ، مما جعله تتصب فيه أذواق مختلفه كثيرة ومما وسع آفاقه وعدد جوانبة

---

[1] - الشعر والشعراء ٢٣٦/١ ٠

[2] - نفس المرجع والصفحة ٠

[3] - يرجع لكلام الأصمعى فى موقف الإسلام من الشعر من هذا الكتاب ٠

٢- تشعب القول فى هذا النقد ، وتعددت نواحيه بتعدد الأغراض التى برزت فى هذا العصر فهناك نقد انصب على الغزل فى بيئة الحجاز ، وآخر انصب على المديح فى بيئة الشام ، وثالث تناول الفخر والهجاء فى بيئة العراق[١]٠

٣- رسم هذا النقد لبعض أغراض الشعر طريقها ، وألم بجوانب هامة من أدبها فالنقاد الحجازيون وضعوا للغزل رسوما ، فسكينة ابنه الحسين تأخذ على جرير سوء معاملته لطيف المحبوبة ، وكثير يستنكر على عمر أن يفضح الحرائر وعمر يستنكر على كثير مالصقة بمحبوبته من مسخ وجرب وطرد٠

والنقاد الشاميون وضعوا للمديح أدبه فدعوا إلى سلامة مطالع القصائد، وبينوا أن ما يمدح به الملوك غير ما يمدح به الآخرون ، فالملوك يوصفون بالرزانة والرصانة وأصالة الرأى وعدم الجزع عند الحوادث وعلى هذا فليس لمادح أن يمدح الخليفة العظيم بصباحة الوجه وجمال المحيا وائتلاف التاج على المفرق٠

٤- النقد الأموى التفت إلى بواعث الشعر عند الشاعر وأثرها فى تجويد فن دون آخر ، فعفه جرير أورثته هذا النسيب الرقيق الذى يبكى العجوز على شبابها والشابه على أحبابها ، وفجور الفرزدق هو الذى جعله لايحسن من هذا النسيب ما يحسنه جرير وبهذا ظهر اتجاه (النقد الشعورى) إلى جانب النقد التذوقى ، وهو خطوة متقدمة ، ومظهر جديد فى النقد الأدبى فى العصر الأموى " [٢]

---

[١] - رحلة مع النقد الأدبى د/ فخرى الخضراوى ص ٨١ ومابعدها ط دار الفكر العربى٠

[٢] - من مظاهر النقد الأدبى عند العرب د/ رفعت زكى محمود عفيفى ص ١١١ ٠

٥- بنى النقد فى العصر الأموى على الذوق الفطرى وخاصة فى بيئة الحجاز، وقد عملت البيئة والحضارة فى تهذيبه ، وأقيم على الطبع والسليقة ومن ثم كان التعليل فيه فطريا ساذجا بعيدا عن روح العلم والمنهج٠

٦- اتجه النقد بصفة عامة إلى الوضوح والسهولة ، واتسم بالأصالة الفنية والعمق فى فهم النصوص ، وعلى ضوء الذوق المثقف الذكى ، أوالتعليل العلمى ٠ ([1])٠

٧- ظهور اتجاهات جديدة فى النقد ، تتجه إلى المعانى والأفكار والتصوير وتصحيح الخيال لدى بعض الشعراء ، كما رأينا فى تصحيح خلف لرواية جرير (خيره قبل شره) إلى خيره دون شره ٠

---

[1] - دراسات فى النقد الأدبى د/ حسن جاد ص ٤٦ ٠

الفصل الخامس

النقد فى العصر العباسى

النقد في العصر العباسي

تمهيد

العصر العباسى هو عصر الإسلام الذهبي الذى بلغ فيه المسلمون من العمران والسلطان ما لم يبلغوه من قبل ولا من بعد أثمرت فيه الفنون الإسلامية وزهت الآداب العربية ، ونقلت العلوم الأجنبية ونضج العقل العربي فوجد سبيلا إلى البحث ومجالا للتفكير . وملوك هذه الدولة ينتمون إلي العباس عم النبي صلي الله عليه وسلم ، انتزعوا الخلافة قسراً من يد الأمويين بمعونة الفرس، وأقاموا عرشها بالعراق ، وتبوأ منهم سبعه وثلاثون حليفة في خمسة قرون وبعض قرن ، حتى ثلّ ذلك العرش هلاكو سنة ست وخمسين وستمائة(١) .

ومنذ هذا العصر تقريبا شرع النقد الأدبي يخطو خطوات جديدة في سبيل تكوين بنائه وإقامة منهجيته ، بحكم اتجاهه نحو الثقافة يأخذ منها ما يدعم الطبع ويصقل الذوق وينمي ملكة التقويم ، وقد أخذ أعلامه الذين تخصصوا في ممارسته يصدرون في أحكامهم عن ذوق تدعمه المعارف وتغذيه الثقافات على الرغم من تباين منازعهم وتفاوت ثقافاتهم واختلاف اتجاهاتهم ، بيد أنهم التقوا جميعا في نقطة واحدة هي: النهوض بهذا الفن الجميل والسير به قدما نحو التكوين والتكامل (٢).

يقول الأستاذ أحمد أمين : " إذا وصلنا إلي النقد في العصر العباسى رأينا إمعاناً في الحضارة والترف ، رأينا الشعر والأدب يتحولان إلي فن

١- تاريخ الأدب العربي للأستاذ أحمد حسن الزيات ص ٢١٠ ط نهضة مصر .

٢- النقد الأدبي د/ محروس منشاوي الجالى ص ٢٠٣ .

وصناعة بعد أن كانا يصدران عن طبع وسليقة ، حتى لنرى كثيراً من الكتاب والشعراء من الموالي الذين عدوا عرباً بالمربى ، ورأينا الثقافات الأجنبية تتدفق على المملكة الإسلامية من فارسية وهندية ويونانية ، ورأينا كل مجموعة من المعارف تتحول إلى علم حتى اللغة والنحو والصرف فكان طبيعياً أن يتحول الذوق الفطري إلى ذوق متثقف ثقافة علمية واسعة ، وأن يتأثر النقد الأدبي بهذه الثروة العلمية والأدبية الواسعة " (١)

-عوامل ازدهار النقد في العصر العباسى

١ـ غزارة الثقافة وتعدد روافدها وتنوع ألوانها :

ازدهرت الحياة الثقافية في هذا العصر ازدهاراً كبيراً ، وتلاقت في الحواضر الإسلامية شتى الثقافات التي تمثل حضارات الأمم العريقة في العلم والثقافة (٢) ، وقد أزكى الإسلام جذوة المعرفة في نفوس العرب ، ودفعهم دفعاً إلى العلم والتعلم ، ولم يمض نحو قرن حتى وضعت أصول العلوم اللغوية والدينية .

بدأت الثقافات الأصلية والوافدة تتفاعل في العقول ، وتحدث تحولاً كبيرا في الذوق ، وقد شمل هذا التحول الشعر فبدأ يتجه إلى الثراء والوحدة ، والشاعر الذي بدأ يحدد لنفسه إطارا فنياً ينظم فيه ، وفلسفة خاصة يشعر خلالها . كم برزت اتجاهات فنية استقطبت بعض الشعراء فتحمسوا لها وأقبلوا عليها كمذهب البديع أو شعراء الصنعة ، وكمذهب الشعراء المطبوعين

١- النقد الأدبي للأستاذ أحمد أمين ص ٤٣٥ .

٢- تاريخ الأدب في العصر العباسي الأول د / محمد عبد المنعم خفاجي ص١٣ط مكتبة الكليات الأزهرية .

أوالشعراء العرب الذي وقف عند قمته البحتري ، وبدأ الشعراء ينقلون ما وعته ذاكرتهم من فكر غربي إلى سياحة الشعر العربي كما فعل أبو العتاهية (١) ، كما شملت الناقد الذي بدأ يلاحظ الظواهر ، والقضايا ويبحثها بموضوعية ويبدي آراءه فيها على أساس من اتجاهاته وميوله ومعتقداته الفكرية ، ويحلل ويعلل ليصل إلى أحكام واستنتاجات مفيدة (٢) .

وقد أثرت هذه الثقافات في النقد تأثيرا كبيراً وكانت من أقوى عوامل ازدهاره لأنها وجهته لمعايشة قضايا عصره ، وجعلته يبعد عن اللمحات والآراء العاجلة ، وانتحى ناحية منهجية في موضوعية وتحديد.

كما كانت هذه الثقافة بما أودعته العقل من ثراء بداية مرحلة نقدية جديدة من اليقظة والوعي والتجديد ، فلم يعد النقد أو الناقد يعبأن بالآراء المتفرقة أو المبعثرة . بل راح يصيب آراءه ، ويسجل أفكاره وانطباعاته في إطار فلسفي يلزمه في وعي وتحديد (٣).

٢- عناية الخلفاء والأمراء بالشعراء :

احتفظ الخلفاء والأمراء ولاسيما في الصدر الأول من العصر العباسى بأعظم خصائص العروبة ، وهي حب الشعر وتقدير غرر الكلام ، والقدرة على تمييز جيده من رديئة ، ونقد ألفاظه ومعانيه بحاستهم الفنية وأذواقهم المرهفة ، وبقيت لهم مع ذلك أريحيتهم وسخاؤهم ، فأطلقوا أيديهم بالعطاء

---

[١]- راجع الأغاني ٢ / ٤٤٩ وما بعدها .

[٢]- النقد الأدبي د / سعد ظلام ص ١٧٥ .

[٣]- المرجع السابق نفس الصفحة .

للشعراء ، كما كان يفعل بنو أمية ، وكان لهذا البذل أبعد الأثر في رواج الشعر ونقده ، والتصرف في فنونه (١) .

وجالس الخلفاء عددا من الشعراء أنسوا فيهم رقي الأسلوب، وحلاوة العبارة وسمو الأفكار وروعة المعاني، إضافة إلي مالها من تشجيع هؤلاء الشعراء، وميولهم التي تواكب ا لاتجاهات السياسية لخلفاء بني العباس، مما جعل مجالس الحلفاء تزدان وتزدهي بفحول الشعراء، الذين ذهبوا إلي شعرهم يجودونه وينقحونه حتى ينالوا به الحظوة لدي الخلفاء والأمراء، وبالتالي يحصلون علي عطاياهم. وقد كان للخلفاء والأمناء في المجالس دورهم في نقد الأدب، فهم يستجيدون ويوازنون بين قول وآخر ، وقد يكون للعلماء وجود فيدلون بآرائهم اللغوية والنحوية ، فقد اشتهر أن الأحفش كان يحضر بعض هذه المجالس ، ويدلي برأيه فيها (٢) ووجد في قصور الخلفاء لون آخر كان له بعيد الأثر في تطور النقد الأدبي ، ألا وهو الغناء الذي انتشر في ذلك العصر انتشاراً واسعاً ، وأدت الألحان والموسيقى دوراً كبيراً في استحداث أوزان جديدة ، ومحو بعض الأوزان القديمة للشعر العربي ، وقد عرض النقاد لهذه الأوزان وسجلوها .

" وقد كثر المغنون والمغنيات في هذا العصر كثرة مفرطة ، نجد من أشهرهم في زمن الرشيد : إبراهيم الموصلي ، وإسماعيل بن جامع وفُلَيْح ابن

١- دراسات في نقد الأدب العربي . د / بدوي طبانة ص ٢٧ ١، ١٢٨ .

٢ – من مظاهر النقد الأدبي عند العرب د / رفعت زكي محمود عقيفي ص ١١٦ .

أبي العوراء ، وهؤلاء الثلاثة ، هم الذين أمرهم الرشيد أن يختاروا له الأصوات المائة التي أدار أبو الفرج كتابه الأغاني عليها (١)

٣ـ الخصومة حول الشعراء :

من العوامل التي أشعلت جذوة النقد وأذكت وطيسه في ذلك العصر خصومة النقاد حول بعض الشعراء العباسيين ، ما بين متعصب لشاعر أو متعصب عليه ، فلقد عمت شهرة بعض الشعراء وحميت المناقشات حول مذهبهم في مجالس الأدب وبين النقاد .

ولم يقف الأمر عند تلك المناقشات بل تعداه إلى تأليف الكتب في نقد شاعر لإنصافه من التحامل الذي وقع عليه ، أو لتهجين شعره والحط من مذهبه ، وقد حظى كل من أبي تمام وأبي الطيب المتنبي ما لم يحظ به غيرهما من خصومات حادة ومناقشات صاخبة حول شاعرية كل منهما وشعره ، إلى حد فاق الاعتدال أحيانا إلى التعصب لأحدهما أو التعصب عليه (٢) ، فمنهم من تعصب لأبي تمام ومنهم من تعصب عليه .

ونظر النقاد كذلك إلى شعر البحتري وسهولته وجريانه على عمود الشعر فقارنوه بأبي تمام وكثرت في ذلك الأقوال والحجج ، حتى وضع الآمدى كتابة الموازنة بين الطائيين ، الذي لم يقتصر فيه على ايراد حجج كل فريق ، بل أخذ في دراسة الشاعرين والموازنة بينهما في منهج تفصيلى منظم (٣) .

---

١ – الفن ومذاهبه في الشعر العربي د / شوقي ضيف ص ٦٠ ط. دار المعارف التاسعة .

٢ – النقد الأدبي د / محروس منشاوي الجالي ص ٢٢٥ .

٣ – النقد المنهجي عند العرب د / محمد مندور ص ٩١ ، وراجع الموازنة للآمدي .

وأما الخصومة حول المتنبي لم تكن خصومة حول مذهب شعري كما كانت عند أبي تمام ، وإنما كانت خصومة حول شاعر أصيل ، وهي ليست في شئ استمرار للخصومة حول أبي تمام ودليلنا على ذلك هو ما نجده في أقوال صاحب الوساطة إذ يقول : "وما زلت أرى أهل الأدب منذ ألحقتنى الرغبة بجملتهم ، ووصلت العناية بيني وبينهم ، في أبي الطيب أحمد ابن الحسين المتنبي ـ فئتين : من مطنب في تقريظه منقطع إليه بجملته ، منحط في هواه بلسانه وقلبه ، يلتقي مناقبه إذ ذكرت بالتعظيم ، ويشيع محاسنه إذا حكيت بالتفخيم ، ويعجب ويعيد ويكرر ، ويميل على من عابه بالزراية والتقصير ، ويتناول من ينقصه بالإستحقار والتجهيل ، ... إلخ ، وعائب يروم إزالته عن رتبته فلم يسهل له فضله ، ويحاول حطه عن منزلةٍ بوّأه إياها أدبه ، فهو يجتهد في إخفاء فضائله ، وإظهار معايبه وتتبع سقطاته ، وإذاعة غفلاته ، وكلا الفريقين أما ظالم له أو للأدب فيه " (١) .

والواقع أن الخصومة قد نشأت حول هذا الشاعر منذ اتصاله بسيف الدولة ، وذيوع صيته وإخمال ذكر الشعراء الآخرين ، وقد تعرض المتنبي لنقد مرير في مجلس سيف الدولة من بعض الشعراء واللغويين كأبي فراس الحمدانى وابن خالويه اللغوي ، ولما رحل إلى الفسطاط تاركاً مجلس سيف الدولة تعرض لنفس المكيدة التي لقيها عند سيف الدولة ، وفضلاً عن ذلك ألفت كتب عديدة فى نقد شعره وتفسيره وإبداء الآراء فيه وكلها تصور الخصومة التى دارت حول هذا الشاعر العبقري الفذ .

---

(١) – الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني ص ٣ ط عيسى البابي الحلبي .

وإذا كانت الحقيقة ـ غالبا ـ ما تنطمس معالمها خلف هذه الأهواء التحكمية التي تمليها نزعات الولاء والعداء لشاعر ما ، فإنه مما لا ريب فيه أن مثل هذه الخصومات الأدبية حول شاعر أو أكثر من العوامل التي أثرت في نمو الحركة النقدية ، حيث تباينت الأفكار والمفاهيم واختلفت المنازع والإتجاهات ، وليس العلم سوى حصيلة المناقشات الجادة أو الهادئة التى يثيرها مذهب ما فى الأدب أو قضية في النقد أو شاعر اختلفت حوله الآراء .

والخلاصة أن الخصومة حول الشعراء كانت من أعظم العوامل التى أثرت في النقد العباسى خاصة ، والنقد العربي عامة ، وذلك لأنها قدمت بعض الكتب التى تعرض " لمشكلات كثيرة تتعلق بالشاعر والطبع والتكلف ، والبيئة والشعر وصلة الحياة والدين والأخلاق والناس ، وأثره فى النفس ، ودوافعه وغاياته ، وأسلوبه وجوانب الجمال فيه ، وكانت هذه الكتب علامات فى الطريق لتاريخ النقد ومذاهبه " (١).

٤ ـ نشاط حركة النقل والترجمة :

نشطت حركة النقل والترجمة فى هذا العصر ، وأدى هذا إلى إثراء الأدب والنقد بما ترجم من فلسفة اليونان ومنطقهم . فقد صبغت عقلية الأدباء والنقاد بآثارها العميقة فى التفكير والمعانى وطرافة التقسيم والخيال ، كما أثرى كذلك بالمترجم إلى العربية من قصص الهند وأدب الفرس ، وكان للعرب الذين يجيدون الفارسية وللفرس المتعربين مجال كبير فى الأدب العربى ، ومن بينهم: بشار وأبو نواس والعتابى وغيرهم (٢) .

---

١ - تاريخ النقد الأدبى والبلاغة د / محمد زغلول سلام ص ١٨ .

٢ - تاريخ الأدب فى العصر العباسى الأول د / محمد عبد المنعم خفاجى ص ١٩ .

فأنتجوا أدبا عربياً فيه معانى الفرس وبلاغة العرب ، وكبار الكتاب والشعراء فى هذا العصر من أصول فارسية ، ممن أحدثوا آثاراً واسعة فى الكتابة الفنية ، وكذلك فى أغراض الشعر ومعانيه وأوزانه وقوافيه ، وإذا كان الأدب فى عهد بنى أميه عربيا خالصا فى المادة والمعنى ، ولم يكن للفرس إلا مدارسته وحفظ روايته ، فقد كان أثرهم فى عهد بنى العباس أعمق ، لافي الأسلوب البيانى ، بل فى التفكير والخيال ، وبتأثيرهم تنوعت الأوزان وظهر التأنق فى النثر والشعر ، وطلبت الرقة والدماثة ، مع المحافظة على فصاحة العربية والأخذ بأسبابها .

والحق أن ترجمة الكتب إلى العربية كانت عاملاً قوياً من العوامل التى دفعت النقد العباسى إلى الأمام ، " وذلك لأنه قد انتقلت بترجمتها مظاهر أدبية ونقدية كان لها أثرها فى الحركة العقلية للنقد ، فوضعت النظريات ، وتدخل المنطق فى الجدل والحوار وألفت الكتب النقدية التى تذخر بالمناهج العلمية والعقلية التى أسسها النقاد العرب " (١) .

وقد ظهر أثر ذلك العامل واضحاً أيضاً فى تطور النقد العربى وخاصة الأثر اليونانى ، أو الفلسفة والمنطق اليونانيان ، وأول ما ظهر أثرهما كان عند المتكلمين الذين رأوا حاجتهم الملحة للفلسفة حتى يدفعوا المطاعن عن القرآن ، " وكانت دراسة الفلسفة والمنطق وسيلة لتمكين المعتزلة والمتكلمين عامة من الحجاج العقلى ، واستطاع علماء المسلين عن طريق هذه الفلسفة بصفة خاصة والإطلاع على كتابى الخطابة والشعر لأرسطو أن يخرجوا بالنقد العربى من

---

١ - من مظاهر النقد الأدبى عند العرب د / رفعت زكى محمود عفيفى ص ١١٧ .

الجو العربى الخالص إلى جو آخر فيه كثير من العلل والقياسات العقلية والمنطقية اليونانية السمات (١) "

وظهر آثار هذا فى القرن الرابع الهجرى بوضوح ، عند قدامة بن جعفر فى كتاب (نقد الشعر) ، وكتاب (نقد النثر) المنسوب إليه . كما ظهرت عند الرمانى فى كتابه (النكت فى إعجاز القرآن) ، وظهر ذلك عند نقاد القرن الخامس كالباقلانى فى (إعجاز القرآن) ، وابن سنان الخفاجى فى (سر الفصاحة) .

والخلاصة أن الترجمة كانت ذات أثر مباشر فى فكر الأدباء والنقاد والمتكلمين ، ولم ينجو من هذا الأثر الإطائفة من طبقة الشعراء المحافظين الذين أعلنوا عن سخطهم لهذه الفلسفات .

٥ ـ الأثــر القرآنى :

من أهم العوامل التى أثرت فى تطور النقد العباسى القرآن الكريم فقد كان له أثراً مباشراً وأثرا غير مباشر ، أما الأثر المباشر فبفضل جهود العلماء الذين تعرضوا لأسلوب القرآن وبيان جوانبه البيانية ، محاولين إثبات إعجازه البيانى بمقارنة الشعر العربى ، وخصائص البيان العربى بصفة عامة ، واستخدموا فى ذلك الوسائل التى استخدمها نقاد الشعر ، بل إن بعض الدراسات القرآنية فى القرن الثالث الهجرى قد استخدمت من المصطلحات البيانية مالم يكن شائعاً حتى ذلك الوقت فى دراسات نقد الشعر مثل كتاب (تأويل مُشْكل القرآن) لابن قتيبة (٢) ، واختلطت مقاييس النقد بالدراسات

---

١ ـ تاريخ النقد الأدبى والبلاغة د/ محمد زغلول سلام ص ١٩ .

٢ ـ أثر القرآن فى تطور النقد العربى د / محمد زغلول سلام ص ١٠١ط دار المعارف .

القرآنية ، فاستحدم علماء الإعجاز مصطلحات البديع وأبوابه فى كشف بديع أسلوب القرآن للتوصل إلى إعجازه .

ومن هنا أثر القرآن فى مناهج النقاد ، ودفعهم إلى بيان أوجه الإعجاز ، فأقبلوا على إثبات إعجازه ، وسمو بيانه على الشعر العربى ، وعقدوا لذلك المقارنات ، كما فعل (الباقلانى) الذى عاب تحكيم البديع فى بيان القرآن " (١) وتتلخص نظريته فى الإعجاز فى ثلاث خطوات :

١. إثبات صحة مابين أيدينا من نص القرآن وأنه هو حقاً كتاب الله المنزل على نبيه . ومنهجه هنا يتفق فيه مع ابن سلام الذى دعا إلى تحقيق النص وسلامة نسبته .
٢. إثبات عجز العرب عن الإتيان بمثله على رغم تحديه مراراً .
٣. استنباط النتيجة من المقدمتين السابقتين وهى " خروج القرآن عن سائر كلام العرب " (٢)

وأما عن الأثر غير المباشر فقد جاء عن طريق ترقيق القرآن لأذواق النقاد ، بما جرى به أسلوبه من الصياغة الرائقة والصور الجميلة ذات التشبيهات والإستعارات الرائعة ، مما جعل العلماء يستشهدون بصياغته ، وتشبيهاته على كل جيل ، وصارت شواهد القرآن فى مقدمة الشواهد الأدبية فى كتب النقد والبلاغة (٣)

---

١ – المرجع السابق ص ٢٣١ .

٢ – المرجع السابق ص ١٧٠ ، ويرجع أيضا من مظاهر النقد الأدبى عند العرب د / رفعت زكى محمود عفيفى ص ١٢٠ .

٣ – تاريخ النقد الأدبى والبلاغة . د / محمد زغلول سلام ص ١٩ .

والحق أن القرآن الكريم كان له أبلغ الأثر في نمو الأذواق وتطورها في هذا العصر ، ودفعها إلى الإحساس بجمال العبارة وروعة التصوير وبراعة المعنى ولطف التناول فيما يعرض لها من فنون الأدب . وعلى ذلك ظهرت مجموعة من الدراسات القرآنية في تلك المرحلة تعد من صميم النقد ، وذلك لأنها كانت تحاول فهم النص والتعرف ظواهر الاستعمال اللغوى والتركيبي والإشارة إلى ما فيه من وجوه الإعجاز .

ومثل هذه الدراسات القرآنية قد ساعدت على تأصيل النقد الأدبي في هذا الطور من أطوار تكوينه وخطت به خطوات فسيحات.

٦ ـ الحركة اللغوية :

نشطت الحركة اللغوية في هذا العصر نشاطاً كبيراً ، وكان من أهم ما حفزهم إلى ذلك القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، حتى لا تستغلق دلالتها على أفهام الناس وأفهام العلماء أنفسهم ، مما جعل الجاحظ يقول : " للعرب أمثال واشتقاقات وأبنية وموضع كلام يدل عندهم على معانيهم وإرادتهم. فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة والشاهد والمثل فإذا نظر في الكلام وفي ضروب من العلم وليس من أهل هذا الشأن هلك وأهلك الناس(١) " . وانضم إلى ذلك باعث سياسي ، فإن خلفاء بني العباس أظهروا محافظة شديدة على لغة القرآن الكريم وبعثوا العلماء على دراستها والتعمق فيها ورواية كل ما يتصل بها من أنساب وأيام وأخبار وأشعار. وقد جعلوا مقياس وظائفهم الكبيرة التفوق فيها ، فكانوا لايستوزرون ولايستكتبون إلا من حذقها وبرع في أدائها .

١ـ الحيوان ١٥٣/١ .

... وكانت مجالس الخلفاء تكتظ باللغويين من مثل الكسائى والأصمعى ، فكان لابد للشعراء أن يروقهم حتى ينالوا استحسانهم ، ويرى ذلك الخلفاء منهم فيجزلوا لهم في العطاء (١).

ومن هنا برز دور اللغويين في النقد في هذا العصر في أنهم أصبحوا سدنة الشعر وحراسه، فمن نوهوا به طار إسمه، ومن لوحوا في وجهه خمل وغدا نسياً منسيا. ويلقانا كثير من الشعراء يعرضون عليهم أشعارهم قبل إنشادها في المحافل العظام ، فإذا استحسونها مضوا فأنشدوا، وإن لم يستحسوها ذهبوا يعاودون الكرة بصنع قصائد جديدة آملين أن تظفر باستحسانهم ، فمن ذلك مايروي عن مروان بن أبي حفصة من أنه لما نظم قصيدته: (طرقتك زائرة فحى خيالها) وهي إحدي روائعه في المهد ذهب إلي حلقة يونس النحوي فقال له: لقد قلت شعرا أعرضه عليك ، فإن كان جيدا أظهرته ، وإن كان رديئا سترته. وأنشد القصيدة ، فأعجب بها يونس وقال له إنها بريئة من العيوب (٢) . حينئذ مضي فأشدها المهدي ، فزحف من صدر مصلاه حتي صار علي البساط إعجابا بما سمع ، ثم قال لمروان كم هي قال مراوان: مائة بيت، فأمر له بمائة ألف درهم، فكانت أول مائة ألف درهم أعطيت لشاعر في أيام بني العباس .

ويسوق المرزباني في كتابه الموشح فصلا طويلا (٣) يصور فيه كيف كان الشعراء يعرضون أشعارهم علي اللغوبين ليجيزوها لهم، فهم قضاة

---

١ – تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى الأول د / شوقى ضيف ص ١٣٩ ط دار المعارف السادسة .

٢ – الأغانى ١٠ / ٨٢ .

٣– الموشح ص ٤٤٣ وما بعدها .

الشعر وصيارفته، وفي ذلك يقول الخليل بن أحمد لابن مناذر: " إنما أنتم - معشر الشعراء - تبع لي ، وأنا سكان السفينة إن قرظتكم ورضيت قولكم نفقتم والإاكسدتم". (١)

٧ - العوامل الاجتماعية :

كان من أهم الأسباب التي أدت إلي ازدهار النقد في العصر العباسي - تلك الظروف والعوامل الاجتماعية التي طبعت الأدب والعلوم بطابعها، وأثرت في فكر الشعراء والنقاد وعكست ملامحها عليهم، ودفعت النقاد إلي دراسة ما يكون لهؤلاء الأدباء من خصائص أسلوبية يفرقون بها بين أديب وآخر، ونعلم أن شاعرا كابن الرومي وجه إليه سؤال. لم لاتشبه كتشبيه ابن المعتز فقال: سبحان الله: إنما الرجل يصف ماعون. فهذه الروايه تبين لنا مدي الفوارق الاجتماعيه وتأثيرها في خيال الشاعر وتعبيراته.(٢) ويصف الأستاذ أحمد الشايب أدب العصر العباسي بأنه"أدب حضري، مترف مثقف هادى، مستقر يعتمد علي العقل والفكر والعلم الكثير، والمزاج الرقيق، والحياة الخصبة الناعمة، والبيئة الاجتماعية المنظمة ففاض الأدب بالمذاهب الدينية والفلسفية، وامتاز بالتنسيق والعمق، واعتمد علي الطبيعة الجميلة والأزهار الناضرة، والقيان الفاتنة، فرق أسلوبه ولانت عبارته، فكان أدبا حضريا، مهذبا علي وجه العموم"(٣) .

---

[١] -الأغاني ١٧ / ١٦ .

[٢] - من مظاهر النقد الأدبي عند العرب د / رفعت زكي محمود عفيفي ص ١٢١ .

[٣] - الأسلوب أحمد الشايب ص ٩٩ ، ١٠٠ .

اتجاهات النقد في العصر العباسي: (١)

منذ ذلك العصر تقريبا أخذ النقد الأدبي يتجه اتجاهات ثلاثة:

أحدها: اتجاه عربي صرف لم تمازجه ثقافات وافدة أو تؤثر فيه عوامل دخيلة، وقد تمثل هذا الاتجاه عند جماعة اللغويين والنحاة كالخليل والأصمعي وأبي عمرو بن العلاء والنضر بن شميل والكسائي والأخفش وابن الأعرابي والمبرد ومن علي شاكلتهم ممن كانت لهم دراية باللغة وأصولها والشعر وروايته.

وصور هذا النقد مبثوثه في ثنايا كتب الأدب والنقد الأولي كالأغاني لأبي الفرج والموشح للمرزباني/ والشعر والشعراء لابن قتيبة وطبقات ابن المعتز وغيرها . كما تمثل هذا الاتجاه عند بعض النقاد الأوائل الذين عالجو النقد حسب ماانتهي إليه علمهم في مصنفات مستقلة، رتبوا فيها الشعراء إلي طبقات كما فعل ابن سلام، أوتناولوا فيها الحديث عن الشعراء وأخبارهم ومنزلتهم كما فعل ابن قتيبه في كتابه الشعر والشعراء .

وثانيها: اتجاه عربي اعتمد علي الطبع والذوق ثم دعمته الثقافات المنوعة التى نهضت به وغذته وكانت له رافدا قويا ، ولكنها لم تقض على أصالته وسمات عروبته وهو ما نلحظه عند الأمدى فى موازنته ، وعند القاضى الجرجانى فى وساطته ، وذلك فى باب نقد الشعر ، وعند رجل كالجاحظ فى مجال نقد النثر .

وقد اتسم نقد هؤلاء باستقصاء البحث وشمول الفكرة وتوضح العلة والموازنة بين الشعراء .

- يرجع فى ذلك تاريخ الأدب فى العصر العباسى الأول د/ محمد عبد المنعم خفاجى ص ٥٠ وما بعدها ، ويرجع النقد الأدبى د/ محروس منشاوى الجالى ص ٢٢٨ وما بعدها .

وثالثها : اتجاه تأثر فيه أصحابه بالتيارات الثقافية الأجنبية شكلاً وموضوعاً حيث خضع النقد فيه لسلطان المنطق والفلسفة وغلب فيه العقل على الذوق والفكر على الحس ، وقد تمثل هذا الإتجاه عند قدامة ابن جعفر فى كتابه ـ نقد الشعر ـ الذى كان تأثره فيه بمنطق اليونان واضحاً .

ظهور النقد المنهجي عند العرب

النقد المنهجي هو النقد الذى يقوم على منهج تدعمه أسس نظرية أو تطبيقية عامة ويتناول بالدرس مدارس أدبية ، أو شعراء أو خصومات يفصل فيها القول ، ويبسط عناصرها ، ويبصر بمواضع الجمال ، والقبح فيها (١).

وقد ظل النقد العربى للأدب فى جملته على هذا النحو الذى رأيناه عند الجاهليين والإسلاميين ، نقدا ذوقيا فطريا ، يقوم على الحس الفنى ، والإدراك العام ، حتى إذا كان العصر العباسى ، وتطورت العقول ، وتهذبت المدارك ، واتسعت المعارف ، وتنوعت الثقافات العربية والأجنبية المترجمة عن الفرس والهند واليونان وغيرهم ، كان لهذا كله أثر كبير فى تطور الأدب والنقد على السواء.

" فمنذ أواخر القرن الثانى للهجرة ، بدأ النقد الأدبى يخطو خطوات جديدة ، نحو العمق والدقة ، والتحليل الواضح ، والتحليل المفصل ، وأخذ يحاول فى تدرج الوصول إلى النقد المنهجى القائم على أسس ثابتة وقواعد موضوعية (٢) "

وقد اشتهر جماعة من النقاد كان لهم نشاط مؤثر فى عالم النقد بما ألفوه من كتب ضمنوها آراءهم ونظرياتهم النقدية فى الشعر والنثر ، وأهم هؤلاء ابن سلام صاحب كتاب (طبقات فحول الشعراء) ، والجاحظ صاحب (البيان والتبيين) ، وابن قتيبة صاحب (الشعر والشعراء) و(أدب الكاتب) ،

---

١ – النقد المنهجى عند العرب د/ محمد مندور ص ٥ .

٢ – دراسات فى النقد الأدبى د/ حسن جاد ص ٥٦ .

وابن طباطبا صاحب (عيار الشعر) ، وقدامة بن جعفر صاحب (نقد الشعر) والقاضى الجرجانى صاحب (الوساطة بين المتنبى وخصومه) ، والآمدى صاحب (الموازنة) ، والمرزبانى صاحب (الموشح) وأبو هلال العسكرى صاحب (الصناعتين) ، والمرزوقى صاحب (شرح الحماسة) لأبى تمام ، وابن رشيق صاحب (العمدة) ، وعبد القاهر الجرجانى صاحب كتابى (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة) ، وابن الأثير صاحب (المثل السائل) ، وعلى يد هؤلاء وغيرهم سار النقد العربى مراحل تطوره ، حتى صار علماً له قواعده وأصوله ، وسنعرض لبعض هذه الكتب بالتفصيل .

الموازنة للآمدى

الآمدى :

هو أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدى الأصل ، البصرى المولد والنشأة (١) ، وقد أقبل على حلقاتها العلمية ، ولما بلغ سن الشباب توجه إلى بغداد ، وتردد على مجالس العلماء ، يتلقى عنهم اللغة والنحو والشعر والأدب ثم عاد بعد حين إلى البصرة كاتباً للقضاء ، وبرز فى الأدب وطارت شهرته فى النقد (٢) " .

عاش الآمدى فى القرن الرابع الهجرى ، ذلك القرن العامر بضروب الثقافة والمعرفة ، وإن كان ميدانه الذى برع فيه اللغة والأدب (٣) .

وعلم الآمدى وثقافته أوسع مما تنطق به كتب الطبقات ، فهولم يكن نحويا لغويا فحسب ، بل كان أديبا يحيط بالأدب العربى إحاطه تكاد تكون تامة، فلقد أطال النظر في شعر الشعراء حتى تكون ذوقه وصقل طبعه السليم ، وفى قائمة كتبه التى كتبها ما يدل على أنه شغل نفسه بالنقد حتى لكأنه قد تخصص فيه (٤) .

له كتب كثيرة نذكر منها ههنا : الموازنة ، تفصيل امرئ القيس على شعراء الجاهليين ، المؤتلف والمختلف من أسماء الشعراء ، معانى شعر البحتري ، الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام ، فرق ما بين الخاص

---

١ - عند مقدمة الموازنة بقلم المحقق الشيخ محيى الدين عبد الحميد ص ٨ .

٢ - الفكر النقدى والأدبى فى القرن الرابع الهجرى د/ محمد عبد المنعم حفاجى ص ٦٥ ط رابطة الأدب الحديث .

٣ - معجم الأدباء لياقوت ٧٥/٨ .

٤ - بتصرف عن النقد المنهجى ص ١١٨ د/ محمد مندور .

والمشترك من معانى الشعر ، وفعلْت وأفْعلْتُ ، وما فى عيار الشعر لابن طباطبا من الخطأ ، وتوفى أبو القاسم الآمدى فى عام سبعين وثلثمائة (٣٧٠) من الهجرة (١) .

أهمية كتاب الموازنة فى النقد الأدبى:

تتمثل أهمية الكتاب في تصويره للصراع العنيف الذى احتدم بين أشياع القديم وأنصار الجديد ردحا طويلا من الزمان ، ممثلا فى الخصومة بين أنصارالبحترى وأبى تمام ، وقد بلغت هذه الخصومة أقصاها فى أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع ، وكانت هذه الخصومة تحتاج إلى ناقد بصير متمرس أولاً ، ونزيه محايد ثانيا ، وقد توافرت الصفتان فى الآمدى الذى عرف بكثرة النظر في الشعر ، وطول الملابسة له حتى أصبح بصيراً بمسالكه ، قادرا علي أن يميز جيده من رديئه برجوعه إلى ما قالته العرب وما أثر عن شعرائها ، وقد استطاع بما تحقق له من خبرة ودراية وبصر بالشعر أن يكون الناقد الذى يحكم فيقبل حكمه ، ويبدى الرأى فيؤخذ رأيه بالتسليم دون معارضة ، وبهذا استطاع أن يحسم هذه المعركة بأسلوب النقد المنهجى الذى يتكئ على الحيدة والنزاهة .

ومن هنا ظهرت أهمية هذا الكتاب ظهوراً واضحاً فى أنه يمثل النموذج الكامل تقريبا فى صفات الموازن ، وحقيقة الموازنة على السواء ، فقد أتاح لمؤلفه من الميزات العلمية والذوقية ما لم يتح لغيرة (٢) .

---

١ - مذاهب النقد وقضاياه د/ عبد الرحمن عثمان ص ٢٧٨ ط مطابع الإعلانات الشرقية.

٢ - مذاهب النقد وقضاياه د/ عبد الرحمن عثمان ص ٢٧٨.

وبهذا كانت هذه الموازنة " منهجية فى ناحيتيها المختلفتين : ناحية المفاضلة وناحية استنباط الخصائص والمشاهد فى تاريخ النقد العربى وظلت الوحيدة من نوعها (١).

منهج الآمدى فى الموازنة:

أولا : يبدأ الآمدى بتحقيق النصوص الشعرية لكل من أبى تمام والبحترى وتصحيح نسبتها ، وبيان مافيها من اضطراب أو خطأ فى الأوزان ، وذلك بالرجوع إلى النسخ القديمة . وهذه هى المرحلة الأولى فى النقد المنهجى السليم .

ثانياً : ثم يعرض لآراء النقاد فى الشاعرين ، من المتعصبين لهذا أو ذاك وحجج كل فريق فى تفضيل صاحبه .

وقد وجد أن بعض النقاد يجعلهما طبقة واحدة ، أو يسوى بينهما ، وبعضهم يرى أن شعر أبى تمام لايتعلق بجيده جيد مثله ، ورديئه مرذول ومطروح ، فهو مختلف ليس فى مستوى واحد وأن شعر البحترى مستو يشبه بعضه بعضا فى صحة السبك وحسن الديباجة ، وليس فيه ردىء ولا مطروح .

وبعضهم يفضل البحترى لصحة عبارته ، ووضوح معانيه ، وحسن تخلصه ، ووضعه الكلام ، وهم الكتاب والشعراء المطبوعون وأهل البلاغة .

وبعضهم يفضل أبى تمام لدقة معانيه وغموضها ، وهؤلاء هم أصحاب المعاني وشعراء الصنعة وأهل الفلسفة والكلام . وأنصار أبى تمام يفضلونه لأنه أسبق زمنا ، والبحترى تلاه وأخذ عنه ، ولأن جيده خير من جيد البحترى

---

١ – أصول النقد الأدبى لأحمد الشايب ص ٢٨٣ ط مكتبة النهضة المصرية الثامنة .

كما اعترف بذلك البحترى نفسه ، ولأن جيد أبى تمام كثير ، ولأنه انفرد بمذهب اخترعه وصار فيه إمام وهو مذهب الصنعة ، ولأنه جمع بين الشعر والعلم .

ويرد أيضاً البحترى بأن البحترى لم يأخذ من أبى تمام ، وأن قول البحترى جيده خير من جيدى ، وردنى خير من رديئه ، يدل على شعر أبى تمام شديد الإختلاف ، وشعر البحترى شديد الإستواء . والمستوى أولى . ولم يبتدع أبو تمام المذهب الذى نسب إليه وهو البديع ، وإنما سبقه مسلم بن الوليد، وأما الجمع بين الشعر والعلم فليس بفضيلة ، لأن شعر العلماء دون شعر الشعراء (١)

ثالثاً : ثم يتناول (السرقات) (٢) ، فيجمع سرقات أبى تمام ، ويردها إلى أصولها ، ويقف فى كثير منها إلى جانبه ، مبيناً خطأ من اتهمه فيها بالسرقة كابن أبى طاهر لأنها من المعانى العامة المشتركة بين الناس ، وهذا يدل على انصرافه وعلى صحة منهجة التحقيقى السليم .

وبعد أن يفرغ من ذلك ، يأخذ فى بيان سرقات البحترى على هذا النحو . ثم ينتقل إلى دراسة أخطاء أبى تمام وهى :

١. أخطاء فى الألفاظ والمعانى .
٢. إسراف وقبح فى البديع .
٣. كثرة الزحافات واضطراب بعض الأوزان .

ثم تناول أخطاء البحترى ، ولم يقف عندها طويلا ، لأنها أقل من أخطاء أبى تمام الذى خرج على عمود الشعر .

---

(١) – دراسات فى النقد الأدبى د/ حسن جاد ص ٧٧ .

(٢) – الموازنة ص ٥١ وما بعدها .

وأخيراً يعرض بإنصاف إلى محاسن كل منهما .

رابعاً : ثم يأخذ فى (الموازنة) بين الشاعرين . وهى موازنة موضوعية ، يتناول فيها الجزيئات ، معنى معنى ، ولفظاً لفظا ، ولا يرضى بالحكم العام ، ولا بالنظرة الكلية فى الموازنة بين الشاعرين ، بل يوازن بين القصيدتين ، أو بين المعانى الجزئية المنثورة فى أبيات القصيدة .

يقول الآمدى " ولست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر (أى تفضيلاً مطلقاً) ، ولكنى أقارن بين قصيدتين من شعرهما إذا اتفقنا فى الوزن والقافية وإعراب القافية ، وبين معنى معنى ، فأقول أيها أشعر فى تلك القصيدة ، وفى ذلك المعنى ، ثم احكم أنت حينئذ على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحطت علما بالجيد من الردىء(١).

أهم القضايا النقدية فى كتاب الموازنة :

١- الذوق ومقاييسه :

الآمدى ناقد عربى كبير عالج كثيراً من القضايا النقدية معتمداً على ذوقه الأدبى المصقول المثقف الذى كان يؤمن بأنه وسيلة الناقد لأحكامه النقدية فى مجال الشعر والأدب وقد أبلى بلاءً حسناً فيما عالجه من قضايا ، وما قضى به من أحكام .

الملاحظ أن الآمدى حاول أن يضع بعض المقاييس النقدية التى تنبعث من الذوق الأدبى ، فقال : " وليس الشعر عند أهل العلم به إلا حسن التأتى ، وقرب المأخذ ، واختيار الكلام ووضع الألفاظ فى مواضعها ، وأن يورد

---

١ – نفس المرجع ص ١١، ١٢

المعنى اللفظى المعتاد فيه والمستعمل فى مثله ، وأن تكون الإستعارات والتمثيلات لائقة بما استعيرت له ، وغير منافرة لمعناه ، فإن الكلام لا يلبس البهاء والرونق إلا إذا كان بهذا الوصف " (١) .

وقال أيضاً : " والبلاغة إنما هى إصابة المعنى وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف ، لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة ، ولا تنقص نقصاً يقف دون الغاية (٢) ".

وقال : " وينبغى أن تعلم أن سوء التأليف ، ورديء اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده ويعميه حتى مستمعه إلى طول تأمل (٣) " .

والمقاييس الموجودة فى حديث الآمدى السابق هى :

١. حسن التأتى ، الحسن للشعر هو الوصول إلى المعنى دون تكلف ، أوسوء تأليف ، أواضطراب أو فساد أوهذر زائد على قدر الحاجة ، أونقص تقف دونه الغاية .
٢. قرب المأخذ ، وهو يعنى عدم الإغراب أو الإغراق في الحصول على المعنى البعيد وهذا يؤكد ايمان الأمدى بالوضوح ، ولذا نبه على اختيار الألفاظ السهله المستعملة .
٣. أجود الشعر عند الآمدى أبلغه ، والبلاغة عنده إنما هى إصابة المعنى وادراك الغرض ، والطريق إلى بلوغ هذه الغاية هو الألفاظ السهلة المستعملة العذبة البعيدة عن التكلف ، واختيار الكلام ووضع الألفاظ فى مواضعها ، واختيار اللفظ المستعمل مثله لمعناه .

---

[١] - الموازنة ص ٣٨٠.

[٢] - السابق ص ٣٨٠.

[٣] - انسابق ص ٣٨١.

٤. ينبغى إتماما للوضوح والبلاغة ـ أن تكون الاستعارات لائقة بما استعيرت له ، وغير منافرة لمعناه .
٥. للعبارة الأدبية قيمة كبيرة ووزن عظيم عند الآمدى ، فبراعة اللفظ تزيد المعنى المكشوف بهاء وحسنا ورونقا حتى كأنه أحدث فيه غرابة لم تكن ، وزيادة لم تعهد ، ومن هنا فسوء التأليف ورديء اللفظ يذهب بطلاوة المعنى الدقيق ويفسده .

ومقاييس الآمدى تنبعث من الذوق الأدبى ، فحديثه عن حسن التأنى فى الوصول إلى المعانى دون اضطراب أو تكلف فى حديثه عن رأيه عن قرب المأخذ والوضوح ، ورأيه فى أن الطريق إلى بلوغ الهدف إنما هو اللفظ السهل المستعمل العذب الدقيق ، وحديثه عن الاستعارات اللائقة بما استعيرت له ، وغير المنافرة للمعنى ، ورأيه فى أن المعنى المكشوف يزداد بهاءً ورونقاً وحسناً باللفظ العذب والعبارة الأدبية الأنيقة ـ حديثه عن هذا وذاك لا يتصادم مع الذوق الأدبى وبل ينبع منه ويصدر عنه ، ولذا فمقاييسه النقدية مقاييس ذوقية (١) .

٢ـ العمودية أو عمود الشعر .

إن الآمدى يطبق فى النقد نظرية عمود الشعر العربى تطبيقاً كاملاً ، فالبحترى عنده هو الشاعر لأنه يحرص على كل القيم الرفيعة التى شرعها وحرص عليها الشعراء القدماء ، من امرئ القيس إلى ابن هرمه وبشار ، فى اللفظ والمعنى والأسلوب والخيال ، وفى اللغة والوزن والصورة الشعرية ،

- الذوق الأدبى للدكتور عبد الفتاح على عفيفى ص ١٩٣ .

وغير ذلك لا يخرج عليها ، ولا يبعد عنها ، مع صحة الطبع ، وجودة السبك وقوة الملكة .

وفى موازنة الآمدى بين الشاعرين أبى تمام والبحترى ، "يطبق أبو القاسم الآمدى نظريته هذه (العمودية أو عمودية الشعر) تطبيقاً واسعاً وجريئاً وثرياً على الشاعرين ، فيرى البحترى يسير مع القدماء فى أدائهم وأساليبهم وأخيلتهم ومعانيهم وصورهم ويرى أبو تمام يبعد عن القدماء فى ذلك بعداً كثيراً ، وهو فى كل ذلك خاضع لمنهج ،ومتأثر بنظرية ، ومطبق لمذهب ، ومن أجل ذلك أثنى على البحترى وقسى على أبى تمام ، حتى لقد رمى بسببه بالتعصب على أبى تمام والانتصار للبحترى (١) .

يقول الآمدى فى مطلع موازنته :" أكثر من شاهدته ورأيته من رواة الأشعار المتأخرين يزعمون أن شعر أبى تمام حبيب بن أوس الطائى لايتعلق بجيد أمثاله ، ورديئه مطروح ومرذول ، فلهذا كان مختلفاً لايتشابه ، وأن شعر الوليد بن عبيد البحترى صحيح السبك ، حسن الديباجة وليس فيه سفساف لا ردئ ولا مطروح ، ولهذا صار مستوياً يشبه بعضه بعضاً : " (٢)

ثم يقول بعد ذلك :" ولست أحب أن أطلق القول بأيهما أشعر عندى ، لتباين الناس فى العلم ، واختلاف مذاهبهم فى الشعر ، ولا أرى لأحد أن يفعل ذلك فيستهدف لذم أحد الفريقين ، لأن الناس لم يتفقوا على أى الأربعة أشعر فى امرئ القيس والنابغة وزهير والأعشى ، ولا فى جرير والفرزدق والأخطل، ولا فى بشار ومروان ، ولا فى أبى نواس وأبى العتاهية ومسلم ، لاختلاف آراء الناس فى الشعر وتباين مذاهبهم فيه، فإن كنت ـ أدام الله سلامتك ـ ممن

---

١ - الفكر النقدى والأدبى فى القرن الرابع الهجرى د/ محمد عبد المنعم خفاجى ص ٧٤ .

٢ - الموازنة ص ١٠ .

يفضل سهل الكلام وقريبه ، ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق ، فالبحترى أشعر عندك ضرورة ، وإن كنت تميل إلى الصنعة والمعانى الغامضة التى تستخرج بالغوص والفكرة ، ولا تلوى على غير ذلك فأبو تمام عندك أشعر لا محالة ، فأما أنا فلست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر ولكنى أوازن بين قصيدتين من شعرهما إذا { اتفقتا } فى الوزن والقافية وإعراب القافية ، وبين معنى ومعنى ، فأقول : أيها أشعر في تلك القصيدة ، وفى ذلك المعنى ، ثم احكم أنت حينئذ على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحطت علما بالجيد والردىء (١)٠

ويؤكد ذلك أيضا فيقول : " وأنا ابتدأ بذكر مساوئ هذين الشاعرين ، لأختم بذكر محاسنهما ، واذكر طرفا من سرقات أبى تمام وإحالاته وغلطه وساقط شعره ، ومساوىء البحترى فى أخذ ما أخذه من معانى أبى تمام ، وغير ذلك من غلط فى بعض معانيه ، ثم أوازن من شعريها بين قصيدتين إذا اتفقتا فى الوزن والقافية وإعراب القافية ، ثم أبين معنى معنى ، فإن محاسنها تظهر فى تضاعيف ذلك ، ثم اذكر ما انفرد به كل واحد منهما فجوّده من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه ، وأفرد بابا لما وقع فى شعريهما من التشبيه ، وبابا للأمثال ، أختم بهذه الرسالة ، وأتبع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما" (٢)

ومذهب الآمدى فى الميل إلى بلاغة اللفظ وجودة السبك وصحة النظم جعله يرى أن الشاعر البحترى ، وأن أباتمام والمتنبى وأضرابهما حكماء . على أن الآمدى فيما سار عليه من مناهج فى النقد والموازنه متأثر بآراء النقاد قبله ، فلم يكن نقدهم إلا تحكيما للعمودية وللنهج العربى السليم فيما ينقدون ،

١- الموازنة ص ١١ ، ١٢.

٢- السابق ص ٥١ .

فأبو عمرو بن العلاء وحماد وخلف والأصمعى وابن الأعرابى وسواهم ، كانوا يعرضون ما ينقدونه على ميزان الطبع ويحكمون نهج العرب فى بلاغتهم فى الموازنة . وكذلك فعل الآمدى ، برجوعه إلى مناهج العرب فى الأداء والأسلوب والنظم ، فيرد ما ترده ، ويقبل ما تقبله ، فللعرب طريق خاص فيما ينطقون به من أساليب ونظم ، ومن أفكارومعان وأخيلة وصور وأوزان ، وذلك النهج العربى الخاص هو ما يجب على الشاعر أن يلتفت إليه ويسترشد به ، ويحتذى حذوه ، وينظم شعره على مثاله ، ثم هو ميزان النقد وهو عمود الشعر فالناقد يرجع إليه فى الحكم على الشعر ، وفى كل مشكلات الأسلوب والمعانى والأخيلة الشعرية .

ولا شك فى تأثر الآمدى بآراء النقاد قبله ، فهو يعتمد على آرائهم ويستدل بحكومتهم فى النقد ، حتى لقد قيل : إن أصول كتاب " الموازنة " صورة ترجع لآراء النقاد قبل عصر الآمدى ، وأن أصول كتاب الموازنة ترجع إلى نقاد القرن الثالث ومؤلفيه (١) ، وقد صرح الآمدى بما يدل على ذلك فى أكثر من موضع فى كتابه ، وفضل الآمدى إنما هو تدوين هذه الآراء وتنسيقها وإضافة آراء معاصريه إليها .

ولا يزال " مذهب عمود الشعر " عند الآمدى فى النقد جديداً أو كالجديد كما كانت نظرية البديع فى النقد عند ابن المعتز ، ونظرية النظم عند عبد القاهر وبذورها عند الجاحظ جديدة كل الجدة (٢) .

والحق أن الآمدى من أظهر النقاد الذين توسعوا فى دراسة نظرية عمود الشعر العربى ، وتطبيقاتها تطبيقا كاملا على الشاعرين أبى تمام

- تاريخ النقد الأدبى عند العرب للأستاذ طه أحمد ابراهيم ص ١٧٦ وما بعدها .
- الفكر النقدى والأدبى فى القرن الرابع الهجرى د/ محمد عبد المنعم خفاجى ص ٧٨.

والبحترى ، وكانت هذه النظرية بذرة صغيرة ألقى بها بعض الأدباء والنقاد فى القرن الثالث ، ومن بينهم الشاعر البحترى الذى أثر عنه قوله حين سئل عن نفسه وعن أبى تمام : " كان أغوص على المعانى منى ، وأنا أقوم بعمود الشعر "(١) .

٣ ـ الصورة الأدبية (٢) .

معالم الصورة الأدبية كانت واضحة عند الآمدى من خلال إهتمامه باللفظ والمعنى " أى النظم " والصورة التى تقوم عليهما معاً ، ولكنه يكاد يبلغ الغاية فى توضيح الصورة التى فل بها البحترى أستاذه أبا تمام وهو يتحدث فى باب العلاقة ين اللفظ والمعنى ، فقد فسر التأليف وهو النظم فى الصورة ، حينما عقد موازنة بين صناعة الشعر وبين غيرها من الأشياء فى سائر الصناعات الأخرى فيبنى الشعر الجيد المحكم وكذا الصناعات الأخرى ، على دعائم أربع :

أولاً : جودة الآلة .

ثانياً : إصابة الغرض .

ثالثا : صحة التأليف .

رابعا : بلوغ الغاية فى التأليف بدون نقصان ولا زيادة .

وكذلك الأمر فى كل محدث مصنوع فى الخلق والإيجاد ، يحتاج إلى أربعة أشياء :

١- الموازنة ص ١٥ .

٢ الصورة الأدبية : هى الألفاظ والعبارات التى ترمز إلى المعنى ، وتجسم الفكرة فيها.

أولاً : علة هيولانية وهى الأصل .

ثانياً : علة تصويرية .

ثالثاً : علة فاعلة .

رابعاً : علة تمامية .

وعلى هذا تقابل الآلة الأصل (الهيولانية) ، وإصابة الغرض : وهو التأليف والنظم يساوى الصورية ، وصحة التأليف : وهى استقامة الفكر الناتجة من التأليف تساوى العلة الفاعلة . ووفاء الجودة وتمام الصنعة : يقابل العلة التمامية والمقابلة الأخيرة هى التى أراد بها الآمدى البلاغة فى الصورة (١) فى قوله السابق :

" فالبلاغة : إنما هى إصابة المعنى ، وإدراك الغرض ، بألفاظ سهلة عذبة مستعملة سليمة من التكلف ، لا تبلغ الهذر الزائد على قدر الحاجة ...إلخ "(٢)

يقول الآمدى فى الموازنة التى عقدها بين صناعة الشعر وغيرها من الصناعات الآخرى " زعموا أن صناعة الشعر وغيرها من سائر الصناعات لا تجود وتستحكم إلا بأربعة أشياء : جودة الآلة وإصابة الغرض المقصود وصحة التأليف ، والإنتهاء إلى نهاية الصنعة ، من غير نقص فيها ، ولا زيادة عليها ، وهذه الخلال الأربع ليست فى الصناعات وحدها ، بل هى موجودة فى جميع الحيوانات والنباتات .

- الصورة الأدبية تأريخ ونقد د/ على على صبح ص ٣٣ ، ٣٤ ط دار إحياء الكتب العربية الحلبى .
- الموازنة ٣٨٠ .

ذكرت الأوائل أن كل محدث مصنوع محتاج إلى أربعة أشياء: علة هيولانية وهى الأصل ، وعلة صورية ، وعلة فاعلة ، وعلة تمامية .

فهذا قول جامع لكل الصناعات والمخلوقات ، فإن اتفق الآن لكل صانع بعد هذه الدعائم الأربع أن يحدث فى صنعته معنى لطيفاً مستغرباً كما قلنا فى الشعر من حيث لايخرج عن الغرض فذلك زائد فى حسن صنعته وجودتها ، وإلا فالصنعة قائمة بنفسها مستغنية عما سواها (١).

وهكذا يوضح الآمدى ، ما يعتمد عليه الشعر وغيره من سائر الصناعات والصور التى يسببها الشعر فى التركيب والبناء ، والنص السابق يوضح بعض معالم الصورة الأدبية وهى :

١. حسن التآلف ، وتنسيق النظم ، وتلاؤم الصيغة ، يكشف عن المعنى فى وضوح وروعة ، وكذلك الأمر بالعكس فاضطراب النظم وفساد الصورة يعقد المعنى ، ويزداد غموضاً .
٢. العبرة فى الشعر بالصورة لأنها هى التى تنقل ما فى النفس من خواطر ومشاعر بصدق ودقة ، وتبرزه للغير ، فلو كانت رديئة التآلف ، ومضطربة التنسيق ، ولو اشتملت على نادرة وحكمة ، فإنها تسقط فى الإستعمال وتقبح فى مرأى العين وتضعف فى تأثيرها فى النفس .
٣. الشعر صناعة وتصوير كسائر الحرف والصناعات ، والجميع تشكيل وتجسيد للمواد وتصوير لها .(٢) .

---

[١] – الموازنة ص ٣٨١ وما بعدها .

[٢] – الصورة الأدبية تاريخ ونقد د/ على على صبح ص ٣٦ .

٤ ـ الناقــد :

الآمدى بوأ الناقد أسمى منزلة ، وأعلى مكانة حين دعا إلى الأخذ برأيه، والنزول على حكمه لأنه ـ وحده ـ العالم بالشعر ، والبصير بمسالكه ، القادر على أن يميز جيده من رديئه ، وكما أن الإنسان يأخذ بآراء المتخصصين فى كل صناعة لا يتقنها فعليه أن يأخذ بآراء الناقد المتخصص فى الشعر يقول :

" فمن سبيل من عرف بكثرة النظر فى الشعر والإرتباط فيه وطول الملابسة له أن يقضي له بالعلم بالشعر والمعرفة بأغراضه ، وأن يسلم له الحكم فيه ، ويقبل منه ما يقال ويعمل ما يمثله ، ولا ينازع فى شئ من ذلك ، إذ كان من الواجب أن يسلم لأهل كل صناعة صناعتهم ، ولا يخاصمهم ولا ينازعهم إلا من كان مثلهم نظراً فى الخبرة وطول الدربة والملابسة (١)

كما ذهب الآمدى إلى أن حكم الناقد يجب أن يحترم حتى ولو لم يستطع أن يقنع به غيره أو يرد به إعتراض معترض لأنه لا يستطيع أن يجعل المعترض مثله فى صناعته يقول : " وأنه ليس فى وسع كل أحد أن يجعلك ـ أيها السائل المتعنت والمسترشد المتعلم ـ فى العلم بصناعته كنفسه ، ولايجد إلى قذف ذلك فى نفسك ولا فى نفس ولده ومن هو أخص الناس به سبيلا ، ولا أن يأتيك بعلة قاطعة ، ولاحجة باهرة ، وإن كان ما اعترضت به اعتراضا صحيحا ، وما سألت عنه سؤالا مستقيما ، لأن مالا يدرك إلا على طول الزمان ومرور الأيام لايجوز أن تحيط به فى ساعة من نهار .

---

(١) – الموازنة ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

ثم إن العلم الذى لايعلم فى أكثر أحواله إلا بالرؤية والمشاهدة لايعرف حق المعرفة بالقول والصفقة وقد قيل :" ليس الخبر كالمعانية " (١)٠

ويضع الآمدى أمام الناقد ، أو من يريد أن يتفهم الشعر حق فهمه ، وأن يحكم عليه الحكم الصحيح منهجا قويما ، يبدأ بالرواية والمداومة على قراءة الشعر الجيد القديم والمحدث ، ثم التعرف لآراء نقاد الشعر وعلماؤه ، والنظر فيما أُجمع عليه الأئمة فى علم الشعر من تفضيل بعض الشعراء على بعض ، فإن عرفت علة ذلك فقد علمت ، وإن لم تعرفها فقد جهلت ، وذلك بأن تتأمل شعر أوس بن حجر والنابغة الجعدى ، فتنتظر من أين فضلوا أوساً ، وتنتظر فى شعرى بشر بن أبى خازم ، وتميم ابن أبى مقبل ، فتنتظر من أين فضل تميم بشرا .

... فإن علمت من ذلك ما علموه ولاح لك الطريق التى بها قدموا من قدموه وأخروا من أخروه فثق حينئذ بنفسك ، واحكم يسمع حكمك وإن لم ينته بك التأمل إلى علم ذلك فأعلم أنك بمعزل عن الصناعة . ثم إن كنت شاعراً فلا تظهرن شعرك واكتمه كما تكتم سرك . فإن قلت إنه انتهى بك التأمل إلى علم ما علموه ، لم يقبل ذلك منك حتى تذكر العلل والأسباب ، فإن لم تقدر على تخليص العبارة فأمسك حتى تعلم شواهده من فهمك ، ودلائله من اختيارك وتمييزك بين الجيد والردى (٢)

ويدعو الآمدى الناقد إلى أن يتخصص فى العلم ، أما الإلمام من كل علم طرف فإنه لايتيح للإنسان أن يحكم الحكم السليم " لأن العلم من أى نوع

---

١ - نفس المرجع ص ٣٧٥ .

٢ - الموازنة ص ٣٧٧ .

كان لايدركه طالبه إلا بالانقطاع إليه ، والإكباب عليه والجد فيه ، والحرص على معرفة أسراره وغوامضه . ثم قدبتأتي جنس من العلوم لطالبه ، ويتسهل عليه ، ويمتنع عليه جنس آخر ويتعذر ، لأن كل امرئ إنما يتيسر له ما فى طبعه قبوله ، وما فى طاقته تعلمه ، فينبغى أصلحك الله أن تقف حيث وقف بك ، وتقنع بما قسم لك ، ولاتتعدى إلى ما ليس من شأنك ولا من صناعتك (١) .

نماذج من الموازنة

١ ـ قال أبو تمام فى معنى الشوق :

يَكْفِيكَ شَوْقٌ قَدْ يُطِيلُ ظَمَاءَهُ فإذا سَقَاهُ سَقَاهُ سُمَّ الأسْوَدِ (٢)

يقول الأمدى : فقوله "شوق يطيل ظماءه " غلط ، لأن الشوق هو الظمأ نفسه ، أنك تقول : أنا عطشان إلى رؤيتك ، وظمآن ، مشتاق ، بمعنى واحد ، فكيف يكون الشوق هو المطيل للظمأ ؟ وكيف يكون هو الساقى ، والمحبوب هو الذى يظمىء ويسقى ، أو البعد أو الهجر لا الشوق ، فكيف يكون الشوق يطيل شوقه ؟(٣) .

٢ ـ قال أبو تمام :

لمَّا استَحَرَّ الوَدَاعَ المحضْ وانصَرَمتْ أوَاخِرُ الصَّبْرِ إلاَّ كَاظِمًا وَجِما

---

١ – نفس المرجع ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ .

٢ – هو ثانى بيت من قصيدة يمدح فيها المأمون أو المعتصم .

٣ – الموازنة ص ١٩٨ .

رأيتُ أحْسَـنَ مــرنى وأقـبَحَــــهُ   مُسْتَجْمِعين لِىَ التَّوْدِيعَ والعَنَمَا (١)

يقول الآمدى : استحسن من المحبوبة إصبعها الذى يشبه العنم فى الإحمرار ، واستقبح إشارتها له بالوداع . وإشارة المحبوبة بالوداع لا يستقبحه إلا أجهل الناس بالحب وأقلهم معرفة بالغزل وأغلظهم طبعاً ، وأبعدهم فهما . ألم يسمع قول جرير :

أتَنْسَى إذْ تُوَدِّعُنَا سُلَيْمَى   بِفَرْعِ بَشَامَةٍ ؟ سُقِيَ الْبَشَامُ

فدعا للبشام بالسقيا لأنهاء ودعته به ، فسر بتوديعها (٢) .

٣ ـ قال أبو تمام :

فَلَوْ ذَهَبَتْ سِنَاتُ الدَّهْرِ عَنْهُ   وألْقِيَ عَنْ مَنَاكِبِهِ الدِّثَارُ

لَعَدَّلَ قِسْمَةَ الأرْزَاقِ فِينَـــا   وَلَكِنْ دَهْرُنَا هَذَا حِمَارُ(٣)

قال الآمدى : قوله " وألقى عن مناكبه الدثار " لفظ ردىء ، وليس من المعنى الذى قصده فى شىء ، وصدر البيت لائق بالمعنى ، فلو أتبعه بما يكون مثله فى معناه ، بأن يقول : فلو ذهبت سنات الدهر عنه واستيقظ من رقدته أو انتبه من نومته أو انكشف الغطاء عن وجهه لكان المعنى يمض مستقيما ، لأن من كان نائما يغطى وجهه عادة فلا يبصر ، أما ديثار المناكب فغير مناسب لأن

---

١ – العنم : ثمر شجرة حجازية أحمر يشبه به البنان المخضوب .

٢ – الموازنة ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ .

٣ – من قصيدة يمدح فيها أبو الحسين محمد بن الهيثم ، والسنات بكسر السين جمع سنة ، وهى النوم أو أوائله ، وأراد هنا الغفلات ، والمناكب : جمع منكب ، وهو مجتمع العضد والكتف ، والدثار : ما يلبس فوق الشعار .

الإنسان قد يبصر وعلى مناكبه ديثار ، والمقصود هنا أن يجعل الدهر غير مبصر .

والمراد هو نوم القلب وغفلته ، إذ يقال قد عمى قلبه عن الصواب ، وغطى على فهمه ، ولايقال : غطى بالدثار عن الصواب . ولفظة (الدثار) أيضا إنما تستعمل لمنع الهواء والبرد لها لمنع الفهم والرشد . فهذه استعارات غريبة بعيدة .(١)

٤ ـ قال أبوتمام :

لاتسـقِنى مَاءَ المَلاَم فإنَّنِى ... صَبٌّ قدِ استَعْذَبْتُ مَاءَ بُكَائِى (٢)

عابه النقاد لقبح الإستعارة فى جعله للملام ماء ، ولكن الآمدى يقول : وهذا ليس بعيب عندى ، لأنه لما أراد أن يقول : قد استعذبت ماء بكائى ، جعل للملام ماء ليقابل ماء بماء (مشاكلة) كقوله تعالى : ﴿ وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مثْلهَا ﴾ (٣) فالثانية ليست بسيئة ، إنما هى جزاء عن سيئة ، وكذلك : ﴿ إنْ تسْخرُوا منَّا فإنَّا نسْخرُ منْكُم ﴾ (٤) والفعل الثانى ليس بسخرية ، ومثل هذا فى الشعر الكلام كثير مستعجل (٥) .

---

١ – الموازنة ص ٢٠٩ ، ٢١٠ .

٢ – هذا من قصيدة يمدح فيها يحيى بن ثابت .

٣ – من الآية ٤٠ من سورة الشورى .

٤ – من الآية ٣٨ من سورة هود .

٥ – الموازنة ص ٢٤٤ .

٥ ـ يقول البحترى :

يُخفِى الزُجَاجَة لوْنُها فَكأنَّها　　　فى الكَفِّ قائِمَةٌ بِغَير إناءِ (١)

قال النقاد : لو ملئ الإناء دِبْسا لكانت هذه حالـه ، فما مزية الخمر ؟ ولكن الآمدى يقول : هذا عندى صحيح لاعيب فيه ، لأنه يريد أن شعاع الشراب قوى غلب على رقة الزجاجة . وقد أخذ هذا المعنى من على بن جبلة :

كأن يد النديم تدير منها　　　شعاعاً لاتحيط عليه كاس

ألاترى أنه قد دل على أن الكاس فى غاية الرقة (٢).

٦ – يقول البحترى :

قِفِ الْعِيسَ قدْ أدْنَى خُطَاهَا كَلالُها

وسَلْ دَارَ سُعْدَى إنْ شَفَاك سُؤَالُها(٣)

قال الآمدى : اللفظ حسن ، والمعنى غير جيد ، لأنه قال : أدنى خطاها كلالها أى قارب من خطاها وجعلها متقاربه ضعيفة كلالها وإعياؤها ، وكأنه لم يقف لسؤال الديار ، وإنما وقف بسبب تعب المطى . والجيد قول عنترة :

فَوَقفتُ فيها نَاقتى ، وكأنَّها　　　فَدَنٌ لأقضِىَ حَاجَةَ المُتَلَوِّمِ .(٤)

---

١ – من قصيدة يمدح فيها أبا سعيد محمد بن يوسف .

٢ – الموازنة ص ٣٤٧ .

٣ – هذا مطلع قصيدة له يمدح فيها أمير المؤمنين المتوكل على الله ، والكلال : التعب .

٤ – هذا البيت من معلقته المشهورة . والفدن : القصر ، والمتلوم : المتمهل .

فإنه احتاط فجعل ناقته قوية عظيمة كالفدن وهو القصر ، حتى لا يظن أنه وقف ليريحها .(١)

أهم المآخذ التى وجهت إلى كتاب الموازنة .

أولا : أنه حاول أن يرضى أصحاب أبى تمام ، وأصحاب البحترى معا فوقع فى تناقض فكرى بين الانتصار للطيف المعانى وهو الشىء الذى اعتبره ضالة الشعراء وطلبتهم ، وبه قدموا امرأ القيس زعيم الطبقة الأولى من شعراء الجاهلية وبين الانتصار لحلو اللفظ وجودة الرصف وحسن الديباجة ، وكثرة الماء كما وجدها عند البحترى . ولقد سلم الآمدى لأبى تمام بلطيف المعانى ودقيقها وعده بها شاعرا مقدما ، ثم تحول عنه بعد ذلك فدعاه فيلسوفا أوحكيما، وجعل دقيق المعانى موجودا فى كل أمة وفى كل لغة .

ثانياً : أن الآمدى جارى ما شاع بين الناس من أن أبا تمام حكيم وإنما الشاعر البحترى ، وهو بهذا خالف ما قد كان أخذ به نفسه فى أول كتابه .(٢) أنه لايطلق القول بأيهما أشعر عنده .

ثالثا : أن الآمدى تسرع فى الحكم بين الشاعرين قبل أن يقيم الموازنه التى وعد بها ، وهى الموازنة التى شرع فيها بين جزئيات أشعار الشاعرين ، واستعان فيها بالله على مجاهدة النفس ومخالفة الهوى وترك التحامل .

---

١ - الموازنة ص ٣٤٥ .

٢ - نفس المرجع ص ١١ .

الوساطه بين المتنبى وخصومه

للقاضى عبد العزيز الجرجانى المتوفى سنه ٣٦٦

الجرجـــانى

هو أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجانى المشهور بالقاضى . ولد فى جرجان سنة ٢٩٠ هـ ، ونشأ بها . وكانت الدولة الإسلامية قد بلغت نضجها العلمى ، وتعددت الحواضر الإسلامية تزخر بالعلم والعلماء ، وأصبحت الرحلة سبيل التعلم والدرس ، فجاب الأرض وزار العراق والشام والحجاز ، ولقى مشايخ وقته وعلماء عصره ، واقتبس العلوم والآداب ، وصار فيها علماً وإماماً (١) .

اشتهر بالفقه ، وترجم له الشيرازى فى طبقات الفقهاء ، وفسر القرآن الكريم ، وذكره السيوطى فى طبقات المفسرين ، واشتغل بالتاريخ وله فيه آثار ، ثم هو شاعر متقن ، وكاتب مترسل ، وناقد لوذعى بصير . وفيه يقول صاحب اليتيمة : " حسنة جرجان ، وفرد الزمان ، ونادرة الفلك ، وإنسان حدقة العلم ، ودرة تاج الأدب ، وفارس عسكر الشعر ، يجمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ونظم البحترى ، وينظم عقد الإتفاق والإحسان فى كل ما يتعاطاه (٢) " .

وللقاضى عدة تصانيف . منها تفسير القرآن المجيد ذكره ياقوت فى معجم الأدباء ، وتهذيب التاريخ ذكره ياقوت ، والثعالبى فى يتيمة الدهر ،

---

١ - مقدمه كتاب الوساطة بين المتنبى وخصومه للقاضى الجرجانى تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، على محمد البجاوى ص د .

٢ - يتيمة الدهر للثعالبى ٤ ، ٣ ط دار الباز للنشر والتوزيع .

والوساطة بين المتبنى وخصومه ، والوكالة فى الفقه وفيه أربعة آلآف مسألة ، والأنساب ذكره ابن خلدون ، ولكن هذه الكتب لسوء الحظ مفقودة لم يبق منها سوى الوساطة .

وقد اشتهر القاضى الجرجانى بعدة صفات نفسية (١) أهلته للقضاء بين الناس تارة وبين الشعراء تارة أخرى ، وأهم هذه الصفات الذكاء ومقدرته على التحصيل ، والصراحة فى قول الحق ، وحبه للصدق فلا يصدر حكما مبنيا على هوى ، وميله إلى العداله ، والصبر الذى دفعه إلى عزة النفس والأنفة من اذ لألها ، وانقباضه عن الناس وإيثاره للعزلة عنهم ، وحبه للجمال الذى جعله يتغنى بمظاهر الحسن فى شعره .وتوفى القاضى الجرجانى وهو قاضى بالرى (٢) سنة ٣٩٢ هـ ، ويجمع المؤرخون على أن تابوته نقل إلى مسقط رأسه جرجان (٣) ، حيث شيعته مدينته تشييعاً حافلاً ، وصلى عليه القاضى أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد .

سبب تأليف القاضى الجرجانى لكتابه الوساطة .

إن الدافع الذى دفعه لتأليف كتابه الوساطة يرجع إلى سببين :
أحدهما : ما ذكر الثعالبى فى يتيمة الدهر قال : " ولما عمل الصاحب رسالته المعروفة فى إظهار مساوئ المتنبى وخصومه فى شعره " فأحسن وأبدع وأطال وأطاب ، وأصاب شاكلة الصواب ، واستولى على الأمد فى فصل

---

(١) - راجع القاضى الجرجانى للدكتور / أحمد أحمد بدوى ص ٣١ وما بعدهاط دار المعارف الثانية .

(٢) - معجم الأدباء ١٤ \ ١٥ ، وطبقات الشافعية ٢ / ٣٠٨.

(٣) - نفس المرجع والصفحة ، وشذرات ٣ / ٥٦ .

الخطاب ، وأعرب عن تبحره فـى الأدب ، وعلـم العـرب ، وتمكنـه مـن جـودة الحفظ وقـوة النقد ، فسار الكتـاب مسير الريــاح ، وطــار فــى البــلاد بغـير جناح " (١)

ثانيها : أن القاضى الجرجانى آنس من نفسه استعداداً ليدلى برأيه فيما نشب من خصومـة بيـن المتعصبيـن للمتنبـى (أمثـال الصـابى ، والضبـى ، وأبـى بكـر الخوارزمى وابن جنى) والمتعصبيين عليه (أمثال الصاحب والحـاتمى ، وأبـى هلال العسكرى) ويقول كلمة حق فى مسألة هو متمكن منها ، محيـطٌ بأبعادهـا ملم بأقطارها ، وساعده فى تخريج كتابه هذا على الوجه الذى خرج بـه منطـق القاضى فى التثبت بالاستدلال والاسترشاد والاستنباط والمقايسة والمحاجة وما إلى ذلك من آداب القضاء وروحه (٢) .

أهمية كتاب الوساطة فى النقد الأدبى

يعتبر كتاب الوساطة للقاضى الجرجانى من أهم كتـب النقد فـى القـرن الرابع الهجرى ، لسببين ، أولهما أنه يتصل بشـاعر مـن أكبر شـعراء العربيـة ذكراً وأذيعهم شهرة ، وثانيهما أن القاضى كان مع كتابـه موضوعياً حـاول أن يناقش كثيراً من مشكلات النقـد بطريقـة علميـة منهجيـة ، دون الاعتمـاد علـى مجرد الصاق التهم ، وإطلاق العيوب ، أو التفاخر الكـاذب وإبـراز مـا للشـاعر مما ليس له ، وادعاء مفاخر باطلة دون وجه حق (٣) .

---

١ - يتيمة الدهر ٤/ ٤.

٢ - نصوص نقدية لأعلام النقاد العرب د/ محمد السعدى فرهود ص ١٠٥ .

٣ - تاريخ النقد الأدبى والبلاغة د/ محمد زغلول سلام ص ٢٨٣.

يضاف إلى هذا أهمية ثالثة وهي أن الكتاب اشتمل على الكثير من الحقائق النقدية لشعر كبار الشعراء العرب ، مما يعكس اهتمام القاضى الجرجانى بالأدب العربى وتاريخه ومساهمته فى إبداء رأيه النقدى فى هذا التراث الأدبى .

منهجه فى الوساطة :

١. بدأ الجرجانى كتابه بعرض آرائه العامة فى النقد الأدبى ، وذكر أخطاء الجاهليين ، وتفاوت الشعراء تبعاً للزمان والمكان ، وتطور الشعر العربى إلى أن انتهى إلى البديع ، وهذا كله كتمهيد للدفاع عن المتنبى ، والتماس العذر له فيما أخطأ فيه .

٢. ثم يأخذ فى الدفاع عن المتنبى ، فيجعل خصومه نوعين : نوع يتعصب للمتقدمين ، ونوع يتعصب لأبى تمام فقط من المحدثين. وطريقته فى الدفاع عنه أن يسلم بعيوبه ، ثم يلتمس له العذر ، بقياسه إلى غيره من الشعراء ، وأن لكل شاعر الجيد والردئ ، وأنه لم يسلم شاعر قط من الخطأ ، ثم يأخذ فى عرض بعض روائعه من جيد شعره . ثم يهتم بالحديث عن (السرقات) ، فيرى أن السرقة تكون فى المعانى وتكون فى الألفاظ ، وكل منهما درجات ، ولكنه يرفض الاعتراف بالسرقة فى الألفاظ والمعانى العامة المشتركة بين الناس جميعاً . فالشاعر إذا أخذ معنى عاما وأبرزه فى صورة أحسن كان غير معيب . كما يقول المتنبى :

فاستعارَ الحديدُ لوناً وألقى لونَهُ فى ذوائبِ الأطفال

فهو وإن كان مأخوذ من قول العامة : " هذا أمر يشيب الطفل(١)" إلا أنه أظهره فى صورة جميلة وزاد فيه زيادة حسنة .

٣. ثم ينتهى إلى مناقشة ما أخذ على المتنبى من العيوب ، فيسلم ببعضها إنصافا للفقيقة ، ويلتمس له العذر بأن غيره من الشعراء قد وقع فيما وقع فيه ، ويحاول الدفاع عن بعض أخطائه ، فيخونه التوفيق فى بعض الأحيان . وهذه الأخطاء التى وجهت إلى المتنبى تتنوع بين التعقيد والغموض ، والإفراط والمبالغة ، والخطأ فى اللغة ، والبعد عن الإستعارة (٢) ... إلخ .

وهو يرد على ذلك كله بالتماس الأعذار للمحدثين ، وأن القدماء قد أغلقوا عليهم أبواب المعانى ، وكانوا أكثر قربا من صميم اللغة ، وكانوا أطبع عليها وعلى الفصيح منها . ويهاجم المعترضين على المتنبى بأنهم أحد رجلين : إما رجل نحوى لغوى لا بصر له بصناعة الشعر ، وإما معنوى مدقق لاعلم له بالإعراب واللغة .

وإذا كان منهج الجرجانى قد اتسم بالتعميم غالباً ، ووضع المبادئ والقواعد العامة ، والإكتفاء فى التماس العذر فى الردئ بذكر الجيد ، والقياس إلى الشعراء ، فإنه لم يغفل النقد التفصيلى أحيانا .

---

١ - الوساطة ص ١٩٠.

٢ - دراسات فى النقد الأدبى د/ حسن جاد ص ٨٩ وما بعدها .

أهم القضايا النقدية فى كتاب الوساطة :

١ ـ الخلق الفنى أو الشعرى :

كان القاضى الجرجانى أحد النقاد الذين تناولوا منذ قديم بالتحليل موهبة الشعر ، ومقوماته وأثر الطبع والتكلف فى جماله ، ووقع الشعر الجميل على النفس ، وما يكون لوجدانات الشاعر من أثر خاص فى منهجه وطريقة تعبيره(١) ، ولذا فهو يحرص منذ الصفحات الأولى من كتابه الوساطة على أن يبدأ أولا بحديثه عن موهبة الشعرفيقول :

" أنا أقول ـ أيدك الله ـ إن الشعر علمٌ من علوم العرب يشترك فيه الطبع والرواية والذكاء ، ثم تكون الدربة مادة له ، وقوة لكل واحد من أسبابه ، فمن اجتمعت له هذه الخصال فهو المحسن المبرز ، وبقدر نصيبه منها تكون مرتبته من الإحسان ، ولست أفضل فى هذه القضية بين القديم والمحدث ، والجاهلى والمخضرم ، والأعرابى والمولد ، إلا أننى أرى حاجة المحدث إلى الرواية أمسّ ، وأجده إلى كثرة الحفظ أفقر ، فإذا استكشف عن هذه الحالة وجدت سببها والعلة فيها أن المطبوع الذكى لايمكنه تناول ألفاظ العرب إلا رواية ، ولاطريق للرواية إلا السمع ، وملاك الرواية الحفظ ، وقد كانت العرب تروى وتحفظ ، ويعرف بعضها برواية شعر بعض ، كما قيل : إن زهير كان راوية أوس ، وإن الحطيئة راوية زهير ، وإن أبا ذؤيب راوية ساعدة بن جويرية ، فبلغ هؤلاء فى الشعر حيث تراهم ، وكان عبيد راوية الأعشى ولم تسمع له

---

١ – القاضى الجرجانى وكتابه الوساطة بين المتنبى وخصومه د/ صلاح الدين محمد عبد التواب ص د .

كلمة تامة ، كما لم يُسْمع لحسين راوية جرير ، ومحمد بن سهل راوية الكميت ، والسائب راوية كثير ، غير أنها كانت بالطبع أشد ثقة ، وإليه أكثر استئناساً ، وأنت تعلم أن العرب مشتركة فى اللغة واللسان ، وأنها سواء فى المنطق والعبارة وإنما تفْضُل القبيلة أختها بشئ من الفصاحة .

ثم تجد الرجل منها شاعرا مُفْلقا ، وابن عمه وجار جنابه ولصيق طُنُبه بكيئاً مُفْحَماً ، وتجد فيها الشاعر أشعر من الشاعر ، والخطيب أبلغ من الخطيب ، فهل ذلك إلا من جهة الطبع والذكاء وحدة القريحة والفطنة "(١)

فالجرجانى فى هذه الفقرة يعرض للخلق الفنى فيرجعه إلى الطبع والذكاء والدربة والرواية . وقد فطن إلى أن الرواية عند العرب بمثابة التلمذة ، " فمن الشعراء من تتلمذ لغيره بأن صار راوية له فبرز فى الشعر سائراً على نهج أستاذه حتى لتتكون أحيانا مدارس بعينها كتلك التى قامت على أوس بن حجر وزهير والحطيئة . وقد أخذ هؤلاء الثلاثة بعضهم عن بعض ، وحدثنا عن ذلك القدماء ، فاستطاع ناقد حديث كالدكتور طه حسين أن يستنبط الخصائص الفنية التى تميز تلك المدرسة ، وأن يردها إلى تثقيف الشعر ، ثم إلى الإعتماد على الخيال الحسى (٢) "

٢ - أثر الطبع والبيئة فى أسلوب الشعر :

يرى القاضى الجرجانى أن لطبيعة المرء وبيئته أثراً فى تفاوت الأسلوب الشعرى بين الفخامة والضخامة والرقة والعذوبة والسهولة والسلاسة تبعا للطباع التى انتجته وللبيئة التى نشأ فيها إذ يقول : " وقد كان القوم يختلفون

---

١ - الوساطة ص ١٥ ، ١٦ .

٢ - النقد المنهجى عند العرب ص ٢٥٨، ٢٥٩ .

فى ذلك وتتباين فيه أحوالهم فيرق شعر أحدهم ويصلب شعر الآخر ، ويسهل لفظ أحدهم ويتوعر منطق غيره ، وإنما ذلك بحسب اختلاف الطبائع وتركيب الخلق ، فإن سلامة اللفظ تتبع سلامة الطبع ودماثة الكلام بقدر دماثة الخلقة ، وأنت تجد ذلك ظاهرا فى أهل عصرك وأبناء زمانك وترى الجافى الجلف منهم كز الألفاظ ، معقد الكلام وعر الخطاب ، حتى إنك ربما ودت ألفاظه فى صورته ونغمته ، وفى جرسه ولهجته . ومن شأن البداوة أن تحدث بعض ذلك، ولأجله قال النبى صلى الله علية وسلم " من بدا جفا " ، ولذا تجد شعر عدى - وهو جاهلى - أسلس من شعر الفرزدق ورجز رؤية وهما آهلان ، لملازمة عدى الحاضرة وايطانه الريف وبعده عن جلافه البدو وجفاء الأعراب، وترى رقه الشعر أكثر ما تأتيك من قبل العاشق المتيم ، والغزل المتهالك ، فإن اتفقت لك الدماثه والصبابه ، وإنضاف الطبع إلي الغزل ، فقد جمعت لك الرقه من أطرافها.

فلما ضرب الإسلام بجرانه، واتسعت ممالك العرب ، وكثرت الحواضر ونزعت البوادي الي القري، وفشا التأدب والتظرف واختار الناس من الكلام ألينه وأسهله ، وعمدوا الي كل ذي أسماء كثيرة اختاروا أحسنها سمعا وألطفها من القلب موقعا وإلي ما للعرب فيه لغات فاقتصروا علي أسلسها وأشرفها...... الخ (١)

---

١ - الوساطه ص ١٧، ١٨

٣ـ الفصل بين الدين والشعر

يري القاضي الجرجاني أنه لاعلاقه بين الدين وفن الشعر ، ويتعجب ممن ينقص أبا الطيب ، ويغض من شعره لأبيات وجدها تدل علي ضعف العقيدة وفساد المذهب في الديانة كقوله:

يترشفن من فمي رشفات. هن فيه أحلي من التوحيد

" فلو كانت الديانه عارا علي الشعر، وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر ، لوجب أن يمحي اسم أبي نواس من الدواوين ، ويحذف ذكره إذا عدت الطبقات ، ولكان أولاهم بذلك أهل الجاهليه، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبعرى وأضرابهما ممن تناول رسول الله صلي الله عليه وسلم وعاب من أصحابه بكما خرسا، وبكاء مفحمين، ولكن الأمرين متباينان، والدين بمعزل عن الشعر(١)

وهذه النظره التي يري فيها القاضي الجرجاني ألا يحكم علي الشعر في إطار الدين يسبق بها الي حريه الشعر، وهو رأى يجعله سابقا في القول بنظرية (الفن للفن) التي يقول بها النقاد المحدثون.

والقاضي يري أنه ليس عارا علي الشعر سوء الاعتقاد عند الشاعر، ويستدل علي ذلك بشاعريه أبي نواس ، وتقدم الجاهليين. وهو رأي صحيح إذا نظرنا الي الشعر في إطار نظريه الفن للفن. ولكننا إذا نظرنا إلي الشعر في إطار نظرية (الفن للحياه) فإن هذا المظهر النقدي للقاضي الجرجاني يكون فيه نظر(٢).

---

١ – نفس المرجع السابق ص ٦٣.٦٤

٢ – من مظاهر النقد الأدبي عند العرب ،د/ رفعت زكي محمود عفيفي ص ٢٨٢

والحق أننا لسنا مع القاضي فيما ذهب إليه من الفصل بين الشعر والدين، وذلك لأنه لابد للشعراء أن يسيروا في ركب الدين حتي يدخلوا في الطائفه المستثناة من الشعراء في قوله تعالي " إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات" . كذلك لايصح أن ينظر إلي الشعر علي أنه ليس إلا ألفاظا وأخيلة من تشبيهات واستعارات ونحوها، ولايليق أن نعده من وحي الشياطين، فيكون لهوا وعبثا في الحياه لاغير ، وإنما يجب أن يكون الشعر ألهاما شريفا، ووحيا صالحا ، وعملا نافعا في هذه الحياة ، ويدعو إلي النهوض ويجهر بالإصلاح ، ويوقظ النفوس النائمة هداية فينفعون ولايضرون ، ولايكون في هذه الحياة أبواقا للشياطين .

٤- المنهج النفسي:

من القضايا التي تظهر بوضوح في الوساطه والتي اعتد بها في النقد ، ذلك الاتجاه النفسي الإنساني الذي يعد الجرجاني من أوائل من التفت إليه " فهو يقيس العمل الأدبي بمقدار تأثيره في نفس السامع ، بما يحويه من عناصر إنسانية صادقة يكون لها صدي في النفوس ، وهذا اتجاه نفسى في النقد قل أن تجد له مثيلا عند النقاد الآخرين والحق أن صفة الإنسانية واضحة عند هذا الناقد في الكثير من اتجاهاته" (١)

والي تلك الإنسانية نستطيع أن نرد الكثير من آرائه في النقد ، ولعل تلك الصفه أوضح ماتكون في حرصه علي أن يكسب مناظره . فهو لايبدي رأيه فحسب ، ولايكتفي بالتعليل ، بل يسلك إلي ايمان من يحاجه كل السبل ، فهو يعرض لمثل قول البحتري:

---

١ - النقد المنهجي عند العرب د / محمد مندور بتصرف ص ٢٦٣

ألام علي هواك وليس عدلا إذا أحـــببت مثلك أن ألامـــا

أعيدي في نظرة مســـتثيب توخـي الأجر أو كره الأثامـــا

تري كبدا محرقة وعينـــا مـؤرقة وقلبـا مســــتهاما

فيقول : " ثم تأمل كيف تجد نفسك عند إنشاده ، وتفقد ما يتداخلك من الارتياح ، ويستخفك من الطرب إذا سمعته، وتذكر صبوة إن كانت لك تراها ممثلة لضميرك، ومصورة تلقاء ناظرك" (١)

ولايكتفي الجرجاني بالقصيده السابقه التي أوردها للبحتري كمثل للشعر السهل الجميل في رصانته ، بل يستدرك مخاطبا القارئ " فإن قلت هذا نسيب والنفس تهش له والقلب يعلق به والهوي يسرع إليه فأنشد له في المديح قوله:

بلونا ضرائب من قد نـري فما أن وجدنا لفتح ضريبـــا

هو المرء أبدت له الحادثا ت عزمـا وشيكا ورأيا صليبا

ويورد الناقد تلك القصيده الجميله التي قالها البحتري في محمد الفاتح بن خاقان، حتي إذا انتهي منها لم يقف في محاجته عند ذلك الحد أيضا ، بل عاد إلي القارئ يمعن في محاولة كسبه فيقول :

" وإنما أحلتك علي البحتري لأنه أقرب بنا عهدا ونحن به أشد أنسا، وكلامه أليق بطباعنا وأشبه بعاداتنا، وإنما تألف النفس ماجانسها وتقبل الأقرب إليها (٢)

وهكذا رأيناه يعني عنايه شديدة بالأثر النفسي الذي ينتقل من خلال النصوص بما يكسوها من فنيه الصدق ، وروعة الأداء ، كما يعني بابراز المعالم الإنسانية التي ينضح بها أسلوب الشعر .

---

[١] الوساطة ص ٢٧ .

[٢] نفس المرجع ص ٢٩ .

٥- اختلاف الأسلوب باختلاف الغرض:

لاحظ القاضي الجرجاني أن الأسلوب الشعري يختلف باختلاف الغرض ، وأنه يختلف بحسب طبيعة الشاعر ونفسيته ويتلون بدرجة حماسه وقوة انفعاله، فالغزل غير الافتخار والمديح غير الهجاء والحماسة غير الاعتذار .

يقول الجرجاني : " ولا آمرك بإجراء أنواع الشعر كله مجري واحدا ، فلا يكون غزلك كافتخارك ، ولا مديحك كوعيدك ، ولاهجاؤك كاستبطائك ، ولا هزلك بمنزلة جدك، ولاتعريضك مثل تصريحك ، بل ترتب كلا مرتبته وتوفيه حقه ، فتلطف إذا تغزلت ، وتفخم إذا افتخرت ، وتتصرف للمديح تصرف مواقعه ، فإن المدح بالشجاعه والبأس يتميز عن المدح باللباقه والظرف ، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف المجلس والمدام ، فكل واحد من الأمرين نهج هو أملك به ، وطريق لايشاركه الآخر فيه .

وليس مارسمته لك في هذا الباب بمقصور علي الشعر دون الكتابه ، ولابمختص بالنظم دون النثر ، بل يجب أن يكون كتابك في الفتح أو الوعيد خلاف كتابك في التشوق والتهنئة واقتضاء المواصلة ، وخطابك إذا حذرت وزجرت أفخم منه إذا وعدت ومنيت" (١) .

٦- تذوق الجمال الأدبي بين الذاتية والموضوعية:

إن التذوق الجمالي للعمل الأدبي لاينبع من الأشياء وحدها ، ولا من النفس من غير مؤثرات مباشرة أو غير مباشرة ، وإنما هو في هاتين الناحيتين وفيما بينهما من تجاوب ، وبهذا يجمع الجمال الحق بين الذاتية التي

- الوساطة ص ٢٤ .

تنسجم مع الإحساس بالكمال العقلي ، وبين الموضوعية التي يتجلي فيها التناسق والتوازن ولا سيما حين يبدو ذلك في توحيد العناصر المتفرقه (١)

والقاضي الجرجاني خير من يمثل كل من الذاتيين والموضوعيين معا في تحديد الجمال والإحساس به ، فهو يري أن الكلام أصوات وقعها من الأسماع وقع الصور من الأبصار يقول: "وأنت قد تري الصورة تستكمل شرائط الحسن ، وتستوفي أوصاف الكمال ، وتذهب في الأنفس كل مذهب ، وتقف من التمام بكل طريق ، ثم تجد أخري دونها في انتظام المحاسن ، والتئام الخلقه ، وتناصف الأجزاء ، وتقابل الأقسام ، وهي أحظي بالحلاوة ، وأدني إلي القبول ، وأعلق بالنفس وأسرع ممازجة للقلب ، ثم لاتعلم – وإن قاسيت واعتبرت ، ونظرت وفكرت _ لهذه المزية سببا ، ولماخصت به مقتضيا ·

ولوقيل لك كيف صارت هذه الصورة ، وهي مقصورة عن الأولي في الأحكام والصنعة ، وفي الترتيب والصيغة ، وفيما يجمع أوصاف الكمال ، وينتظم أسباب الاختيار أحلي وأرشق وأحظي وأوقع ؟ لأقمت السائل مقام المتعنت المتجانف ، ورددته رد المستبهم الجاهل، ولكان أقصي مافي وسعك ، وغاية ماعندك أن تقول : موقعه في القلب ألطف ، وهو بالطبع أليق ، ولم تعدم مع هذه الحال معارضا يقول لك: فماعبت من هذه الأخري ؟ وأي وجه عدل بك عنها ؟ ألم يجتمع لها كيت وكيت

وتتكامل فيها ذيه وذيه وهل للطاعن إليها طريق وهل فيها لغامز مغمز يحاجك بظاهر تحسه النواظر وأنت تحيله عن باطن تحصله الضمائر"(٢)·

---

١ -الأصول الفنية للأدب للأستاذ عبد الحميد حسن بتصرف ص ١٦ ط مكتبه الأنجلو المصرية

٢ - الوساطه ص ٤١٢

فالقاضي الجرجاني من هذه الوجهة إنما يراعي الجانب الذاتي في نظرتـه الجمالية للعمل الأدبي ، وكأنه يريد أن يقول : إن ماكان موافقا للقواعد الجمالية والمقاييس الموضوعية لايكون حتما جميلا٠

بل قد يخل الشئ بهذه القواعد ومع ذلك يكون أدني إلي القبول وأعلق بالنفس وأسرع ممازجة بالقلب ـ علي حد تعبيره ـ فكان الجمال عنده ـ فيما سبق من الرأي ـ كامن في النفس ، لا ظاهر في الشكل ، ومن هذا الجانب يكون الإحساس الجمالي نابعا من الصلة الوثيقة بين بواطن الأشياء وبواطن النفوس(١)٠

علي أن القاضي الجرجانى في تلك النظرية الجمالية لم يركن إلى هذا الجانب الذاتي فحسب بل إنه جعل نصيبا لأهل الصنعة في تقديرهم للجمال وتحديدهم لمواطن التأثير به والانفعال له٠

فإذا كانت القدرة علي كشف الجمال الباطن في كل عمل أدبي فإنهم كذلك قادرون علي تحديد خصائص هذا الجمال بما كسبوا من خبرة ودراية ،

وفى النص التالى ما يجمع بين الاتجاهين فى تقدير القاضى الجرجانى ، يقول : " والشعر لايحبب إلى النفوس بالنظر والمحاجة ، ولا يحلى فى الصدور بالجدال والمقايسة ، وإنما يعطفها عليه القبول والطلاوة ، ويقرب منها الرونق والحلاوة ، وقد يكون الشىء متقنا محكما ، ولايكون حلوا مقبولا ، ويكون جيدا وثقيا ، وإن لم يكن لطيفا رشيقا٠

---

١ - القاضي الجرجاني وكتابه الواسطه بين المتنبى وخصومه، د/ صلاح الدين محمد عبد التواب ص ٩٤ ٠

وقد يجد الصورة الحسنه والخلقه التامة مقليه ممقوتـه ، وأخـري دونـها مستحلاة مرموقة ، ولكل صناعة أهل يرجع إليهم فـي خصائصـها ، ويسـتظهر بمعرفتهم عند اشتباه أحوالها "(١)٠

فإذا كان أول النص يشير إلـي مـافي العمـل الأدبـي نفسـه من دواعـي الإحساس بالجمال فإن آخره لايغفل الدور الذي يمكن أن يؤديـه أهـل الصناعـة في عملهم حتي يوصف بالجمال ويكون موضع القبول والاستحسان٠

ولم يكن الأمر انتكاسا من القاضي الجرجاني ـ كما زعم البعض ـ(٢) عند مانظر إلي الجمال تلك النظرة الذاتيه الموضوعية معا ، وإنما هو المذهب الوسط في تحديد منابع الإحساس بالجمال٠

فلا الذات وحدها يمكن أن تحيط بكل مواطن الجمال مـع غض النظـر عما في الأثر الأدبي من مظاهر الدقه والروعة والإحكام ، ولا الصنعة وحدهـا بما تصنعه من مقاييس الجودة الأدبية بقادرة علـي تحديد مصـادر هذا الجمـال دون اعتبار لهذا الاتصال الداخلي بين نفس المتذوقين وعمل المنشئين(٣)٠

٧ ـ عمود الشعر:

وصـف القاضي الجرجاني عمـود الشـعر وحـدد بعض خصائصـه فـي قوله : " وكانت العرب إنما تفاضل بين الشعراء فـي الجـودة والحسـن بشـرف المعنـي وصحتـه وجزالـة اللفظ واستقامته ، وتسلم السبق فيـه لمـن وصـف فأصـاب ، وشبه فقـارب ، وبده فـأغزر ، ولمـن كـثرت سـوائر أمثالـه وشـوارد

---

١ – الوساطه ص ١٠٠ ٠

٢ – راجع الأسس الجمالية في النقد العربي د / عز الدين إسماعيل ص ١٦٦ ٠

٣ – القاضي الجرجاني وكتابه الوساطه د/ صلاح الدين محمد عبد التواب ص ٩٥ ٠

أبياته ، ولم تكن تعبأ بالتجنيس والمطابقة ، ولا تحفل بالإبداع والاستعارة إذا حصل لها عمود الشعر ونظام القريض "(١)٠

بهذا جمع خصائص القصيدة العربية القديمة قبل أن تمتد إليها يد التجديد التي ذهبت بمعظم تلك الخصائص كما ندركه في شعر المولدين٠

٨ ـ البديع:

تحدث القاضي الجرجاني عن البديع وألوانه عند الشعراء القدامي ، والمحدثين وبين كيف كان يقع عند القدامي عفوا فيزيد الكلام بهاء ويكسوه رونقا ، فلما تكلفه المحدثون وأسرفوا فيه أكسب كلامهم سماجة وزاده غثاثة وبرودة٠

يقول: " وقد كان يقع ذلك من خلال قصائدها ، ويتفق لها في البيت بعد البيت علي غير تعمد وقصد ، فلما أفضي الشعر إلى المحدثين ، ورأوا مواقع تلك الأبيات من الغرابة والحسن ، وتميزها عن أخواتها في الرشاقة واللطف ، تكلفوا الاحتذاء عليها فسموه البديع ، فمن محسن ومن مسئ ، ومحمود ومذموم ، ومقتصد ، ومفرط "(٢) وقد أفاض الجرجاني في الحديث والاستشهاد عن الاستعارة والتشبيه ، والتجنيس والمطابقة والتصحيف والتقسيم وجمع الأوصاف والاستهلال والتخلص والخاتم .

٩ ـ السرقات الأدبية :

من أهم القضايا النقدية التى عرض لها القاضى الجرجانى فى الوساطة ، قضية السرقات الأدبية ، والسرق عنده يقع فى المعانى الخاصة التى

---

١ - الوساطه ص ٣٣،٣٤ ٠

٢ - نفس المرجع ص ٣٤ ٠

ابتدعها منشئها ولم تستفض بتداولها : سواء اتفقت أغراضها أم اختلفت كما بين أنه أي السرق - لايقع ولايحكم بوقوعه في الألفاظ - إذا لم تكن خاصة - لأنها منقوله متداولةً ، ولا في المعاني الخاصة إذا استفاضت وتدوولت ، وبعد أن أوضح الجرجاني أن السرق داء قديم تتبع سرقات المتنبي ، وبلغ مجموع ما أثبته منها أكثر من ثلثمائة مثال ، ومنها ما أخذه من أبي تمام ومن البحتري ومن غيرهما ، وفي عدد منها تعقيب من الجرجاني باستحسان المعنى أو استهجانه ، أو بوصف الأخذ أو بيان زيف الدعوى فيه (١) .

من هنا نستخلص أن السرق - عند القاضي الجرجاني لايكون إلا في المعاني الخاصة ، وهذه الخصوصية تأتي للمعنى من الانفراد بلفظة تستعذب ، أو ترتيب يستحسن ، أو تأكيد يوضع موضعه ، أو زيادة اهتدى إليها الأديب دون غيره ، فيريك المشترك المبتذل في صورة المبتدع المخترع . فتشبيه الخد بالورد والورد بالخد من الباب الذي لايدعى فيه السرق إلا بتناول زيادة تضم إليه أو معنى يشفع به كقول علي بن الجهم :

عشيةَ حيَّاني بـوَرْدٍ كأنـه ... خدودٌ أضيفت بعضُهن إلى بعض

فأضاف بعضهن إلى بعض له ، وإن أُخذ يؤخذ ، وإليه ينسب . وكقول ابن المعتز :

بياضٌ في جوانبه احمـرارٌ ... كما احمرَّت من الخجل الخدودُ

" فلم يزد على ذلك التشبيه المجرد ، لكن كساه هذا اللفظ الرشيق فانفرد بفضيلة لم ينازع فيها .

---

(١) - نصوص نقدية لأعلام النقاد العرب د/ محمد السعدي فرهود ص ١٠٨ .

فصاحب مثل هذه الإضافة ومثل هذه الزيادة يكون أولى بالتفضيل وأحق بالتزكية (١) .

أهم المآخذ التي وجهت إلى كتاب الوساطة :

١ ـ إن القاضى الجرجانى لم يحدد فى وضوح مكان أبى الطيب بين الشعراء ، وعندما " قسم شعره فجعله فى الصدر الأول تابعاً لأبى تمام ، وفيما بعده واسطة بينه وبين مسلم " وعندما جعلك " لاتدعى لأبى الطيب طريقة بشار وأبى نواس ... ولو ادعيته فإنما تخادع نفسك ، أو تباهت عقلك ، وإنما أنت أحد رجلين أما أن تدعى له الصنعة المحضة ، وتلحقه بأبى تمام ، وتجعله من حزبه ، أو تدعى له فيه شركا ، وفى الطبع حظاً فإن ملت به نحو الصنعة فضّل ميل صيرته فى جنب مسلم ، وإن وفرت قسطه من الطبع عدلت به قليلاً نحو البحترى " .(٢) عندما قال ذلك لم يزدنا علماً بمكان أبى الطيب ، ولكنه شككنا فى موضعه الحقيقى أين يكون .

٢ ـ القاضى الجرجانى لم يلتزم فى (الوساطة بين المتنبى وخصومه) ، وإنما ترى أنه وضع نفسه وفكره ـ نظرا وتطبيقا ـ موضع المحامى عن المتنبى . ولقد ركز الجرجانى دفاعه فى أمر واحد ، وهو أن أبا الطيب ليس بدعا فى الشعراء ، فهو لايخلو مما يذم به كما لم يخل كثير من الشعراء من مثل

---

١ – الوساطة ص ٨٦ وما بعدها ، ويرجع أيضا اتجاهات النقد الأدبى العربى ، لأستاذنا الدكتور محمد السعدى فرهود ص ١٩٠ وما بعدها .

٢ – الوساطة ص ٤٩ ، ٥٠ ، ويرجع أيضا القاضى الجرجانى د/ أحمد أحمد بدوى ص ٩٣ .

ذلك، ومنهم المقدم فى الجاهلية والإسلام ومنهم المشهود له بالفضل بين المحدثين كأبى نواس وأبى تمام .

٣ ـ سلم الجرجانى بكثير من هنات أبى الطيب وأنضم إلى من يعيبونه بها ، وما ذاك إلا لأن القاضى الجرجانى لم يجد مجالاً لتبرئته منها .

ولقد اعتمد الجرجانى فى النظر إلى إحسان الشاعر فى الجملة وإلى ألا يكون البيت أو الأبيات ركيزة للغض من شعره كله ، وتهجين أمره كله . وهذا المنطلق يسامح فى العيوب ويساهل فى إقرارها ، ويلتمس لها الأعذار . وكان أولى له أن يشجبها وينفيها ويكف الناشيئن عن مثلها . (١)

بين الأمدى والجرجانى :

١ – تأثر القاضى الجرجانى فى كتابه " الوساطة " بمنهج الآمدى فى كتابه " الموازنة " تأثراً كبيراً ، فقد حكم القاضى الذوق فى نقده كما حكمه الآمدى، ومآل الحكم فى النهاية عند الرجلين هو " عمود الشعر " ويجعل القاضى الجرجانى كتاب " الوساطة " حوارا أدبيا بين أنصار المتبنى وخصومه ، كما جعل الآمدى الموازنة حجاجا علميا بين أنصار أبى تمام وأنصار البحترى ، ونهجا منهجا واحداً فى بحث السرقات الشعرية وبعض ألوان البديع .

٢ – كل منهما كان حكما محايدا فى الخصومة حول الشعراء . وكل منهما يفضل الشعر المطبوع ، ويميل إلى عمود الشعر ، وطريقه البحترى . ولكن الجرجانى لم يتعصب لذلك ، بل كان أميل من الآمدى إلى الشعر الحديث.(٢)

---

١ – نصوص نقدية لأعلام النقاد العرب د/ محمد السعدى فرهود ص ١٤٤ .

٢ – دراسات فى النقد الأدبى د/ حسن جاد ص ٩٢ .

٣ – الآمدى تغلب عليه الناحية الفنية فى النقد ، والجرجانى تغلب عليه الناحية الإنسانية فى النقد " ولعل للأمدى فى ذلك عذره ، فهو قد تناول بالدرس شاعرين ثارت الخصومة حولهما بسبب اختلافهما فى طرق الصياغة فحسب ، بينما الجرجانى لم يتقيد بقيد كهذا ، فالمتبنى لم يختصم فيه الناس من أجل مذهب فنى وإنما اختصموا فى الرجل وطبعه وفنه الأصيل الذى لم يجر على مذهب بعينه ، ولا اصطنع وسائل خاصة " .(١)

٤ – الجرجانى فى المرتبة الثانية بعد الآمدى ، لأن معظم آرائه العامة قد سبقه إليها صاحب الموازنة ثم إن الآمدى قد كتب كتابه كله فى النقد الموضعى الدقيق المفصل ، بينما صاحب الوساطة يكتفى بالدفاع المنطقى عن المتنبى، ويورد له الأشعار الجيدة فى مقابل الرديئة ، ولكنه لايبصرنا بمواقع الجودة أو الرداءة. والجرجانى أميل إلى المنطق من الذوق الفنى بينما الآمدى كان أبعد ما يكون عن المنطق ... ومع ذلك ففى الجرجانى صفات العالم القاضى النزيه المنسق المتواضع " (٢)

---

١ – النقد المنهجى د/ محمد مندور ص ٢٦٤ .

٢ – نفس المرجع ص ٣٠٧ .

تحول النقد الأدبى إلى بلاغة

النقد الأدبى أبو البلاغة العربية، فى حجره نشأت وفى رحابه درجت، فهى تنسب إليه، وتنبثق عنه ، ولهذا توثقت الصلة بينهما ، فالنقد نظرات فاحصة فى الأدب ، تتبين من خلالها محاسنه ومساوئه وتتكشف بها وجوه كماله ونقصه ومواطن جماله وقبحه ، وأسباب ما أصاب من رفعة أو ضعة وهذه النظرات فى استمرارها وفيما تكشف عنه وجهت أولئك الناظرين إلى دراسة الأساليب البيانية فى هذا الأدب ، ومهدت لتبين الأسباب التى يتحقق بالتزامها جمال الكلام ، وهذه الأسباب هى التى تحولت إلى تلك القواعد والأسس والأصول للبلاغة العربية .

والملاحظ ارتباط البلاغة بالنقد الأدبى كان قوياً وشاملاً فى القرون الأولى ، وكانت الروح الأدبية مسيطرة غالبة على هذا الارتباط وبهذا كانت دراسة البلاغة فى ظل النقد الأدبى أدبية مثالية ، تتجه إلى بيان ما ينبغى أن يكون عليه القول الحسن ، وما به أن يكون جميلاً . فلما اتضحت النزعة الفلسفية المنطقية والإتجاه الكلامى فى دراسة البلاغة تميزت عن النقد الأدبى ، وأحذت الصبغة العلمية . وصارت دراستها قاعدة وصفية ، تتجه إلى بيان القواعد الإصطلاحية فى تعريف التشبيه وأقسامه والإستعارة وأنواعها وهكذا ، وبهذا ابتعدت البلاغة عن النقد فى أخص خصائصة ، وهو التذوق الأدبى (١)

وفى نهاية القرن الرابع الهجرى ، ظهرت كلمة البلاغة بمدلولها الاصطلاحى المعروف وألف عبد القاهر الجرجانى كتاب (أسرار البلاغة) وهو مدرك لهذا المدلول تمام الإدراك . ويقول المؤرخون للبلاغة إن عبد

- فى النقد الأدبى عند العرب د/ محمد طاهر درويش ص ٣٠ .

القاهر هو الذى وضع الأسس الواضحة لهذا العلم ، بتأليفه كتاب (دلائل الإعجاز) فى (علم المعانى) و (أسرار البلاغة) فى (علم البيان) (١).

البديع فى نقد الشعر

لعبد الله بن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ

ابن المعتز

أبو العباس عبدالله بن المعتز بن المتوكل من الخلفاء العباسيين ، تحزب له جماعة من الجنود والأتراك وخلعوا المقتدر سنه ٢٩٦ وبايعوا لابن المعتز ، وسموه المرتضى بالله ، أقام يوما وليلة ، ثم تحزب أبناء المقتدر وحاربوا أعوان ابن المعتز ، وأعادوا المقتدر ، وقتلوا ابن المعتز وكان شاعراً مطبوعاً وهو من الأدباء والعلماء تثقف على المبرد وثعلب وغيرهما ، وله كتاب طبقات الشعراء وكتاب الأدب مختصر طبقات الشعراء ، وكتاب البديع ، وكتاب أشعار الملوك ، وكتاب الجامع فى الغناء ، وكتاب السرقات ، وكتاب الجوارح والصيد ، وكتاب الزهر والرياض (٢).

وقد أسلمت المدرسة البيانية فى الحكم على الأدب وفى تذوقة زعامتها إلى ابن المعتز الذى ربى فى ظلال النعمة والحسب المنيع ، والشرف الرفيع ، وهو أديب شاعر ، ذو عاطفة جياشة ، وحس مرهف فجرى أثر تلك النعمة ، وبدأ الفن فى أروع صوره ، وأجمل معانيه وأعذب فنونه فى شعره الذى كان لايسوغه رغبا ولارهبا ، ولا يتطلب به حاجات العيش والحياة ، ولايتزلف به

---

١ - تاريخ النقد الأدبى والبلاغة ، د ا محمد زغلول سلام ص ٢٣ .

٢ - يرجع مقدمة طبقات الشعراء لابن المعتز تحقيق عبد الستار أحمد فراج ص ٨ وما بعدها ط دار المعارف .

إلى صاحب جاه أو سلطان ، لأنه من أصحاب الجاه وذوى السلطان ، وإنما شعره تعبيراً عن تجاربه ، وإعرابا عن أحاسيسة فى أجمل حلة ، وأعذب بيان، فهو ينظر إلى شعره نظرة الرسام إلى صورته والنحات إلى تماثيله ، والصانع إلى دميته ، وكل هؤلاء يجيدون فنونهم لتبدو أمام الناس فى صورة زاهية معجبة (١) .

البديع فى نقد الشعر :

لاينسى ابن المعتز ـ وهو يخط سطوره الأولى فى مؤلفه هذا ـ أن يعلن عن غايته إعلانا دون مواربة (٢) . ، وهذه الغاية هى : أن يثبت للمحدثين أنهم لم يخترعوا البديع الذى يلهجون به وكأنما كان هناك من يزعم أن المتحدثين هم الذين أنشأوا البديع إنشاء ، فلم تكن العربية تعرفه حتى ظهر بشار ومن خلفه من المحدثين ، وتلاه أبو نواس ومسلم يتزايدان فيه ، حتى إذا كان أبو تمام أوفى على الغاية ، ولم يسم ابن المعتز أصحاب هذا الزعم ، ولكنهم لايخلون من أحد اثنين : متفلسف متعصب لم يتعمق فى الأدب العربى وأصوله ، أو شعوبى ممن يغمطون العرب القدماء حقهم ، وينكرون عليهم كل فضل ، فتصدى لهم ابن المعتز ناقضا دعواهم الباطلة ، بالدليل القاطع أن البديع قديم فى العربية ، بل انه ليضرب فى القدم حتى العصر الجاهلى ، أما المحدثون من أمثال بشار ، فمالهم من ذلك إلا الإكثار من هذه الفنون ويبين أن أبا تمام أفرط فى استخدامها مما جعله يحسن تاره ، ويصيب أخرى (٣).

---

١ - دراسات فى النقد الأدبى العربى د/ بدوى طبانة ص ٢٥٧ ، ٢٥٨ .

٢ - كتاب البديع لابن المعتز ص١ ، ص٣ .

٣ - يرجع مراحل البحث البلاغى فى اللغة العربية د / حسن إسماعيل عبد الرازق ص ٦٣ ، ٦٤ ط دار الطباعة المحمدية

وقد جعل فنون البديع خمسة : وهى : الاستعارة ، والتجنيس ، والمطابقة أو الطباق ، ورد الإعجاز على ما تقدمها ، والمذهب الكلامى ، وعدما سوى هذه الخمسة محاسن ، وهذه المحاسن هى : حسن الالتفات ـ الاعتراض ـ الرجوع ـ الخروج من معنى إلى معنى ـ تأكيد المدح بما يشبه الذم ـ تجاهل العارف ـ الهزل يراد به الجد ـ حسن التضمين ـ التعريض والكناية ـ الإفراط فى الصفة ـ حسن التشبيه ـ إعنات الشاعر نفسه فى القوافى ـ حسن الابتداءات ـ لزوم ما لايلزم .

وفى تناوله فنون البديع الخمسة والمحاسن كان يبدأ بذكر الفن ، ويعطى له أمثلة وشواهد من القرآن الكريم ، والحديث الشريف ، وأقوال المتقدمين وأشعارهم ، ثم أقوال المحدثين وأشعارهم (١).

وقد أتاح هذا التناول لعلوم البلاغة أن تنمو ، ولهذه الفنون والمحاسن نفسها أن تزداد ، ويتسع القول فيها . وعلى سبيل المثال : أو أصلها أبو هلال العسكرى إلى خمسة وثلاثين (٢) وزادها من جاء بعده عدداً أو نوعاً ، وتقاسمتها بعد ذلك علوم البلاغة الثلاثة : المعانى والبيان والبديع ، وبذلك انتقل الكلام فيها إلى هذه العلوم من ميدان الدراسات النقدية ، فخضع البحث فيها للمناهج التكرارية التعليمية (٣) .

والحق أن ابن المعتز يكفيه فضلاً أنه أول من صنف البديع ، ورسم فنونه ، وكشف عن أجناسها وحدودها بالدلالات البيانية والشواهد الناطقة ،

---

١ – اتجاهات النقد الأدبى العربى د/ محمد السعدى فرهود ص ٢٧٧.

٢ – الصناعتين : ص ٢٦٦ وما بعدها .

٣ – التجاهات النقد الأدبى العربى د/ محمد السعدى فرهود ص ٢٧٧ .

بحيث أصبح أماما لكل من صنفوا في البديع بعده ، ونبراسا يهديهم السبيل (١)

ويؤخذ على ابن المعتز أنه لم يتنبه فيما اهتدى إليه من وسائل الحسن البياني إلى ما هو أصيل لاتستغنى عنه العبارة أو الصورة الأدبيـة ، أو المعنى الشعرى ، وما هو كما لم تتم الصورة بدونه من غير أن يلحظ نقص في مبناها أو اختلال في معناها .

أو بعبارة أخرى لم يتنبه ابن المعتز إلى خصائص بعضها يتصل بالجوهر وبعضها يمكن أن يكون عرضا . فالتشبيه والاستعارة والكناية صور ووسائل لايستغنى عنها الفن الأدبى بخلاف أكثر الدروب الأخرى التى أحصاها ، والتى يمكن أن تعد ضروبا من الإفتنان البيانى الذى يستطيع الأديب أن يغفل عنه ، ولايطعن ذلك الإغفال فى أن نتاجه الأدبى جيد وجميل (٢) .

نقد الشعر لقدامة بن جعفر

قـــــدامة :

هو أبو الفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد ٠ ولد ــ علـي الأرجح ـ في بغداد سنة ٢٧٥ هـ ، وكانت وفاته بها سنة ٣٣٧ هـ (٣)٠كان قدامة من أوسع أهل زمانه علما وأغزرهم مادة ، أخذ بنصيب وافر من ثقافة عصره الإسلامية، فبرع في اللغة والأدب والفقه ، والكلام والفلسفة، والحساب

---

١ – البلاغة تطور وتاريخ ص ٧٥ .

٢ – دراسات فى نقد الأدب العربى د/ بدوى طبانة ص ٢٦٤ .

٣ – نصوص نقدية لأعلام النقاد العرب د/ محمد السعدي فرهود ص ٤٦ ٠

وكان يمده في ذلك ذكاء قوي وطبع سليم ، وشغف بالاطلاع والتحصيل شديد، هذا الي خلق قويم ونفس عالية تجافت به عن تبذل العامة وإسفافها، وبذلك أصبح مثالا جميلا للعالم الإسلامي المهذب في أوائل القرن الرابع الهجري. والمصادر كلها مجمعة علي نعته بالفضل والبلاغة والفلسفة ، والبراعة في الحساب والمنطق(١).

أحصي له ابن النديم من مصنفاته اثني عشر كتابا وهي:

كتاب الخراج - نقد الشعر - صابون الغم - صرف الهم - جلاء الحزن — درياق الفكر - السياسة - الرد علي ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام - حشو حشاء الجليس - صناعة الجدل - الرسالة في أبي علي بن مقلة وتعرف بالنجم الثاقب - نزهة القلوب وزاد المسافر(٢).

واشهر هذه الكتب ثلاثة: الخراج ، والألفاظ ونقد الشعر.

وكان قدامة أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة الفضلاء ، والنقاد الأعلام ، وكتابه نقد الشعر ذو أثر كبير في حركة النقد العربي ونهضته(٣).

سبب تأليفه لنقد الشعر:

ذكر قدامة في أول صفحة من صفحات كتابه ، أن مادفعه إلي الكتابه في نقد الشعر : أنه لم يجد أحدا وضع في نقد الشعر وتخليص جيده من رديئه كتابا ، وأنه رأي الناس يخبطون في ذلك منذ تفقهوا في العلم وقليلا مايصيبون، وهو بذلك ينكر ماكتب قبله في تمييز جيد الشعر من رديئه ، فلا " ثعلب " في

١-تقديم عبد الحميد العبادي لكتاب نقد النثر ص ٣٨ط دار الكتب العلمية بيروت.

٢-نفس المرجع ص ٤٠ .

٣- راجع تقديم الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي لكتاب نقد الشعر ص ٤٨ ط مكتبة الكليات الأزهرية.

" قواعد الشعر " ولا ابن المعتز في " كتاب البديع "٠

منهجه في كتاب نقد الشعر:

قدامة في كتابه هذا قد وضع منهجا نقديا جديدا لنقد الشعر ، وهو منهج عقلي بحت بعيد كل البعد عن روح التذوق التى هي الأساس في تفسير الشعر وفى فهمه ونقده٠

يقول الدكتور مندور : " وأما قدامة فعقليته شكلية صرفة ، وهو لايبدأ بالنظر في الشعر بل يكون أولا هيكلا لدراسته ويحدد تقاسيمه ، أو إن شئت فقل : إنه يصنع قطعة أثاث هندسية التركيب ثم يأخذ في ملء أدراجها "(١)٠ ومرد ذلك إلي ثقافة قدامة التي غلب عليها الطابع اليوناني الفلسفي أكثر من طابع الثقافة العربية التي تلقاها في صدر حياته ٠ " فقد وقف علىكتابى أرسطو ـ الشعر ـ و ـ الخطابة ـ وأخذ عنهما أخذاً مباشراً فى بحوثه وموضوعاته "(٢).

ومهما يكن فإن قدامة قد تأثر تأثراً واضحاً بمنطق أرسطو وفلسفته فى نقده ، وبدا ذلك فى محاولته تنظيم بحوث النقد والقدره على الترتيب والتحديد والتقسيم ورسم منهج متكامل ساعده عليه إشتغاله بالمنطق والحساب إلى جانب دراسة الفلسفة (٣) .

يقول محقق كتابه : " وظهور قدامة فى أول القرن الرابع ورجوعه إلى البيان اليونانى ومافيه من موازين للنقد ، ومناهج لبيان يلقح بها البيان العربي ويضع بها أسس النقد الأدبي كان تطورا جديدا في بحوث النقد والبيان ، وكان

---

١ - النقد المنهجي عند العرب د/ محمد مندور ص ٦٨ ، ٦٩ ٠

٢ - البلاغة تطور وتاريخ ، د/ شوقى ضيف ص ٨١ ط دار المعارف .

٣ - تاريخ النقد والأدبى والبلاغة د/ محمد زغلول سلام ص ١٩٧.

عقل قدامة المنطقي يغلب ذوقه الأدبي فزل أحيانا في نقده مـن حيث قـوم ذوق ابن العميد والصاحب ابن عباد وأبي هلال العسكري أحكام عقولهم في النقد وأن تبعوا منهج قدامة وجروا في فهم الشعر وتذوقه ونقده مجراه الذي أوضح في كتاب نقد الشعر(١)٠

الأقسام الأساسية لكتاب نقد النثر:

كتاب نقد الشعر : فيه ثلاثة أقسام:

القسم الأول ـ تناول فيه قدامة حد الشعر ، وفصل القول في عناصره الأربعة (اللفظ والوزن والقافية والمعني) مفردة ومؤتلفة ، ولكل منها صفات ونعوت : فنعت اللفظ سهولة مخرجه من موضعه وأن يكون عليه رونق الفصاحة وأن يخلو من البشاعة٠ ونعت الوزن " عروضه " ونعت القافية عذوبة حرفها وسلاسة مخرجها٠ ونعت المعني أن تأتي به أغراضه ، وهذه الأعراض : مديح أو هجاء أو رثاء أونسيب أو وصف أو تشبيه ٠ والمديح يتوجه إلي فضائل الرجال وهي عنده أربع : العقل والعفة والعدل والشجاعة٠ والهجاء عند قدامة ضد المديح فهو يتوجه إلي رذائل الناس ٠ والرثاء عنده مديح للميت٠ والنسيب ذكر خلق النساء وأخلاقهن وتصرف أحوال الهوي به معهن٠ والوصف ذكر أحوال الشئ وهيئاته ويكون أجود باستيفاء المعاني المركب منها الموصوف ٠ والتشبيه يقع إذا كان بين الشيئين اشتراك في معان تعمهما ويوصفان بها وافتراق في أشياء ينفرد بها كل منهما وكلما كثرت المعاني المشتركة بينهما دنا التشبيه إلي حال الاتحاد٠

---

(١) مقدمه نقد الشعر ص د؛ تحقيق وتعليق د/ محمد عبد المنعم خفاجي٠

القسم الثاني ـ فصل فيه قدامة وجوه الحسن في المعاني الشعرية ، وجماعها سبعة أمور : التقسيم وصحة المقابلة وصحة التفسير ، والتتميم ، والمبالغة والتكافؤ (الطباق) ، والالتفات •

القسم الثالث ـ فصل فيه قدامة عيوب المعاني ، وتجتمع أساسا في : فساد الأقسام وفساد المقابلات ، وفساد التفسير ، والاستحالة ، والتناقض ، ومخالفة العرف ، والاتيان بما ليس في العادة والطبع ، ونسبة الشئ إلى ماليس له وهناك عيوب تنتج عند الائتلاف مثل : الإخلال ، والحشو والبتر والتكلف (١) ومثل التبويب لايمكن إلا أن يكون صدي للثقافة اليونانية بخاصة ، فضلا عن أن أسلوب قدامة فيه هو أسلوب المنطقيين بحدودهم ورسومهم وأجناسهم وفصولهم وتعريفاتهم وتقسيماتهم ، بل إن أكثر مادة الكتاب مستمدة من أصول يونانية أرسطية إما فلسفية وأما متأثره بكتاب الخطابة لأرسطو(٢) •

أهمية الكتاب في ميداني البلاغة والنقد الأدبي:

يعتبر كتاب قدامة قاعدة للدراسات البلاغية التي جاءت بعده ، والتي أصلت الاهتمام بالشكل الأدبي باعتباره مظهر للمضمون ، وكان منهجه الجديد خطوة لتدوين علوم البلاغة العربية وأصول النقد الأدبي ، صونا لهما من أن يذابا في التيار الفلسفي الدافق ، الذي فتن به من كان علي شاكلة قدامة من النقاد والبلاغيين ، والإبقاء علي عروبة النقد وصفائه وحفظه من الانقياد لحدود المنطق وتشريعات الفلسفة •

---

١ – نصوص نقدية لأعلام النقاد العرب د/ محمد السعدي فرهود ص ٤٧، ٤٨ •

٢ – راجع نقد الشعر بين ابن قتيبة وابن طباطبا د / عبد السلام عبد الحفيظ ص ٨٨ ط دار الفكر العربي بالقاهرة

كان لكتاب نقد الشعر نفوذ واسع الانتشار بين المؤلفين في النقد والبلاغة منذ أبي هلال العسكرى وابن سنان الخفاجى إلي ضياء الدين ابن الأثير وابن أبي الأصبع في القرن السابع ، وكان الكتاب مثار جدل ومناقشات صاخبة بين علماء النقد ، فلقد ألف الآمدي كتابا في " تبيين غلط قدامة في نقد الشعر " ، وصنف ابن رشيق " كتاب تزييف نقد قدامة " ولابن أبي الأصبع المصري كتاب " الميزان في الترجيح بين كلام قدامة وخصومه " ، وألف عبد اللطيف البغدادي ـ شرح قواعد الشعر لقدامة ـ وسماه " التكملة في شرح نقد قدامة " وله كتاب آخر بعنوان : " كشف الظلامة عن قدامة "(١)٠

نموذج من كتاب نقد الشعر:

يقول قدامة في تعريف الشعر : " إنه قول موزون مقفي يدل علي معني ٠ فقولنا قول دال علي أصل الكلام الذي هو بمنزلة الجنس للشعر ٠ وقولنا " موزون " ، يفصله مما ليس بموزون ، إذا كان من القول موزونٌ وغير موزون ، وقولنا " مقفي " فصل بين ماله من الكلام الموزون قواف وبين من لاقوافي له ولا مقاطع ، وقولنا " يدل علي معني " يفصل ماجري من القول علي قافية ووزن مع دلالة علي معني مما جري علي ذلك من غير دلالة علي المعني ٠٠ فإذ قد تبين أن الشعر هو ماقدمناه فليس من الاضطرار إذن أن يكون ماهذه سبيله جيدا أبدا ولا رديئا أبدا ، بل يحتمل أن يتعاقبه الأمران : مرة هذه وأخري هذه علي حسب مايتفق"(٢)٠

---

١ – عن مقدمة نقد الشعر ص ٤٩ ٠

٢ – نقد الشعر تحقيق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي ص ٦٤ ط مكتبة الكليات الأزهرية٠

بهذا الأسلوب المنطقي يعرف قدامة الشعر وينفي محترزاته ، لتخلص له عناصر الشعر الأربعة (اللفظ والوزن والقافية والمعني) وهي عناصر أساسية لابد منها ولا بد من اجتماعها ليقال فيما يتألف منا مجتمعة : إنه شعر ٠

وتنبه قدامة إلي أن اجتماع العناصر الأربعة لايعني بالضرورة قيام شعر جيد ، " فليس من الاضطرار إذن أن يكون ماهذه سبيله جيدا أبدا ولا رديئا أبدا ، بل يحتمل أن يتعاقبه الأمرآن مرة هذه وأخري هذه ، علي حسب مايتفق " ، ولهذا انطلق قدامة يبحث في الوسائط التي ترقي بصناعة الشعر وتتجافي به عن الاسفاف ، وجعل ينعت العناصر الأربعة منفردة ومؤتلفة بنعوتها المثالية في تقديره(١) ٠

---

(١) – نصوص نقدية لأعلام النقاد العرب د/ محمد السعدي فرهود ص ٥٠ ٠

قضية اللفظ والمعني

من أهم القضايا التي شغلت النقاد العرب قضية اللفظ والمعني ، وقد اختلفت وجهات النظر حول هذه القضية ، منهم من يرد أهم مقومات العمل الأدبي ، وأقوي دعائم نجاحه ، إلي المعني مقللا من شأن اللفظ في ذلك ، ومنهم من يردها إلي اللفظ ومنهم من يسوي بينهما ٠

فمن الذين عرفوا بالاحتفال بالمعني وتقديمه أبو عمرو الشيباني والآمدي وأبو تمام والمتنبي وابن الرومي وابن الأثير ، وهؤلاء لم يسقطوا شأن الألفاظ في الكلام ، ولكنهم يؤخرون مرتبتها وتأثيرها ، وينزلونها في الأهمية منزلة تالية للمعنى وقد بنوا رأيهم على ان المعانى هى ضالة الناس وغايتهم ، وأنهم يتكلمون للدلالة عليها ويلبسونها الألفاظ للإبانة عنها ، فما الألفاظ إلا وسيله لتلك الغاية(١)٠

فإذا تركنا أنصار المعانى المقدمين لها فى الكلام وجدنا فى الجانب الآخر أنصار الألفاظ ، الذين يفضلونها ويشيدون بأثرها ، ويرعون حقها ، ويرون فى الصياغة المقوم الحق للأدب ، فلابد عندهم من أن تستوفى الجمل والعبارات خصائص الصياغة الفنية على يد الشاعر والكاتب والخطيب ليدخل الكلام بذلك فى باب الأدب ٠

والجاحظ على رأس النقاد الذين احتفلوا بالألفاظ ، ولذلك نجده يرد على أبى عمرو الشيبانى الذى يقدم المعنى فيقول : " وذهب الشيخ إلى استحسان المعنى ، والمعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العجمى والعربى والبدوي والقروى والمدنى ، وإنما الشأن فى إقامة الوزن وتخير اللفظ ،

---

١ - في النقد الأدبي عند العرب د / محمد الطاهر درويش ص ١٩١ ٠

وسهولة المخرج ، وكثرة الماء ، وفى صحة الطبع ؟ وجودة السبك ، فإنما الشعر صياغة ، وضرب من النسج ، وجنس من التصوير " (١)

ولكن علينا – مع هذا – أن نذكر أن الجاحظ يشيد بقيمة المعنى فى غير موضع ، مما يدل على أنه لم يعن باللفظ إلا لجلاء الصورة الأدبية ، ولهذه الصورة أوثق رباط بالمعنى ٠

على أن من نقاد العرب من كانوا ينظرون إلى اللفظ والمعنى على سواء ، ومن أقدم ما أثر فى هذا صحيفة بشربن المعتمر ، يدعو فيها إلى ترك التكلف والتوعر " فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد ،والتعقيد هو الذى يستهلك معانيك ويشين ألفاظك ، ومن أراغ معنى كريما فيلتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف ،ومن حقهما أن تصونهما عما يفسدهما ويهجنهما " ٠ وأولى المنازل عنده " أن يكون لفظك رشيقا عذبا ، وفخما سهلا، ويكون معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا ، عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت ، والعامة إن كنت للعامة أردت ، فالمعنى لايشرف بأن يكون من معانى الخاصة ، ولا يتضع أن يكون من معانى العامة ، وإنما مدار الأمر على الصواب وإحراز المنفعة ، مع موافقة الحالى ، وما يجب لكل مقام من المقال (٢) " ٠

وتدل هذه العبارات على أن بشرا يساوى فى المنزلة بين اللفظ والمعنى، ويحفظ لكل منهما حقه فى وجوب العناية به ، والحكم على الأديب بالفنية بقدر ما يستطيع الإجادة فيهما معا (٣) ٠

---

١ – الحيوان ٣/١٣١ – ١٣٢ ٠

٢ – البيان والتبيين ١/ ١٣٤ – ١٣٩ .

٣ – دراسات فى نقد الأدب العربى د/ بدوى طبانه ص ١٤١ .

ولا تجد فى تلك العبارات ما يشعر بالغض من قيمة أحدهما ، أو محاولة الإنتصار له على حساب الآخر ، أو القول بأن فنية الأديب تبدو فى أحدهما دون الآخر . وتلك هى النظرة الأولى ، وهى فى الوقت نفسه النظرة المثلى إلى الفن الأدبى ، وما ينبغى أن يتوافر فى ركنيه من الجودة ووجوب الرعاية والاهتمام بكل منهما .

هذه هى وجهات نظر النقاد العرب القدامى ، فى شأن قضية اللفظ والمعنى وهى وجهات متقاربة ، تكاد تجتمع على أهمية اللفظ والمعنى فى العمل الأدبى و إن كانت هذه النظرة قد تطورت واتجهت اتجاها جديدا نحو ما يسمى بنظرية (النظم) التى استقرت عند عبد القاهر الجرجانى ، والتى بدأت شعاعا خافتا يلمع فى أذهان بعض النقاد من قبله ، حتى أصبحت منارا وهاجا على طريق النقد البلاغى عنده .

قضية اللفظ والمعنى عند عبد القاهر الجرجانى .

جاء عبد القاهر الجرجانى بعد أصحاب هذه المذاهب جميعا ، وقد استفاض كلامهم فيها ، وجدلهم حولها ، فاجتمعت لديه آراؤهم ، وأفاد من خبرتهم ، ولكنه تجاوزهم إلى رأى خاص ، وكانت له فى هذا المجال أصالة وتعمق ، وكان صاحب مدرسة فى النقد ، أدرك فيها ما لم يدرك النقاد .

ونستطيع أن نلخص ما قاله عبد القاهر فى هذه القضية فيما يأتى (١) .

---

١ – راجع مقدمة تحقيق دلائل الإعجاز للدكتور / محمد عبد المنعم خفاجى ص ٢١ مابعدها ط مكتبة القاهرة .

أولا :-

١- يرى عبد القاهر أن اللفظ رمز لمعناه ، وهو فى ذلك يتلاقى مع كل النقاد العالميين القدامى والمحدثين ، ومع مدرسة الرمزية فى اللغة ، فالكلمة رمز للفكرة أو التجربة أو العاطفة أو المعنى ، وقيمتها فيما ترمز اليه ، وليست فى البلاغة وحدها .

٢- العلاقات الأسلوبية بين الألفاظ هى فى رأى عبد القاهر موطن البلاغة ، وهى ما عبر عنه بالنظم وما يعبر النقاد عنه بالشكل أو الصورة ، فمن مجموعة العلاقات بين الألفاظ فى النص الأدبى تتكون الصورة ، وفيها تظهر البلاغة أو الجمالية

٣- ولا يغفل عبد القاهر أهمية المعانى الثانوية و دلالتها الجمالية فى النص الأدبى ، سواء كانت هذه المعانى الثانوية لزومية ، أو من مستتبعات التراكيب ، أو أثرا لرموز صوتية ، وإيحاءات نفسية ، فهى التى تعطى الأسلوب دلالاته البلاغية ، وتمنحه قيمة جمالية

ثانيا :

من كل هذه القيم صاغ عبد القاهر فلسفته البلاغية التى جعل محورها نظرية فى النظم التى ربط فيها بين اللفظ والمعنى وبين دلالات الألفاظ الأسلوبية و دلالاتها الثانوية وجعل النظم وحده هو مظهر البلاغة ومثار القيمة الجمالية فى النص الأدبى .

وكل ذلك هو أساس فكرة عبد القاهر فى كتابه دلائل الإعجاز الذى شرح فيه نظريته فى النظم ، وعرض للتطبيق الأدبى عليها ، وجلاها فى الكتاب فى أجلى صورة وأوضح بيان .

وفكرة النظم تقوم على أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هى ألفاظ مجردة ، ولامن حيث هي كلمات مفردة ، ولكنها تتفاضل فى ملاءمة معانيها للمعانى التى تليها فى السياق الذى وردت فيه ، وأن اللفظة قد تروق وتحسن فى موضع ، وتثقل وتوحش فى آخر ، وأن التأمين والنظم هو وحده الذى يحدد ملاءمة الكلمة وعدم ملاءمتها بالنسبة لما قبلها وما بعدها يقول فى ذلك :

" وهل يقع فى وهم أن تتفاضل الكلمتان المفردتان من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم بأكثر من تكون هذه مألوفة مستعملة ، وتلك غريبة وحشية ، أو أن تكون حروف هذه أخف ، وامتزاجها أحسن ، وهل تجد أحدا يقول هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم ، وحسن ملائمة معناها لمعانى جارتها ؟ " " وهل تشك إذا فكرت فى قوله تعالى (وقيل يا أرض أبلغى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقض الأمر واستوت على الجودى وقيل بعداً للقوم الظالمين) فتجلى لك منها الإعجاز ، وبهرك الذى ترى وتسمع ، أنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض ، وإن لم يعرض لها الحسن والشرف ألا من حيث لاقت الأول بالثانية ، والثالثة بالرابعة وهكذا إلى أن تستقر بها إلى آخرها، وأن الفضل تناج ما بينها ، وحصل من مجموعها "

" وإن شككت فتأمل هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤديه وهى فى مكانها من الآية ؟ قل (ابلعى) واعتبرها وحدها من غير أن تنظرإلى ما قبلها ، ولاإلى ما بعدها . وكذلك فاعتبر سائر ما يليها ، وكيف بالشك فى ذلك و معلوم أن مبدأ العظمة فى أن نوديت الأرض ، ثم أمرت ، ثم فى أن كان النداء بيا دون أى نحو يا أيتها الأرض ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال ابلعى الماء ، ثم أن اتبع نداء الأرض

وأمرها بما هو شأنها نداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها ، ثم أن قيل وغيض الماء وجاء الفعل على صيغة فعل – المبنى للمجهول – والداله على أنه لم بعض إلا بأمر آمر ، وقدرة قادر ، ثم تأكيد ذلك وتقريره بقوله تعالى : (وقضى الأمر) ثم ذكر ما هو فائدة هذه الأمور وهو (استوت على الجودى) ثم إضمار السفينة قبل الذكر كما شرط الفخامة والدلالة على عظم الشأن ثم مقابلة قيل فى الخاتمة بقيل فى الفاتحة ، أفترى لشى من هذه الخصائص التى تملؤها بالإعجاز روعة ، وتحضرها عند تصورك هيبة تحيط بالنفس من أقطارها تعلقا باللفظ من حيث هو صوت مسموع ، وحروف تتوالى فى النطق؟ أم كل ذلك لما بين معانى الألفاظ من الاتساق العجيب ؟ (1) " .

وبهذا تكون قد نضجت على يد عبد القاهر قضية اللفظ والمعنى ، أو الشكل و المضمون ، أو الفكرة وقالبها الفنى ، وإن رأيناه – كسائر نقاد العرب – لم يتجه إلى فكرة وحدة العمل الأدبى باعتباره كلا ، وإنما قصد إلى الصورة الأدبية المفردة ، التى يتكون العمل الأدبى من مجموعها .

---

1 – دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجانى ص ٩٣ وما بعدها .

مصادر البحث ومراجعه

١- إتجاهات النقد الأدبي د/ محمد السعدى فرهود ط دار الطباعة المحمدية الطبعة الثالثه - ١٩٨٠ م ٠

٢- أثر القرآن فى تطور النقد العربى د/ محمد زغلول سلام ط دار المعارف٠

٣- أصول النقد الأدبى أحمد الشايب الطبعة الثامنه ١٩٧٣ ٠

٤- الأدب فى عصر النبوة والخلفاء الراشدين د/ صلاح الدين الهادى ط الثانية ١٩٧٩ - المؤلف٠

٥- الأغانى لأبى الفرج الأصفهانى ٠ط دار الشعب٠

٦- الأمالى لأبى على القالى٠ ط دار الكتب العلمية بيروت ٠

٧- البيان والتبين للجاحظ ٠ط دار الكتب العلمية بيروت٠

٨- البلاغة تطور وتاريخ د/ شوقى ضيف ط دار المعارف٠

٩- تاريخ الأدب العربى للأستاذ أحمد حسن الزيات ٠ط نهضة مصر ٠

١٠- تاريخ الأدب فى العصر الجاهلى د/ شوقى ضيف٠ ط دار المعارف التاسعة٠

١١- تاريخ الأدب فى العصر الإسلامى د/ شوقى ضيف ط دار المعارف الثامنة٠

١٢- تاريخ الأدب فى العصر العباسى الأول د/ شوقى ضيف ط دار المعارف السادسة٠

١٣- تاريخ الأدب فى العصر الأموى د/ محمد عبدالمنعم خفاجى ٠ ط مكتبة الكليات الأزهرية ٠

١٤- تاريخ الأدب فى العصر العباسى الأول د/ محمد عبدالمنعم خفاجى ٠ ٠ ط مكتبه الكليات الأزهرية ١٩٨١ ٠

١٥- تاريخ النقد الأدبى عند العرب أ/ طه أحمد إبراهيم ط دار الحكمه بيروت
١٦- تاريخ النقد الأدبى والبلاغة د/ محمد زغلول سلام • ط منشأة المعارف الأسكندرية •
١٧- تفسير الطبرى ط دار الريان للتراث •
١٨- الحياة الأدبية فى الجاهلية وصدر الإسلام • للدكتورين/ محمدعبدالمنعم خفاجى وصلاح الدين محمد عبدالتوات ط مكتبه الكليات الأزهرية •
١٩- دراسات فى النقد الأدبى د/ حسن جاد سنه ١٩٧٧ المؤلف•
٢٠- دراسات فى النقد الأدبى د/ كامل السوافيرى ط مكتبه الوعى العربى•
٢١- دراسات فى نقد الأدب العربى د/ بدوى طبانه ط مكتبه الأنجلو•
٢٢- دلائل الإعجاز للإمام عبدالقاهر الجرجانى تحقيق د/ محمد عبدالمنعم خفاجى • ط مكتبه القاهرة ١٩٧٧ •
٢٣- الذوق الأدبى د/عبدالفتاح على عفيفى •ط مطبعة الأمانه الأولى١٩٨٧
٢٤- شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى لعباس محمود العقاد• ط مكتبه النهضة المصرية •
٢٥ -الشعر فى الإسلام د/ أحمد فؤاد الغول •ط دار لوران للطباعة والنشر بالإسكندرية •
٢٦- الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق أحمد محمد شاكر الطبعة الثالثه ١٩٧٧
٢٧- الصناعتين لأبى هلال العسكرى تحقيق على محمد البجاوى ومحمد أبو الفضل إبراهيم •ط دار الفكر العربى•
٢٨- الصورة الأدبية تأريخ ونقد د/ على على صبح • ط دار إحياء الكتب العربية عيسى الحلبى •

٢٩- طبقات فحول الشعراء لابن سلام تحقيق محمود محمد شاكر. ط مطبعة المدنى.

٣٠- عن اللغة والأدب والنقد د/ محمد أحمد العزب .ط دار المعارف .

٣١- العقد الفريد لابن عبدربة .ط مكتبه الرياض الحديثة .

٣٢- العمدة لابن رشيق تحقيق الشيخ محمد محى الدين عبدالحميد. ط دار الجيل بيروت.

٣٣- فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر العسقلانى. ط دار إحياء التراث العربى بيروت.

٣٤- فى ميزان النقد الأدبى د/ طه مصطفى أبوكريشة ط المليجى.

٣٥- فى الأدب الإسلامى د/ سليمان حسن ربيع. ط مطبعة السعادة .

٣٦- فى النقد الأدبى عند العرب د/ محمد طاهر درويش .ط دار المعارف .

٣٧- الفكر النقدى والأدبى فى القرن الرابع الهجرى د/ محمد عبدالمنعم خفاجى. ط رابطة الأدب الحديث .

٣٨- القاضى الجرجانى وكتابه الوساطة د/ صلاح الدين محمد عبدالتواب ط دار الطباعه المحمدية ١٩٧٥ .

٣٩- القاضى الجرجانى د/ أحمد أحمد بدوى .ط دار المعارف الثامنة .

٤٠- الكامل للمبرد .ط مؤسسة المعارف بيروت.

٤١- مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينه المنورة العدد (٥٩) ١٤٠٣ هـ

٤٢- معالم النقد الأدبى د/ عبدالرحمن عثمان ط مطبعة المدنى ١٩٦٧ .

٤٣- مراحل البحث البلاغى فى اللغة العربية د/ حسن إسماعيل عبدالرازق ط دار الطباعه المحمدية ١٩٧٩ .

٤٤- موقف الإسلام من الشعر د/ صلاح الدين محمد عبدالتواب ٠ط مطبعة السعادة ١٩٨١

٤٥- من مظاهر النقد الأدبى عند العرب د/ رفعت محمود عفيفى٠ ط دار الطباعه المحمدية ١٩٩٠ ٠

٤٦- المقاييس البلاغية عند الجاحظ د/ فوزى السيد عبدربه ٠ ط دار الثقافة والنشر والتوزيع ١٩٨٣ ٠

٤٧- الموشح للمرزبانى تحقيق محمد على البجاوى ٠ط نهضة مصر ٠

٤٨- الموازنة للآمدى تحقيق الشيخ محمد محى الدين عبدالحميد ٠ط دار الباز للطباعة ٠

٤٩- نصوص نقدية لأعلام النقاد العرب د/ محمد السعدى فرهود٠ ط دار الطباعة المحمدية، الثامنة ٠

٥٠- نقد الشعر لقدامة بن جعفر تحقيق د/ محمد عبدالمنعم خفاجى ٠ ط مكتبه الكليات الأزهرية ٠

٥١- النتاج الأدبى للشيخ عبدالمتعال الصعيدى د/ مصطفى عبدالرحمن إبراهيم رسالة دكتوراه بكلية اللغه العربية بالقاهرة٠

٥٢- النثر الفنى عند الإمام على د/ مصطفى عبدالرحمن إبراهيم رسالة ماجستير بكلية اللغه العربية بالقاهرة٠٠

٥٣- النظرة النبوية فى نقد الشعر د/ وليد قصاب ٠ط مكتبه الحديثة العين ٠

٥٤- النقد الأدبى أصوله ومناهجة للأستاذ سيد قطب ط دار الشروق ٠

٥٥- النقد الأدبى د/ سعد ظلام ط مطبعة الأمانة٠

٥٦- النقد الأدبى للأستاذ أحمد أمين ط مكتبه النهضة المصرية الرابعة٠

٥٧- النقد الأدبى الحديث د/ محمد غنيمى هلال ط دار العودة بيروت ٠

٥٨- النقد المنهجي عند العرب د/ محمد مندور ط دار نهضة مصر .

٥٩- النقد في العصر الجاهلي وصدر الإسلام د/ محمد إبراهيم نصر ط دار الفكر العربي

٦٠- النقد الأدبي في أطوار تكوينه عند العرب د/ محروس منشاوي الجالي ط دار الطباعة المحمدية ١٩٧٩ .

٦١- الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي الجرجاني تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ومحمد علي البجاوي ط عيسى الحلبي .

٦٢- يتيمة الدهر للثعالبي ط دار الباز للنشر والتوزيع .

فهرس الموضوعات

الموضـــــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب
٩٧/١٠٧٩١

الترقيم الدولى I.S.B.N
977-19-4299-9